موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء التاسع والثلاثون

زيد بن علي عليهما السلام

تأليف

باقر شريف القرشي

تحقيق

مهدي باقر القرشي

مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام

لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

شبكة الفكر
alfeker.net

موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الشهيد الخالد

زيد بن علي عليه السلام

موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء التاسع والثلاثون

الشهيد الخالد

زيد بن علي عليه السلام

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

تأليف : باقر شريف القرشي

تحقيق : مهدي باقر القرشي

الناشر : .... دار المعروف ـ مؤسّسة الإمام الحسن عليه السلام

المطبعة : .... ستار

الطبعة الثانية : .... ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

عدد النسخ : .... ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلّف

ردمك الـــــدورة : ١ ـ ٤٢ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

ردمك الجزء (٣٩) : ٠ ـ ٨١ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

عنوان الناشر : النجف الأشرف ـ شارع الرسول صلى الله عليه وآله

مكتبة الإمام الحسن عليه السلام ـ هاتف ٠٠٩٦٤ ٧٨٠٥٦٩٤٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

آل عمران ٣ : ١٦٩

﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَـهُمُ الْـجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَـاسْتَبْشِرُوا بِـبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

التوبة ٩ : ١١١

تقديم

١ الأُسرة النبويّة بما تحمله من مقوّمات الشرف والكرامة وحبّ الخير للناس هي امتداد ذاتي لنفس جدّهم الرسول ﷺ الثائر على الظلم والتخلّف والطغيان، الذي صنع الحضارة الإنسانيّة، وتبنّى بصورة إيجابيّة حقوق الإنسان، وإنقاذه من العبوديّة والانحطاط، وأقام له حياة رفيعة تتوفّر فيها العدالة والأمن والرخاء والمساواة.

على هذا الخطّ المشرق سار أبناء الرسول ﷺ فكانوا الجبهة المعارضة للخطّ السياسي الذي انتهجه ملوك الأمويّين والعبّاسيّين الذين حوّلوا البلاد إلى مزرعة لهم ولأذنابهم وعملائهم الذين عاثوا في الأرض فساداً.

ولم يرتفع صوت غير أبناء النبيّ ﷺ للإصلاح، وإنقاذ البلاد من أُولئك اللصوص والخونة، أمثال معاوية ويزيد وبني مروان، فقد تخدّرت الجماهير تحت ضغط هائل وإرهاب شامل من قِبل الحكّام والولاة.

٢ ودوّى صوت الإسلام في سماء الدنيا بقيادة أبناء النبيّ ﷺ أن لا بقاء ولا مكان ولا ظلّ للظالمين في دنيا الإسلام، فالحياة معهم ذلّ وعبوديّة، وقد رفع راية التحرير بصلابة وشموخ أبو الأحرار وسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فانبرى يخوض أعنف المعارك وأشدّها ضراوة مع قلّة الناصر دفاعاً عن الإسلام الذي جهدت العصابة الأمويّة على محو سطوره، ولفّ لوائه، ودفاعاً عن حقوق المظلومين والمعذّبين الذين نهبت السلطة الأمويّة أقواتهم، وتركت الفقر ينهش في أجسادهم.

واستشهد سلام الله عليه في ساحة الشرف، وقد رُفع رأسه الشريف على أطراف الرماح يطاف به في الأقطار والأمصار، وهو يضيء للناس طريق الحريّة والكرامة. وقد أحرز من النصر ما لم يحرزه أي مصلح قبله ولا بعده، فقد نسف قلاع الظلم والجور، وأطاح برؤوس الطغاة والمستبدّين، وأشعل الأرض ناراً تحت أقدامهم، فقد تلاحقت الثورات والتمرّد على الظالمين حتّى اكتسحت الدولة الأمويّة.

٣ ورفع راية الجهاد بعد شهادة أبي الأحرار حفيده زيد الشهيد الخالد الذي كان مطعّماً بروح جدّه، وقد رفع شعاره الذي كان نشيداً له ولكلّ الأحرار: « ما كره قوم حرّ الجلاد إلّا ذلّوا ».

وخاض زيد بن عليّ في ميدان الشهادة، وقد تردّى بثيابها الحمر المعطّرة بدمه الزاكي الذي شكّل قاعدة للجهاد والتمرّد على الظلم والطغيان، ومقاومة أعداء الإسلام الذين تسلّطوا على رقاب المسلمين، فأمعنوا في إذلالهم وإرغامهم على العبوديّة والذلّ.

ورُفع رأس الشهيد زيد كما رُفع رأس جدّه الإمام الحسين عليه السلام على رمح يطاف به في الأقطار، حتّى انتهى إلى طاغية الشام، فقابله بمزيد من الابتهاج والسرور، كما فرح يزيد حين مثل رأس الإمام الحسين عليه السلام أمامه.

أمّا جسد زيد فقد أمر حاكم الكوفة بصلبه، فصلب على جذع أحاط به حرس مكثّف مخافة أن يُسرق ويُدفن، وبعد سنين أمر الطاغية بحرقه وذرّ رماده في حوض الفرات، وعلى مناطق الزرع ليشربه العراقيّون ويأكلونه حسب قوله.

وهكذا كانت السياسة العفنة للأمويّين لم تتورّع في جرائمها وموبقاتها تجاه العترة النبويّة.

٤ ومن المؤكّد أنّ الرزايا التي أحاطت بالعترة النبويّة كانت ناجمة من دون شكّ من مؤتمر السقيفة والشورى، فإنّ أعضاءهما قد مهّدوا الطريق للأمويّين

للاستيلاء على الحكم ، وليس في ذلك مجافاة للواقع ، وإنّما تمليه الدراسة الجادّة لوثائق التاريخ الإسلامي في عصوره الأُولى .

إنّ العترة الطاهرة التي هي من منابع النور والحكمة ، ومن رموز الوعي والفكر في الإسلام قد قوبلت بمزيد من الأسف والحزن بالاضطهاد والتنكيل ، وعاملها ملوك الأمويّين ومن بعدهم العبّاسيّين معاملة عدائيّة اتّسمت بالقتل والتوهين وبجميع صنوف الارهاق والتعذيب .

٥ إنّ من الوفاء للإسلام وللعلم دراسة التاريخ الإسلامي دراسة موضوعيّة بإمعان ، مجرّدة عن النزعات المذهبيّة التي تحول بين المرء ومعرفة الواقع ، فقد خلط التاريخ بكثير من الموضوعات التي لا أساس لها ، فقد دوّنت الكثير من الأحداث والبحوث دعماً للسلطة الحاكمة ، وتبريراً لاتّجاهاتها السياسيّة ،كما اُضفيت على بعض الأشخاص النعوت الكريمة والأوصاف الحسنة ، وهي لا تمتّ إلى واقعهم بصلة ، ولم تقتصر الموضوعات على وقائع التاريخ ، وإنّما امتدّت إلى كثير من الشؤون الدينيّة ، فقد اُلصقت بالشريعة الإسلاميّة بعض الأحكام التي هي بعيدة كلّ البعد عمّا جاء به الإسلام من تطوّر وإبداع وما شرّعه من الأحكام .

وعلى أي حال ، فإنّه يجب على الباحث فيما يكتبه وينشره بين الناس أن يتحرّى الواقع ، ويكون بعيداً عن التيّارات المذهبيّة والعاطفيّة التي شوّهت الواقع وألقت الشبه على الواقع الإسلامي المشرق .

٦ ونعود للحديث عن زيد ، فقد كان فيما أجمع عليه الرواة والمترجمون له أنّه من أقطاب العلماء ، ومن عيون الفقهاء ، وأنّ ما يملكه من القدرات العلميّة جعلته من أبرز علماء عصره ، ولم تقتصر علومه على الحديث والفقه ، وإنّما كان متضلّعاً في علم الكلام ، وفي تفسير القرآن الكريم ، وذكرت الصحف العراقيّة قبل حفنة من السنين أنّه يوجد له تفسير للقرآن في خزائن المخطوطات في مكتبة

الكونغرس الأمريكي.

وقد تلقّى علومه من أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام ، ومن أخيه الإمام الباقر عليه السلام باقر علوم الأوّلين والآخرين ، حسب ما يقول الرواة ، وكما كان على جانب كبير من الفضل ، وسعة الاطّلاع على العلوم ، فقد كان من أبرز علماء عصره في بلاغته وفصاحته ، وكان يسحر الجالسين بعذوبة بيانه ، حتّى خشي الطاغية هشام بن عبدالملك من إقامته في الشام ، فأمر بإخراجه خوفاً على ملكه منه.

٧ اُلصقت بزيد تهمة هو بريء منها ، فقد اتّهم بأنّ ثورته على الحكم الأموي لم تكن شرعيّة لأنّها لم تكن بإذن إمام عصره ، وهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، والذي نراه بمزيد من التأمّل أنّه لا واقع لهذه التهمة ، وأنّ ثورته كانت شرعيّة ، وأنّ الأئمّة عليهم السلام قد أقرّوا ثورته.

فأبوه الإمام زين العابدين عليه السلام كان -فيما اُوتي من علم- على دراية تامّة بشهادة ولده ، ولم يؤثر عنه أنّه نهاه وحرّم عليه القيام بالثورة على حكم الأمويّين.

وأمّا الإمام الباقر عليه السلام أخوه ، فقد ترحّم عليه كثيراً ، وأقرّ ثورته.

وكذلك ابن أخيه الإمام الصادق عليه السلام ، فقد أشاد بعمّه زيد وأثنى عليه ، وأبدى حزنه العميق على شهادته.

ومن المؤكّد أنّ الأئمّة العظام بعيدون عن المحاباة ، ولو كانت ثورة زيد غير شرعيّة لما أقرّوها ، وسنوضّح ذلك بمزيد من الاستدلال في بحوث هذا الكتاب.

٨ كنت قبل أربعين عاماً قد نشرت بحثاً مفصّلاً عن سيرة زيد وشهادته ، وعن عقائد الزيديّة في أجوبة المسائل الدينيّة التي تصدر في كربلاء المقدّسة لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد عبدالرضا الشهرستاني نضّر الله مثواه.

كما تناول البحث مسند زيد الذي يستند إليه فقهاء الزيديّة فيما يفتون به من الشؤون الدينيّة ، وقد كان الفقه الزيدي عيالاً على الفقه الحنفي ، لأنّ أبا حنيفة

كان زيدياً في عقيدته ، وقد أفتى بالجهاد بين يديه ، ويحتلّ المكانة السامية عند الزيديّين .

وقد نالت بحوثي عن عقائد الزيديّة رضا الكثيرين من علمائهم ، وقد أوفد بعض علمائهم جماعة من مثقّفي الزيديّة شاكرين لي ما كتبته عنهم من بحوث حرّة لا تحيّز فيها ، وأهدوا لي كتاب (معالم الزلفى)، ويعرض إلى الكثير من عقائد الزيديّة .

وعلى أي حال ، فإنّ الزيديّين بفرقهم التي انتشرت معظمها في اليمن تشكّل شريحة مهمّة في المجتمع الإسلامي ، لهم عقائدهم وتقاليدهم وعاداتهم التي لا تشذّ عن الإسلام في كثير من شؤونها .

٩ نال زيد اهتمام العلماء والبحّاث من قدامى ومحدثين ، فعكفوا على دراسة جادّة لحياته ، ومعالم شخصيّته ، وما أُثر عنه من أنواع العلوم ، كما عرضوا إلى أسباب ثورته الخالدة على الحكم الأموي الأسود الذي استهان بحقوق المسلمين وكرامتهم ، والتي منها ما جرى على زيد من الأمويّين من صنوف التنكيل التي أعقبت شهادته وصلب جثمانه وإحراقه بالنار .

إنّ اهتمام العلماء البالغ بشؤون حياة زيد وتدوينها يعزى إلى ما يتمتّع به من القابليّات الفذّة كقوّة إرادته ، وصلابته في الحقّ ، فلم تأخذه في الله تعالى لومة لائم ، كشأن آبائه الأئمّة الطاهرين الذين أخلصوا للحقّ .

ومضافاً لذلك فإنّه غصن من دوحة النبوّة والإمامة ، وإنّه جاهد في الله تعالى كأعظم ما يكون الجهاد ، فخاض غمار الحرب من أجل أن يقيم في الشرق العربي وغيره حكومة القرآن ، وينقذ المسلمين من ظلم الأمويّين وجورهم .

١٠ أمّا الكتب التي ألقت الأضواء على حياة زيد وسيرته وسائر شؤونه فهي :

١ ـ أخبار زيد بن عليّ لإبراهيم بن محمّد بن سعيد الثقفي (المتوفّى سنة

٢٨٣هـ)[١].

٢ـ أخبار زيد بن عليّ لمحمّد بن زكريّا مولى بني غلّاب (المتوفّى سنة ٢٩٨هـ)[٢].

٣ـ أخبار زيد بن عليّ لعبدالعزيز بن يحيى الجلودي (المتوفّى بعد سنة ٣٣٠هـ)[٣].

٤ـ مَن روى أخبار زيد بن عليّ ومسنده لأحمد بن محمّد، المعروف بابن عقدة (المتوفّى سنة ٣٣٢هـ)[٤].

٥ـ زيد بن عليّ للشيخ الصدوق أبي جعفر بن بابويه القمّي[٥].

٦ـ فضائل زيد بن عليّ لمحمّد بن عبدالله بن عبيدالله بن البهلول[٦].

٧ـ مَن روى عن زيد لمحمّد بن عبدالله بن عبيدالله بن البهلول[٧].

٨ـ زيد بن عليّ لميرزا محمّد الاسترآبادي الرجالي[٨].

٩ـ مقتل زيد بن عليّ لأبي الحسين عمر بن الحسن الشيباني[٩].

١٠ـ زيد الشهيد للعلّامة المحقّق السيّد عبدالرزّاق المقرّم، وقد استفدنا منه.

١١ـ زيد بن عليّ ومشروعيّة الثورة عند أهل البيت للفاضل الشيخ نوري حاتم.

١٢ـ ثورة زيد بن عليّ لناجي حسن.

---

(١) الفهرست / الشيخ الطوسي: ٣٧: ٧.

(٢) رجال النجاشي: ٣٤٧.

(٣) رجال النجاشي: ٢٤٢.

(٤) معالم العلماء: ٥٣.

(٥) رجال النجاشي: ٣٨٨.

(٦) هدية العارفين: ٢: ٣٨.

(٧) الغدير: ٣: ٧٣.

(٨) الذريعة: ١٢: ٨٩.

(٩) فهرست ابن النديم: ١٢٧.

١٣ـ تاريخ الفرقة الزيديّة للدكتورة فضيلة عبدالرزّاق الشامي .

هذه بعض الكتب التي عرضت لسيرة زيد .

وقبل أن أنهي هذا التقديم وأطوي الحديث عنه ، أعرض أنّي حينما فرغت ـ والحمد لله ـ من تأليف موسوعة أهل البيت عليهم السلام ألحّت عليَّ زوجتي أُمّ الرضا وفّقها الله تعالى لمراضيه أن أكتب عن حياة الشهيد الخالد زيد بن عليّ عليه السلام ، فرحّبت بفكرتها ، واستجبت لطلبها لما فيه من خدمة للعترة الطاهرة التي نرجوا من الله عزّ اسمه شفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون .

والله تعالى وليّ التوفيق

مكتبة الإمام الحسن العامة
النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

أُسْرَةُ زَيْدٍ وَوَالِدَتُهُ

ليس في دنيا الأنساب من العرب وغيرهم نسب أسمى ، ولا أجلّ ، ولا أزكى من نسب زيد ، فهو من صميم الأُسرة العلويّة التي اختارها الله تعالى لهداية عباده ، وفضّلها على العالمين .

فقد تفرّع منها خيرة النبيّين ، وأخوه سيّد الوصيّين ، وأنجبت هداة الإسلام ، ومعادن الإيمان ، وعدلاء الذكر الحكيم .

هذه الأُسرة التي نشرت الخير والرحمة ، وأشاعت الوعي والفضيلة بين الناس ، ومن فروعها زيد الثائر الملهم العظيم الذي أراد أن يعيد للإسلام نضارته ، ويقيم أوده ، ويحيي معالمه ، بعد أن وقع فريسة بأيدي العصابة المجرمة من الأمويّين الذين جهدوا على محو سطوره ، وتدمير أرصدته ، وقلع جذوره .

لقد ورث زيد صفات آبائه ومكوّناتهم النفسيّة ، فكان صورة مشرقة عنهم ، وامتداداً لمسيرتهم في ميادين الجهاد والاصلاح الاجتماعي .

ومن هذه الأُصول الكريمة التي تفرّع منها زيد عليه السلام :

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو سيّد العترة الطاهرة ، وأخو النبيّ صلى الله عليه وآله ، وباب مدينة علمه ، ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى . إنّه الجدّ الأعلى لزيد .

الإمام الحسين عليه السلام ، هو المنقذ لدين الإسلام ، الذي رفع كلمة الله تعالى في تضحيته التي أعزّ الله تعالى بها الكتاب ، وجعلها عبرة لأُولي الألباب ، فما أعظم

عائدته على الإسلام، ولولا تضحيته لما أبقى الأمويّون ظلاً ولا شبحاً للإسلام، وبهدي الإمام الحسين عليه السلام تغذّى حفيده زيد، فكانت ثورته الخالدة امتداداً لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

الأب

أمّا الأب لزيد فهو سيّد الساجدين، وزين العابدين، ومن ألمع سادات المسلمين، وسنذكر عرضاً لشؤونه في البحوث الآتية.

الأُمّ

أمّا أُمّ زيد فهي الفاضلة الزكيّة من سيّدات نساء المسلمين في عفّتها وطهارتها وسموّ ذاتها، وهي أمة اشتراها القائد الملهم المختار الثقفي بعد ما تبيّن طهارتها وعفّتها، وكان يعتزّ بها ويكبرها[١]، فأهداها للإمام زين العابدين عليه السلام لتكون ذرّيّتها امتداداً للإمام الحسين عليه السلام التي اجتثّت ذرّيّته العصابة الأمويّة في صعيد كربلاء،

وقد قبل الإمام زين العابدين هديّته بمزيد من الشكر والتقدير، كما أرسل المختار ثلاثين ألف درهم، فبنى الإمام بها دور السادة من آل عقيل، وهي التي هدمتها السلطة الأمويّة بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام.

تزوّج الإمام زين العابدين عليه السلام بهذه السيّدة الفاضلة فوجد عندها من الكمال والآداب ممّا ملأ نفسه الشريفة رضاً وإعجاباً بها، وقد رزقه الله تعالى منها خيرة السادة أدباً وفضلاً، وسنتحدّث عنهم في فصول هذا الكتاب.

ومن الجدير بالذكر أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين تبنّوا الخطّ الإسلامي لا يرون تفاوتاً في الزواج من الأمة وغيرها من النساء العربيّات، وأنّ التفاضل بينهنّ إنّما هو

---

(١) مقاتل الطالبيين: ١٣٧.

بالتقوى حسب ما قرّره الإسلام .

ولمّا تزوّج الإمام زين العابدين عليه السلام بهذه الأمة أو بغيرها رفعت السلطة في يثرب ذلك إلى حاكم دمشق عبدالملك بن مروان ، فاغتنم ذلك فرصة للتنديد بالإمام عليه السلام ، فرفع إليه رسالة ينكر فيها ذلك أشدّ الإنكار ، وجاء في بعض فصولها : « وقد كان لك في قريش من تمجّد به في الصهر ، فلالنفسك نظرت ، ولا لذرّيّتك » .

فأجابه الإمام بمنطق الإسلام إنّه لا ضير عليه في ذلك ، وإنّما اللؤم والانحطاط في السير على تقاليد الجاهليّة ومعالمها .

اسمها المبارك

أمّا السيّدة أُمّ زيد ، فقد كانت سنديّة ، وأمّا اسمها فقيل :

١ ـ حيدان(١) .

٢ ـ جيداء(٢) .

٣ ـ جيدا(٣) .

٤ ـ حوراء(٤) .

٥ ـ غزالة(٥) .

وليس هناك أيّة فائدة تعود على القرّاء في تحقيق أي اسم من هذه الأسماء كان اسماً لها .

---

(١) سرّ السلسلة العلويّة : ٣٢. غاية الاختصار في البيوتات العلويّة : ١٠٧ .

(٢) سرّ السلسلة العلويّة : ٣٦ .

(٣) الحدائق الورديّة : ١ : ٤٥ .

(٤) أمالي الصدوق : ٣٣٥. أعيان الشيعة : ٧ : ١٠٧ .

(٥) تهذيب ابن عساكر : ٦ : ١٨ .

رؤيا الإمام زين العابدين عليه السلام

يقول الرواة : إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام رأى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه ، فأخذ بيده وأدخله الجنّة وزوّجه بحوراء ، فعلقت منه ، فأمره النبيّ صلى الله عليه وآله أن يسمّي المولود بزيد ، ولمّا ولد زيد أخرجه لأصحابه وهو يقول : ﴿ **هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقّاً** ﴾[١] .

الوليد المبارك

أشرقت يثرب بولادة زيد ، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام وبقيّة أهل البيت ينتظرونه بفارغ الصبر لأنّه امتداد لأسرته التي حصدتها سيوف الأمويّين ، وقد غمرت الإمام وأفراد أُسرته موجات من الفرح بهذا المولود المبارك .

وبادر الإمام فأذّن في أُذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، وأجرى عليه المراسم الشرعيّة ، فعقّ عنه في اليوم السابع بكبش وتصدّق بلحمه على الفقراء ، وخصّ القابلة ببعضه ، وكانت ولادته في يثرب في دار الإمام الباقر عليه السلام التي هي دار أبيه وجدّه الحسين عليهما السلام .

الزمان

أمّا الزمان الذي ولد فيه زيد ففيه أقوال للرواة ، وهذه بعضها :

١ ـ ولد سنة ٧٥هـ[٢] .

٢ ـ ولد سنة ٧٨هـ[٣] .

---

(١) يوسف ١٢ : ١٠٠ .

(٢) الحدائق الورديّة : ١ : ١٤٣ .

(٣) تهذيب ابن عساكر : ٦ : ١٨ . أعيان الشيعة : ٧ : ١٠٧ .

٣- وقيل غير ذلك.

تفاؤل الإمام عليه السلام لولده

وأخذ الإمام المصحف الشريف وتفأل فيه عن مصير ولده وفتحه، فخرجت الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾(١).

وفتحه ثانياً فخرجت الآية: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾(٢).

وطبق المصحف ثمّ فتحه، فخرجت الآية: ﴿**فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً**﴾(٣).

وتعجّب الإمام وراح يقول: **عُزِّيتُ عَنْ هٰذَا الْمَوْلودِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الشُّهداءِ**(٤).

لقد تنبّأ الإمام بشهادة ولده، وأحاط أصحابه علماً بشهادته، وأنّه من المجاهدين في سبيل الله تعالى والفائزين بكرامته.

تسميته عليه السلام

أمّا تسميته فتعزوه بعض المصادر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو الذي سمّاه زيداً، ففي حديث حذيفة بن اليمان، قال: «نظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى زيد بن حارثة فقال: **الْمَظْلُومُ مِنْ أَهْلِ بَيْتي سَمِيُّ هٰذا، وَالْمَقْتولُ في اللهِ تَعالىٰ، وَالْمَصْلوبُ سَمِيُّ هٰذا**، وأشار إلى زيد بن حارثة.

---

(١) التوبة ٩: ١١١.

(٢) آل عمران ٣: ١٦٩.

(٣) النساء ٤: ٩٥.

(٤) الروض النضير: ١: ٥٢.

ثمّ قال: **ادْنُ مِنّي يا زَيْدُ، زادَكَ اللهُ حُبّاً عِنْدي، فَأَنْتَ سَمِيُّ الْحَبيبِ مِنْ وَلَدي**».

ونظير هذا الحديث أحاديث أُخرى تؤكّد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو الذي سمّى زيداً بهذا الاسم.

كنيته عليه السلام

كان زيد يكنّى بأبي الحسين نسبة لأحد السادة من أولاده، وهو ذو الدمعة[١].

نقش خاتمه عليه السلام

كان نقش الخاتم في العصور الأُولى يحكي اتّجاهات الشخص وميوله، ونقش خاتم زيد كان: « اصبر تؤجر، اصدق تنج »[٢].

ملامحه عليه السلام

وذكر المؤرّخون ملامح زيد، فقالوا: إنّه كان طويل القامة، جميل المنظر، أبيض اللون، وسيم الوجه، واسع العينين، مقرون الحاجبين، كثّ اللحية، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، دقيق المسربة، واسع الجبهة، أقنى الأنف، أسود الرأس واللحية، إلّا أنّ الشيب خالط عارضيه[٣].

وهذه الملامح الكريمة شبيهة بملامح وصفات آبائه الأئمّة الطاهرين الذين أناروا الدنيا بإيمانهم وعلومهم.

هيبته عليه السلام

أمّا هيبة زيد فكانت تعنو لها الجباه، وتملأ النفوس إكباراً، وهي تضارع هيبة آبائه

---

(١) زيد الشهيد / المقرّم: ١٤، نقلاً عن تاريخ الأمم والملوك: ٨: ٢٧٥.

(٢) الروض النضير: ١: ٤. مقاتل الطالبيّين: ٨٩. أعيان الشيعة: ٧: ١٠٧.

(٣) زيد الشهيد / المقرّم: ١٤.

التي كانت من أنوار النبوّة والإمامة .

يقول الوابشي : « إذا رأيت زيد بن عليّ رأيت أسارير النور في وجهه »(١) .

إنّه نور الإيمان ، ونور الإنابة إلى الله تعالى .

انطباعات عن شخصيّته عليه السلام

احتلّ زيد المكانة الرفيعة عند الأئمّة الطاهرين ، وعند العلماء المعاصرين له وغيرهم ، فقد أجمعوا على تقديمه بالفضل على غيره من علماء عصره ، وهذه نماذج من كلمات الأئمّة أوّلاً :

١ ـ الإمام الباقر عليه السلام

كان الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام يجلّ أخاه زيداً ويعظّمه ، ويخلص له لأنّه من أفذاذ العلماء ، ومثال للإيمان والتقوى ، وقد روى المؤرّخون صوراً من كلمات الإمام في حقّه ، وهذه بعضها :

١ ـ قال الإمام أبو جعفر بإكبار ومودّة لأخيه زيد : « **لَقَدْ أَنْجَبَتْ أُمٌّ وَلَدَتْكَ يا زَيْدُ ، اللّهُمَّ اشْدُدْ أَزْرِي بِزَيْدٍ** »(٢) .

حكى هذا الحديث الاخوّة الصادقة بين الإمام وأخيه زيد .

٢ ـ روى سدير الصيرفي ، قال : « كنت عند أبي جعفر الباقر عليه السلام ، فدخل زيد فضرب أبو جعفر على كتفه ، وقال له : **هٰذا سَيِّدُ بَني هاشِمٍ ، إذا دَعاكُمْ فَأَجِيبوهُ ، وَإذا اسْتَنْصَرَكُمْ فَانْصروهُ** »(٣) .

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٨٦.

(٢) الأغاني : ٢٤ : ٩٦.

(٣) غاية الاختصار : ٣٠. سرّ السلسلة العلويّة : ٥٧.

وحكى هذا الحديث إقرار الإمام وتأييده لثورة زيد ، ولا مجال للكلام والشك فيها .

٣ ـ سئل الإمام أبو جعفر عن أخيه زيد ، فقال للسائل : **« سَأَلْتَني عَنْ رَجُلٍ مُلِئَ إِيْماناً وَعِلْماً مِنْ أَطْرافِ شَعَرِهِ إِلىٰ قَدَمَيْهِ ، وَهُوَ سَيِّدُ أَهْلِ بَيْتِهِ »**[١] .

٤ ـ روى المؤرّخون أنّ الإمام أبا جعفر عليه السلام كان جالساً ومعه أخوه زيد ، فدخل عليه رجل من أهل الكوفة فقال له الإمام : **إِنَّكَ لَتَرْوي طَرائِفَ مِنْ نَوادِرِ الشِّعْرِ ، فَكَيْفَ قالَ الأَنْصارِيُّ لأَخيهِ ؟**

فأنشده :

لَـعَمرُكَ مـا أَنْ أَبـو مـالِكٍ ... بِـوانٍ وَلا بِـضَعيفٍ قُـواهُ
وَلا بِـأَلَـدَّ لَـهُ نـازِعٌ ... يُـعادي أَخـاهُ إِذا مـا نَـهاهُ
وَلٰكِـنَّهُ غَـيرُ مِـخْلافَةٍ ... كَريمُ الطَّبائِعِ حُلوٌ ثَـناهُ[٢]
وَإِنْ سِدتَهُ سِدتَ مِطواعَـةً ... وَمَـهْما وَكَـلتَ إِلَـيْهِ كَـفاهُ

فوضع أبو جعفر عليه السلام يده على كتف زيد ، وقال له : **هٰذِهِ صِفَتُكَ يا أَخي ، وَأُعيذُكَ بِاللهِ أَنْ تَكونَ قَتيلَ الْعِراقِ »**[٣] .

ومعنى هذا الشعر أنّ زيداً كان قوي الشكيمة ، صلب الإرادة ، ماضي العزيمة ، منقاد لأخيه ،كريم في طبائعه ، وأنّه مهما وكل إليه من أمر عظيم فإنّه أهل للقيام به ، ولا يتّصف بهذه الصفات الرفيعة إلّا الأفذاذ والنبلاء من الناس .

لقد أضفى عليه الإمام الباقر عليه السلام أسمى النعوت والصفات ، ومنحه الودّ الخالص .

---

(١) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب : ٨٤.

(٢) وفي رواية : « حلو نثاه ».

(٣) زهر الآداب : ١ : ١١٨.

ومن المؤكّد أنّ مقام الإمام عليه السلام بعيد كلّ البعد عن الاندفاع وراء العواطف والرغبات ، وإنّما رأى أخاه من أروع صور التكامل ، فمنحه هذا الحبّ والتكريم .

٢ ـ الإمام الصادق عليه السلام

كان الإمام الصادق عليه السلام يجلّ عمّه زيداً ويبجّله ويفضّله على بقيّة أعمامه من الهاشميّين والعلويّين ، وذلك لفضله وعلمه وتقواه ، وكان من تعظيم الإمام الصادق عليه السلام وتبجيله لعمّه زيد أنّه يمسك له بالركاب ، ويسوّي ثيابه على السرج[١] .

وقد أُثرت عنه بعض الأحاديث في فضله وسموّ ذاته ، كما أبدى أساه وحزنه على شهادته ، وهذه شذرات من أحاديثه :

١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام لفضيل الرسّان : **يا فُضَيْلُ ، قُتِلَ عَمّيَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ ؟**

فقال له : نعم ، جعلت فداك .

فأبدى الإمام تأثّره البالغ ، وقال مؤبّناً له : **رَحِمَهُ اللهُ ، أما إِنَّهُ كانَ مُؤْمِناً ، وَكانَ عارِفاً ، وَكانَ عالِماً ، وَكانَ صَدوقاً ، أما إِنَّهُ لَوْ ظَفَرَ لَوَفىٰ ، أما إِنَّهُ لَوْ مَلَكَ لَعَرَفَ كَيْفَ يَضَعُها**[٢] .

من المؤكّد أنّ زيداً لو طوى بثورته الخالدة الحكم الأموي لما تقلّد الحكم وأعطاه إلى من هو أولى به منه .

٢ ـ ولمّا بلغ الإمام الصادق عليه السلام شهادة عمّه زيد ، وما جرى عليه من المصائب ، حزن حزناً شديداً وقال بألم وأسى : **إِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعونَ ، عِنْدَ اللهِ أَحْتَسِبُ عَمّي ، إِنَّهُ كانَ نِعْمَ الْعَمُّ ، إِنَّ عَمّي كانَ رَجُلاً لِدُنْيانا وَآخِرَتِنا ، مَضىٰ وَاللهِ شَهيداً كَشُهَداءِ**

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٢٩ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٧ : ٣٢٥ ، الحديث ٢٢ . اختيار معرفة الرجال : ٢ : ٥٠٥/٥٧٠ .

اسْتُشْهِدوا مَعَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وعَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ ، مَضىٰ وَاللهِ شَهيداً »[١] .

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام في حقّ عمّه : **« كانَ وَاللهِ سَيِّداً ، وَاللهِ ما تَرَكَ فينا لِدُنْيانا وَلَا لآخِرَتِنا مِثْلَهُ »**[٢] .

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أدلى بها الإمام الصادق عليه السلام في فضل عمّه ، وتأثره بما جرى عليه من صنوف التنكيل من الأمويّين الذين لم يؤمنوا بالإسلام ولا بالقيم الإنسانيّة .

٣ ـ الإمام الرضا عليه السلام

جرى حديث بين الإمام الرضا عليه السلام وبين المأمون في شأن زيد ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لمّا خرج على المأمون بالبصرة ، وأحرق دور بني العبّاس ، فوهبه المأمون للإمام عليه السلام وعفا عنه لأجل الإمام الرضا عليه السلام ، وقال له : لولا مكانك منّي لقتلته ، وقد خرج قبله زيد بن عليّ فقُتل .

فقال الرضا عليه السلام : **لَا تَقِسْ أَخي زَيْداً بِزَيْدٍ ، فَإِنَّهُ مِنْ عُلَماءِ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، غَضِبَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فَجاهَدَ أَعْداءَهُ حَتّىٰ قُتِلَ في سَبيلِهِ ، وَقَدْ حَدَّثَني أَبي مُوسىٰ أَنَّهُ سَمِعَ أَباهُ جَعْفَرَ يَقولُ : رَحِمَ اللهُ عَمّي زَيْداً إِنَّهُ دَعا إِلَى الرِّضا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَلَوْ ظَفَرَ لَوَفىٰ بِما دَعا إِلَيْهِ ، وَقَدِ اسْتَشارَهُ في خُروجِهِ ، فَقالَ : إِنْ رَضيتَ أَنْ تَكونَ الْمَقْتولَ بِالْكُناسَةِ فَشَأْنُكَ ، فَلَمّا انْصَرَفَ قالَ جَعْفَرُ : وَيْلٌ لِمَنْ سَمِعَ واعِيَتَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ .**

وختم الإمام الرضا عليه السلام حديثه مع المأمون عن زيد بقوله : **كانَ زَيْدٌ ـ وَاللهِ ـ مِمَّنْ خُوطِبَ بِهٰذِهِ الْآيَةِ : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾**[٣] .

---

(١) عيون الأخبار : ٢ : ٢٢٨ . بحار الأنوار : ٤٦ : ١٧٥ ، الحديث ٢٨ .

(٢) تاريخ الشام : ٦ : ١٨ .

(٣) الحجّ ٢٢ : ٧٨ .

هذه بعض أحاديث الأئمة عليهم السلام ، وهي تحكي تعظيمهم لزيد ، ولوعتهم على ما أصابه من التنكيل .

٤ـ عمر بن عبدالعزيز

قال عمر بن عبدالعزيز : « إنّ زيداً لمن الفاضلين في قوله ودينه »[١] .

٥ـ يحيى بن زيد

فجع يحيى بشهادة أبيه زيد ، وبكاه أمرّ البكاء ، وسار على منهجه ، واستشهد ـكما سنذكر ذلك في بحوث هذا الكتابـ .

وقد روى عمير بن المتوكّل البلخي عن أبيه هذا الحديث الذي جرى بين يحيى وبينه .

قال المتوكّل : لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه ، وهو متوجّه إلى خراسان ، فما رأيت رجلاً في عقله وفضله مثله ، فسألته عن أبيه ، فقال : قتل وصلب بالكناسة ، ثمّ بكى وبكيت حتّى غشي عليه ، فلمّا سكن قلت له : يابن رسول الله ، ما الذي أخرجه إلى قتال هذا الطاغي ، وقد علم من أهل الكوفة ما علم ؟

فقال يحيى : نعم ، لقد سألته عن ذلك ، فقال : سمعت أبي يحدّث عن أبيه الحسين بن عليّ ، قال : **وَضَعَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَدَهُ عَلىٰ كَتِفي ، وَقالَ : يا حُسَيْنُ ، يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِكَ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ زَيْدٌ ، يُقْتَلُ شَهيداً ، فَإذاكانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ يَتَخَطّىٰ هُوَ وَأَصْحابُهُ رِقابَ النّاسِ ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ .**

فأحببت أن أكون كما وصفني رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثمّ قال : رحم الله أبي ، كان أحد المتعبّدين ، قائماً ليله ، صائماً نهاره ، جاهد في

---

(١) مجموعة كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٧٩.

سبيل الله تعالى حقّ جهاده .

فقال له المتوكّل : يابن رسول الله ، هكذا يكون الإمام بهذه الصفة ؟

فأجابه يحيى : يا عبدالله ، إنّ أبي لم يكن بإمام ، ولكن كان من السادة الكرام وزهّادهم ، وكان من المجاهدين في سبيل الله .

فقال المتوكّل : يابن رسول الله ، إنّ أباك قد ادّعى الإمامة لنفسه ، وخرج مجاهداً في سبيل الله ، وقد جاء عن رسول الله فيمن ادّعى الإمامة كاذباً .

فردّ عليه يحيى : يا عبدالله ، إنّ أبي كان أعقل أن يدّعي ما ليس له بحقّ ، إنّما قال : أدعوكم إلى الرضا من آل محمّد ، عنى بذلك ابن عمّي جعفر .

فقال المتوكّل : فهو اليوم صاحب فقه ؟

فأجابه يحيى : نعم ، هو أفقه بني هاشم(١) .

حكى هذا الحديث بعض ما اتّصف به زيد من الصفات الشريفة التي منها الإنابة إلى الله تعالى في صلاته وصيامه ، وقيامه بالليل يتلو كتاب الله تعالى .

لقد خرج مجاهداً في سبيل الله تعالى لإحياء دينه ومناهضة أعدائه ، ولم يخرج في سبيل الملك والسلطان ، وإنّما كان يدعو للرضا من آل محمّد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، ولو استولى على الحكم لقلّده لسيّد العترة ابن أخيه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ .

٦ ـ عبدالله المحض

أمّا السيّد عبدالله المحض فهو من أشراف العلويّين ومن عيونهم ، وقد أدلى بحديث عن زيد مشفوع بالتعظيم والإكبار ، قال : « أما والله لقد أحيا زيد بن عليّ ما دثر من سنن المرسلين ، وأقام عمود الدين إذ خرج ، لا يمحى أثره ، ولا يقتبس

---

(١) زيد الشهيد : ٥٥ و ٥٦ ، نقلاً عن كفاية الأثر : ٣٠٢ ـ ٣٠٤ .

إلّا من نوره ، وزيد إمام ، وأوّل من دعا إلى الله تعالى بعد الحسين بن عليّ »[١] .

٧ـ أبو حنيفة

أمّا أبو حنيفة فهو من تلاميذ زيد ، ومن الذاهبين إلى إمامته ، وقد أفتى بالجهاد معه ،كما ساعده ببعض الأموال لإقامة دعوته ، وكان يكنّ له في أعماق قلبه المودّة والاحترام ، وقد صرّح بما يلي :

« شاهدت زيد بن عليّ كما شاهدت أهله ، فما رأيت أفقه منه ، ولا أعلم ، ولا أسرع جواباً ، ولا أبين قولاً ، لقد كان منقطع القرين »[٢] .

ومعنى قوله إنّ زيداً أفقه أهل زمانه في أحكام الشريعة ، وأنّه أسرع العلماء جواباً ، وأكثرهم فصاحة وبياناً .

٨ـ سفيان الثوري

أمّا سفيان الثوري فهو من أعلام عصره في فقهه وسعة علمه ، وقد أدلى ببعض أحاديثه عن إكباره لشخصيّة الإمام زيد ، قال :

١ ـ «كان زيد أعلم خلق الله تعالى بكتاب الله تعالى ، وقد قام مقام الحسين بن عليّ »[٣] .

٢ ـ « بذل زيد مهجته لربّه ، وقام بالحقّ لخالقه ، ولحق بالشهداء المرزوقين من آبائه »[٤] .

ومعنى حديثه أنّ زيداً أعلم أهل عصره بكتاب الله تعالى ، وأنّه كجدّه الحسين

---

(١) مقتل الحسين عليه‌السلام / الخوارزمي : ٧٥ .

(٢) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب : ١٥٦ . مسند زيد بن عليّ : ٤٧ .

(٣) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب : ١٥٦ .

(٤) المصدر المتقدّم : ١٦٤ .

وآبائه عليهم السلام في جهاده .

٩- خالد بن صفوان

من المعجبين بزيد خالد بن صفوان ، قال : « ما رأيت رجلاً في الدنيا ، قرشياً ولا عربياً ، يضاهي زيداً في العقل والحجج ».

وقال : « انتهت الفصاحة والخطابة ، والزهادة والعبادة من بني هاشم لزيد »(١).

١٠- الطاغية هشام

أبدى الطاغية هشام بن الحكم مخاوفه من زيد ، وذلك لما يتمتّع به من الصفات الرفيعة التي تؤهّله لقيادة الأمّة ، قال : « قدم زيد بن عليّ على أمير المؤمنين -يعني نفسه- في خصومة ، فرأى -يعني هشاماً- رجلاً جدلاً لسناً ، يصوغ الكلام وتمويهه ، واجترار الرجال بحلاوة لسانه ، وكثرة مخارجه في حججه ، وما يدين به عند الخصام في العلوّ على الخصم بالقوّة المؤدّية إلى الفلج »(٢).

١١- أبو غسّان الأزدي

يقول أبو غسّان الأزدي : « قدم علينا زيد بن عليّ إلى الشام أيّام هشام بن عبدالملك ، فما رأيت رجلاً كان أعلم بكتاب الله منه »(٣).

١٢- الطقطقي

كان زيد من عظماء أهل البيت علماً وزهداً ، وورعاً وشجاعة ، وديناً وكرماً »(٤).

---

(١) مجموعة كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٧٩.

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٢٣٨.

(٣) مجموعة كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٨٠.

(٤) الفخري : ١٣٢.

١٣ـ عمرو بن خالد

قال عمرو بن خالد الواسطي: «ما رأيت هاشمياً قطّ مثل زيد بن عليّ، ولا أفصح، ولا أزهد، ولا أورع، ولا أبلغ في قول، ولا أعرف باختلاف الناس، ولا أشدّ حالاً، ولا أقوم بحجّة، فلذلك اخترت صحبته على جميع الناس»[١].

١٤ـ الشعبي

من المعجبين بزيد: الشعبي، فقد ذهب إلى أنّ النساء لم يلدن مثل زيد في الفقه والعلم[٢].

١٥ـ الخزّار

أثنى الخزار على زيد، قال: «كان زيد بن عليّ معروفاً بالستر والصلاح مشهوراً عند الخاصّ والعامّ بالمحلّ الشريف الجليل، وكان خروجه على سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا على سبيل المخالفة لابن أخيه جعفر عليه السلام»[٣].

١٦ـ الشيخ المفيد

قال الشيخ المفيد شيخ الطائفة في علمه وتقواه: «كان زيد بن عليّ عليه السلام عين اخوته بعد أبي جعفر الباقر عليه السلام وأفضلهم، وكان عابداً، فقيهاً، سخيّاً، شجاعاً»[٤].

هذه بعض الكلمات التي أدلى بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والعلماء المعاصرون لزيد، وغيرهم، وهي تحمل آيات التبجيل والتعظيم لما يتمتّع به من الصفات

---

(١) مسند زيد بن عليّ: ٣٨٢.

(٢) الخطط المقريزيّة: ٤: ٣٠٧.

(٣) شرح الأخبار: ٣: ٢٨٦.

(٤) الإرشاد: ٦٨.

الكريمة والنزعات الشريفة التي احتلّ بها العواطف والقلوب .

وقبل أن نطوي الحديث عن الانطباعات عن شخصيّته نترك الحديث له عن انطباعاته الخاصّة عن نفسه ، يقول : « إنّ زيد بن عليّ لم يهتك لله محرماً منذ عرف يمينه عن شماله »[١] ، وهو تعبير عن دقيق إيمانه وإنابته إلى الله تعالى .

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٣٨ .

في ظلال أبيه عليه السلام

عاش زيد خمسة عشر عاماً في كنف أبيه الذي هو دنيا من الفضائل لا تحصى ولا تعدّ ، وقد تأثّر بهديه وسلوكه ، فسار على منهاجه عزوفاً عن الدنيا ، نابذاً لمباهجها ، متّجهاً لكلّ ما يقرّبه إلى الله تعالى زلفى .

وليس في هذا الشرق العربي الذي هو مهد النبوّات من يشابه الإمام زين العابدين في تقواه وورعه وفضائله عدا آبائه العظام هداة الإسلام وينابيع الحكمة ، وهو سراج الدنيا ، وجمال الإسلام ، كما يقول عمر بن عبدالعزيز[١] .

وهذه لمحات من بعض سيرته وشؤونه :

أخلاقه عليه‌السلام الرفيعة

من معالي أخلاقه وسموّ آدابه أنّه كان يقابل من أساء إليه بالعفو والصفح الجميل ، ويغدق عليه البرّ والإحسان ، فقد روى المؤرّخون أنّ إسماعيل بن هشام المخزومي كان والياً في المدينة ، وهو من أعداء أهل البيت عليهم‌السلام ، وكان يجاهر في سبّهم وشتمهم ، كما كان لا يترك الإساءة للإمام زين العابدين عليه‌السلام ، فكان يقصده إلى داره ويبالغ في سبّه .

ولمّا ولي الوليد بن عبدالملك الخلافة بادر إلى عزله ، والوقيعة به لهنات وبغضٍ

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٤٨.

كانت بينهما قبل أن يتقلّد الوليد الخلافة ، وقد أوعز إلى السلطة بعرضه على الناس لاستيفاء حقوقهم منه لعلمه بإساءته لهم وابتزازه لأموالهم .

وفزع هشام من الإمام زين العابدين عليه السلام لكثرة إساءته له ، وقال : « ما أخاف إلّا من عليّ بن الحسين ، فإنّه رجل صالح يسمع منه » .

ولكنّ الإمام زين العابدين عليه السلام عهد إلى أصحابه ومحبّيه أن لا يتعرّضوا له بأذى أو مكروه ، وانطلق إليه الإمام فقابله ببسمات فيّاضة بالبشر ، وعرض عليه القيام بما يحتاجه قائلاً: **يابْنَ الْعَمِّ ، عافاكَ اللهُ ، لَقَدْ ساءَني ما صُنِعَ بِكَ ، فَادْعُنا إِلىٰ ما أَحْبَبْتَ** .

وذهل هشام وراح يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء[١] .

ومن سموّ أخلاقه أنّه كان في كلّ يوم من شهر رمضان يذبح شاة ويطبخها ويوزّعها على الفقراء ، وحمل غلامه إناءً فيه مرق شديد الحرارة ، فعثر بأحد أطفال الإمام فتوفّي بالوقت ، فارتفعت الصيحة من دار الإمام ، وكان الإمام يصلّي ، وبعد الفراغ من صلاته أُخبر بوفاة ولده ، فأسرع نحو الغلام فرآه يرعد من شدّة الخوف ، فقابله بلطف ورحمة قائلاً له : « **لَقَدْ ظَنَنْتَ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الظُّنونَ ، ظَنَنْتَ أَنَّهُ يُعاقِبُكَ وَيَقْتَصُّ مِنْكَ . اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ ، وَهٰذِهِ أَرْبَعَةُ آلافِ دينارٍ هَدِيَّةٌ ، وَاجْعَلْني في حِلٍّ مِنَ الْخَوْفِ الَّذي داخَلَكَ مِنْ أَجْلي** »[٢] .

أيّة نفس ملائكيّة هذه النفس التي ارتفعت من عالم البشر وغرائزه إلى عالم الملكوت .

ومن معالي أخلاقه أنّه كان خارجاً من المسجد فعرض له شخص من شانئيه

---

(١) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل : ٢٠٨ . الطبقات الكبرى : ٥ : ٢٢٠ .

(٢) صفة الصفوة : ٢ : ٤٥١ .

فقابله بالسبّ والشتم، فثار عليه بعض أصحاب الإمام، فنهاهم وأقبل على الرجل وقال له بلطف: **ما سَتَرَ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِنا أَكْثَرُ، أَلَكَ حاجَةٌ نُعينُكَ عَلَيْها ؟**

فاستحيى الرجل وبان عليه الخجل، فبادر نحوه الإمام فألقى عليه خميصة وأمر له بألف درهم، وراح الرجل يقول: أشهد أنّك من بني الرسل[(١)].

هذه شذرات ونفحات من أخلاقه التي تفيض بالشرف والحلم ونكران الذات.

عبادته عليه السلام

كان الإمام أعبد الناس، وأكثرهم إنابة إلى الله عزّ اسمه، والانقطاع إليه، وقد لقّب بهذه الألقاب:

١ ـ ذو الثفنات، وذلك لكثرة سجوده، فكانت مواضع سجوده لها ثفنة كثفنة البعير.

٢ ـ زين العابدين.

٣ ـ سيّد العابدين.

٤ ـ السجّاد.

٥ ـ المتهجّد.

وهذه الألقاب تشير إلى كثرة صلاته وعبادته عليه السلام، وقد روى المؤرّخون عن خشيته من الله تعالى أنّه إذا توضّأ اصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟

فيقول: **أَتَدْرونَ بَيْنَ يَدَي مَنْ أَقومُ ؟!**

وإذا قام إلى الصلاة توجّه بقلبه نحو الله تعالى، فلا يشغله شاغل، ولا يصدّه صاد

---

(١) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل: ٢٠٨.

عن الله تعالى . يقول الإمام الباقر عليه السلام : «كانَ أَبي إذا وَقَفَ لِلصَّلاةِ لَمْ يَشْتَغِلْ بِغَيْرِها ، وَلَمْ يَسْمَعْ شَيْئاً لِشُغْلِهِ بِها»(١) .

وقد سقط بعض ولده فانكسرت يده ، فصاح أهله وجيء له بمجبّر فجبّر يده والصبيّ يصرخ من شدّة الألم ، ولم يسمع الإمام ذلك ، فلمّا أصبح ورأى الصبيّ قد شدّت يده سأل عن ذلك ، فأخبره أهله بالأمر(٢) .

وقد أجهدته العبادة ، فخاف عليه أهله ، فراحوا يتوسّلون إليه ليخفّف من عبادته ، فأبى ذلك ، يقول الإمام الباقر عليه السلام :

«لَمّا رَأَتْ فاطِمَةُ بِنْتُ الْإِمامِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام ما يَفْعَلُ ابْنُ أَخيها عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بِنَفْسِهِ مِنَ الدَّأْبِ في الْعِبادَةِ أَقْبَلَتْ إِلىٰ جابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ الْأَنْصارِيِّ ، فَقالَتْ لَهُ : يا صاحِبَ رَسولِ اللهِ ، إِنّا لَنا عَلَيْكُمْ حُقوقاً ، وَمِنْ حَقِّنا عَلَيْكُمْ إِذا رَأَيْتُمْ أَحَدَنا يُهْلِكُ نَفْسَهُ اجْتِهاداً أَنْ تُذَكِّروهُ اللهَ وَتَدْعوهُ إِلَى الْبُقْيا عَلىٰ نَفْسِهِ ، وَهٰذا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بَقِيَّةُ أَبيهِ الْحُسَيْنِ قَدِ انْخَرَمَ أَنْفُهُ ، وَنُقِبَتْ جَبْهَتُهُ وَرُكْبَتاهُ وَراحَتاهُ مِمّا دَأَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ فِي الْعِبادَةِ .

وانطلق جابر إلى الإمام عليه السلام فوجده في محرابه قد أجهدته العبادة ، فنهض إليه الإمام وأجلسه إلى جانبه ، وسأله سؤالاً حفيّاً عن حاله ، وانبرى جابر قائلاً: يابن رسول الله ، أما علمت أنّ الله تعالى إنّما خلق الجنّة لكم ولمن أَحبّكم ، وخلق النار لمن أَبغضكم وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك ؟

وقابله الإمام بلطف قائلاً له : يا صاحِبَ رَسولِ اللهِ ، أَما عَلِمْتَ أَنَّ جَدِّي رَسولَ اللهِ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَما تَأَخَّرَ ، فَلَمْ يَدَعِ الْإِجْتِهادَ لَهُ ، وَتَعَبَّدَ ـ بِأَبي وَأُمّي ـ

---

(١) إعلام الورى : ١ : ٣٦٠ . عيون الأخبار وفنون الآثار : ١٥١ و ١٥٢ . الدرّ النظيم : ٥٨٤ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٢٩٠ . بحار الأنوار : ٤٦ : ٨٠ .

حتّى انتفخَ ساقُهُ ، وَوَرِمَ قَدَمُهُ ، وَقَدْ قيلَ لَهُ : أَتَفْعَلُ هـذا وَقَـدْ غَـفَرَ اللهُ لَكَ ما تَـقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ ؟

فَقالَ : أَفَلا أَكونُ عَبْداً شَكوراً .

ولمّا نظر جابر إلى الإمام لا يغني معه قول يميل به من الجهد راح يقول له : يابن رسول الله ، البقيا عَلىٰ نفسك ، فإنّك من اُسرة بهم يستدفع البلاء ، وبهم تستكشف اللاواء ، وبهم تستمطر السماء .

فأجابه الإمام بصوت خافت قائلاً: **لا أَزالُ عَلىٰ مِنهاجِ أَبَوَيَّ مُؤْتَسِياً بِـهِما حَـتّىٰ أَلْقاهُما .**

وبهر جابر وأقبل على من حوله قائلاً: ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل عـليّ بـن الحسين إلّا يوسف بن يعقوب ، والله لذرّيّة الحسين أفـضل مـن ذرّيّـة يـوسف بـن يعقوب ، إنّ منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً [١] .

لقد اجتهد الإمام زين العابدين عليه السلام في عبادته ، وأخلص في طاعته لله عزّ اسمه ، ولم يؤثر عن الصالحين والمتّقين مثله في إنابته إلى الله تعالى .

صدقاته وبرّه عليه السلام

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أبرّ الناس بالفقراء وأعطفهم بالمساكين ، وكـان يؤثر أصحاب الفاقة والحاجة على نفسه وأهله ، وكـان ـ فـيما أجـمع عـليه الرواة ـ يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدّق به سرّاً ، ويـقول : « **إنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُـطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ** » [٢] .

---

(١) الإمام زين العابدين / أحمد فهمي : ٧٢ و ٧٣. مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٤٨ .

(٢) حلية الأولياء : ٣ : ١٣٦ .

وكان يعول مائة بيت في المدينة[١].

وإذا ناول الفقير الصدقة قبّله ثمّ ناوله[٢] لئلّا تظهر عليه الحاجة والذلّ.

وروى المؤرّخون أنّ الإمام أبا جعفر عليه السلام لمّا غسّل أباه بعد موته نظر بعض مَن كان حاضراً غسله إلى مواضع المساجد من ركبته وظاهر قدميه كأنّهما مبارك البعير من كثرة سجوده، إلّا أنّهم نظروا إلى عاتقه فوجدوا مثل ذلك الأثر، فسألوه عن ذلك.

فقال الإمام الباقر: «**أما إنّهُ لَوْ كانَ حَيّاً ما حَدَّثْتُكُمْ عَنْهُ، كانَ لَا يَمُرُّ بِهِ يَوْمٌ مِنَ الْأَيّامِ إلّا أَشْبَعَ فيهِ مِسْكيناً فَصاعِداً ما أَمْكَنَهُ، فَإذا كانَ اللَّيْلُ نَظَرَ إلىٰ ما فَضَلَ عَنْ قُوتِ عِيالِهِ يَوْمَهُمْ ذلِكَ، فَجَعَلَهُ في جِرابٍ، فَإذا هَدَأَ النّاسُ وَضَعَهُ عَلىٰ عاتِقِهِ، وَتَخَلَّلَ الْمَدينَةَ وَقَصَدَ قَوْماً لَا يَسْأَلونَ النّاسَ إلْحافاً، فَوَصَلَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمونَ مَنْ هُوَ، وَلَا يَعْلَمُ بِذلِكَ مِنْ أَهْلِهِ غَيْري، فَإنّي كُنْتُ اطَّلَعْتُ عَلىٰ ذلِكَ مِنْهُ يَرْجو بِذلِكَ فَضْلَ إعْطاءِ الصَّدَقَةِ بِيَدِهِ، وَدَفَعَها سِرّاً.**

وَكانَ يَقولُ: صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»[٣].

وروى الإمام الباقر عليه السلام بعض مبرّات أبيه، قال: «**كانَ أَبي رُبَّما يَشْتَري مِطْرَفَ الْخَزِّ بِخَمْسينَ ديناراً، فَيَشْتو فيهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ الْمَسْجِدَ فَإذا كانَ الصَّيفُ تَصَدَّقَ بِهِ، أَوْ بيعَ فَيَتَصَدَّقُ بِثَمَنِهِ**»[٤].

لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام أروع مثل، وأعزّ صورة للإسلام، لا يدانيه أحد في فضائله النفسيّة التي سمت به إلى أرقى مستويات الإنسانيّة.

---

(٢) كشف الغمّة: ٢: ١٤، الحديث ٣. البداية والنهاية: ٩: ١٣٣.

(٣) دعائم الإسلام: ٢: ١٨٨.

(٤) دعائم الإسلام: ٢: ١٥٦.

احتفاف القرّاء به عليه السلام

احتفّ القرّاء بالإمام زين العابدين عليه السلام ينتهلون من نمير علومه ، ويتغذّون من مكارم أخلاقه ومحاسن صفاته ، وكانوا لا يفارقونه حتّى إذا خرج إلى مكّة صحبوه[١].

نشره عليه السلام للعلم

انصرف سيّد الساجدين بعد كارثة كربلاء إلى نشر العلم وإشاعته بين الناس ، ولم تقتصر بحوثه على علم الفقه والحديث ، وإنّما كانت شاملة للفلسفة والحكمة والتربية والأخلاق .

لقد أمدّ الإمام الفكر الإسلامي بطاقات من العلم والحكمة وآداب السلوك ، وقد حفلت بها صحيفته السجّاديّة ورسالته في الحقوق وغيرهما من موسوعات الحديث.

حثّه عليه السلام على طلب العلم

وكان الإمام يحثّ المسلمين على طلب العلم لأنّه أعظم وسيلة لرقيّهم وسعادتهم وازدهار حياتهم ، وكان يقول : «**لَوْ عَلِمَ النّاسُ ما في طَلَبِ الْعِلْمِ لَطَلَبوهُ وَلَوْ بِسَفْكِ الْمُهَجِ ، وَخَوْضِ اللُّجَجِ**»[٢].

وأوصى الإمام بعض أصحابه بنشر العلم وعدم التجبّر والتكبّر على من يعلّمه ، قال عليه السلام : «**فَإِنْ أَنْتَ أَحْسَنْتَ في تَعْليمِ النّاسِ ، وَلَمْ تَتَجَبَّرْ عَلَيْهِمْ ، زادَكَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِنْ أَنْتَ مَنَعْتَ عِلْمَكَ ، وَأَخْرَقْتَ بِهِمْ عِنْدَ طَلَبِهِمُ الْعِلْمَ مِنْكَ كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْلُبَكَ الْعِلْمَ وَبَهاءَهُ ، وَيُسْقِطَ مِنَ الْقُلوبِ مَحَلَّكَ**»[٣].

---

(١) بحار الأنوار : ٤٦ : ٣٧. مناقب آل أبي طالب : ٣ : ٢٧٩.

(٢) الكافي : ١ : ٣٥ ، الحديث ٥. بحار الأنوار : ١ : ١٨٥ ، الحديث ١٠٩.

(٣) مكارم الأخلاق / رضي الدين الطبرسي : ١٤٣.

تكريمه عليه السلام لطلّاب العلوم

كان الإمام يعتني بطلّاب العلوم ، ويقابلهم بمزيد من الحفاوة والتكريم ، ويقول لهم : « **مَرْحَباً بِوَصِيَّةِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله** »(١) .

وتحدّث الإمام الباقر عليه السلام عن تكريم أبيه لطلبة العلوم ، قال : « **كانَ أبي زَيْنُ الْعابِدينَ إذا نَظَرَ إلَى الشَّبابِ الَّذين يَطْلُبونَ الْعِلْمَ أَدْناهُمْ إلَيْهِ ، وَقالَ : مَرْحَباً بِكُمْ ، أَنْتُمْ وَدائِعُ الْعِلْمِ ، وَيوشِكُ إذْ أَنْتُمْ صِغارُ قَوْمٍ أَنْ تَكونوا كِبارَ آخَرينَ** »(٢) .

عتقه عليه السلام للموالي

كان الإمام عليه السلام يعطف على الموالي ، ويغدق عليهم برّه وإحسانه ، وكان يشتريهم مع نسائهم وأطفالهم ويعتقهم ويمنحهم الأموال الطائلة ليستغنوا عمّا في أيدي الناس ، وقد تبنّى كوكبة منهم ، فجعل يغذّيهم بأنواع العلوم والمعارف .

وقد تخرّج منهم مجموعة من العلماء كانوا من مصادر النهضة العلميّة في ذلك العصر ، وقد أدّى هذا الإحسان إلى الموالي أن اعتنق معظمهم مذهب أهل البيت عليهم السلام وانضمّوا إلى الحركات السياسيّة المناهضة للحكم الأموي(٣) .

وصاياه عليه السلام التربويّة لأبنائه

كان الإمام عليه السلام يغذّي أبناءه بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات ، ويحذّرهم من الصفات السيّئة ، ومن وصاياه لهم :

١ ـ قال عليه السلام لأبنائه : « **اتَّقوا الْكَذِبَ ، الصَّغيرَ مِنْهُ وَالْكَبيرَ ، في كُلِّ جِدٍّ وَهَزْلٍ ،**

---

(١) الخصال : ٥١٨ . بحار الأنوار : ١ : ١٦٨ ، الحديث ١٦ .

(٢) الدرّ النظيم : ٥٨٧ . الأنوار البهيّة : ١٠٣ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٦ : ١٠٤ و ١٠٥ ، الحديث ٩٣ . الإقبال : ٤٧٧ .

لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذا كَذَبَ في الصَّغيرِ اجْتَرَأَ عَلىٰ الْكَبيرِ»[١].

٢ ـ قال عليه السلام لولده الإمام الباقر: «افْعَلِ الْخَيْرَ إِلىٰ كُلِّ مَنْ طَلَبَهُ مِنْك، فَإِنْ كانَ أَهْلاً فَقَدْ أَصَبْتَ مَوْضِعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَهْلٍ كُنْتَ أَنْتَ أَهْلَهُ، وَإِنْ شَتَمَكَ رَجُلٌ عَنْ يَمينِكَ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلىٰ يَسارِكَ وَاعْتَذَرَ إِلَيْكَ فَاقْبَلْ عُذْرَهُ»[٢].

هذه وصايا أهل البيت عليهم السلام وهي حافلة بجميع ألوان الفضائل والآداب، ومنهج كامل للحياة الرفيعة التي تتوفّر فيها آداب السلوك.

لقد ربّى الإمام أبناءه بمحاسن الأعمال، وغرس في نفوسهم الصفات الكريمة والآداب الرفيعة.

أدعيته عليه السلام لولده

إنّ أدعيته عليه السلام لولده تمثّل التربية الإسلاميّة الهادفة لتهذيب النفوس، وتنوير العقول، ومن أدعيته عليه السلام لهم هذا الدعاء:

يقول عليه السلام: **اللّٰهُمَّ وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقاءِ وُلْدي، وَبِإِصْلاحِهِمْ لي وَبِإِمْتاعي بِهِمْ، إِلٰهي امْدُدْ لي في أَعْمارِهِمْ، وَزِدْ لي في آجالِهِمْ، وَرَبِّ لي صَغيرَهُمْ، وَقَوِّ لي ضَعيفَهُمْ، وَأَصِحَّ لي أَبْدانَهُمْ وَأَدْيانَهُمْ، وَأَخْلاقَهُمْ، وَعافِهِمْ في أَنْفُسِهِمْ وَفي جَوارِحِهِمْ، وَفي كُلِّ ما عُنيتُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَأَدْرِرْ لي وَعَلىٰ يَدَيَّ أَرْزاقَهُمْ، وَاجْعَلْهُمْ أَبْراراً أَتْقِياءَ بُصَراءَ سامِعينَ مُطيعينَ لَكَ، وَلِأَوْلِيائِكَ مُحِبّينَ مُناصِحينَ، وَلِجَميعِ أَعْدائِكَ مُعانِدينَ**

---

(١) وسائل الشيعة: ٣: ٢٣٢.

(٢) تحف العقول: ٢٨٢.

وَ مُبْغِضينَ آمينَ.

اللّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدي، وَأَقِمْ بِهِمْ أَوَدي[١]، وَ كَثِّرْ بِهِمْ عَدَدي، وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَري، وَأَحْيِ بِهِمْ ذِكْري، وَاكْفِني بِهِمْ في غَيْبَتي، وَأَعِنّي بِهِمْ عَلىٰ حاجَتي، وَاجْعَلْهُمْ لي مُحِبّينَ، وَعَلَيَّ حَدِبينَ[٢] مُقْبِلينَ مُسْتَقيمينَ لي، مُطيعينَ غَيْرَ عاصينَ وَلا عاقّينَ وَلا مُخالِفينَ وَلا خاطِئينَ، وَأَعِنّي عَلىٰ تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْديبِهِمْ وَبِرِّهِمْ، وَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلاداً ذُكُوراً، وَاجْعَلْ ذٰلِكَ خَيْراً لي، وَاجْعَلْهُمْ لي عَوْناً عَلىٰ ما سَأَلْتُكَ.

وَأَعِذْني وَذُرِّيَّتي مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَنا وَأَمَرْتَنا وَنَهَيْتَنا، وَرَغَّبْتَنا في ثَوابِ ما أَمَرْتَنا، وَرَهَّبْتَنا عِقابَهُ، وَجَعَلْتَ لَنا عَدُوّاً يَكيدُنا سَلَّطْتَهُ مِنّا عَلىٰ مالَمْ تُسَلِّطْنا عَلَيْهِ مِنْهُ، أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنا، وَأَجْرَيْتَهُ مَجارِيَ دِمائِنا، لايَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنا، وَلا يَنْسىٰ إِنْ نَسينا، يُؤْمِنُنا عِقابَكَ، وَيُخَوِّفُنا بِغَيْرِكَ، إِنْ هَمَمْنا بِفاحِشَةٍ شَجَّعَنا عَلَيْها، وَإِنْ هَمَمْنا بِعَمَلٍ صالِحٍ ثَبَّطَنا عَنْهُ، يَتَعَرَّضُ لَنا بِالشَّهَواتِ، وَيَنْصِبُ لَنا بِالشُّبُهاتِ، إِنْ وَعَدَنا كَذَبَنا، وَإِنْ مَنّانا أَخْلَفَنا، وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنّا كَيْدَهُ يُضِلَّنا، وَإِلّا تَقِنا خَبالَهُ يَسْتَزِلَّنا.

اللّهُمَّ فَاقْهَرْ سُلْطانَهُ عَنّا بِسُلْطانِكَ، حَتّىٰ تَحْبِسَهُ عَنّا بِكَثْرَةِ الدُّعاءِ لَكَ،

---

(١) الأوَد: العوج. الأَوْد: المشقّة والتعب.

(٢) حدبين: أي عطوفين.

فَنُصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ فِي الْمَعْصُومِينَ بِكَ.

اللّهُمَّ أَعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي، وَاقْضِ لِي حَوائِجِي، وَلَا تَمْنَعْنِي الْإِجابَةَ وَقَدْ ضَمِنْتَها لِي، وَلَا تَحْجُبْ دُعائِي عَنْكَ وَقَدْ أَمَرْتَنِي بِهِ، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ ما يُصْلِحُنِي فِي دُنْيايَ وَآخِرَتِي، ما ذَكَرْتُ مِنْهُ وَما نَسِيتُ، أَو أَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ، أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ...(١).

حكى هذا الدعاء صفحات مشرقة من تربية الإمام لأبنائه، فقد ربّاهم بكلّ ما يسمو به الإنسان من الخلق الكامل والأدب الرفيع.

حزن الإمام عليه السلام وأساه

وشاهد زيد أباه وقد انطوت نفسه على حزن عميق وأسى مرير على ما أصاب أباه من النكبات القاسية، وما جرى عليه من القتل والتمثيل في صعيد كربلاء، وما عاناه بالذات من السبي مع عمّاته يطاف بهم في الأقطار والأمصار، ومثولهم أمام المجرم السفّاك ابن مرجانة وسيّده الرجس الخبيث يزيد حفيد أبي سفيان وابن معاوية الذي لقّبوه بكسرى العرب، وسلّطوه على رقاب المسلمين، وقد أدمت تلك الأهوال والخطوب قلبه، فكان دوماً مستمرّاً في البكاء، وكان حزنه يزداد تحرّقاً كلّما تقدّمت الأيّام، وقد بلغ من عظيم حزنه وأساه أنّه ما قدّم له طعام أو شراب إلّا مزجه بدموع عينيه حزناً على أبيه(٢).

وقد ألحّ عليه بعض مواليه أن يخلد إلى الراحة، ويخفّف لوعة المصاب قائلاً له:

---

(١) الصحيفة السجّاديّة: الدعاء ٢٥.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٠٤. الخصال: ٢٧٣، الحديث ١٥. بحار الأنوار: ٤٣: ١٥٥، الحديث ١.

إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين.

فأجابه الإمام بأسى وحزن: **يا هٰذا، ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**(١).

إنَّ يَعقُوبَ كَانَ نَبِيّاً فَغَيَّبَ اللهُ عَنْهُ واحِداً مِنْ أَوْلَادِهِ ـ وَعِنْدَهُ اثْنَا عَشَرَ وَلَداً ـ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَيٌّ فَبَكَىٰ عَلَيهِ حَتَّىٰ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ، وَإِنِّي نَظَرْتُ إِلَى أَبِي وَإِخْوَتِي وَعُمُومَتِي وَصَحْبِي مَقْتُولِينَ حَوْلِي، فَكَيْفَ يَنْقَضِي حُزْنِي؟!

وَإِنِّي لَا أَذْكُرُ مَصْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا خَنَقَتْنِي الْعَبْرَةُ، وَإِذَا نَظَرْتُ إِلىٰ عَمَّاتِي وَأَخَوَاتِي ذَكَرْتُ فِرارَهُنَّ مِنْ خَيْمَةٍ إِلَىٰ خَيْمَةٍ، وَمُنادي الْقَوْمِ يُنادي: أَحْرِقوا بُيوتَ الظَّالِمينَ»(٢).

إنّ المشاهد المفزعة التي تمّ تمثيلها في صعيد كربلاء كانت تمزّق قلب الإمام وتحوّل حياته إلى بكاء ونحيب.

وكان زيد ينظر إلى ما حلّ بأبيه من الحزن المرهق فيجزع أشدّ ما يكون الجزع وربّما شاركه في بكائه ولوعته.

رحيل الإمام عليه السلام إلى الله تعالى

وآن لذلك القلب الرقيق المعذّب بآلام كربلاء أن يرحل إلى الله تعالى ليشكو إليه ما ألمّ به من فوادح الرزايا والخطوب التي عاناها أبوه وهو من العصابة الأمويّة التي ما تركت رزيّة إلّا وصبّتها على أهل البيت عليهم السلام.

لقد شقّ على الأمويّين ما يتمتّع به الإمام من المكانة الرفيعة في قلوب

---

(١) يوسف ١٢: ٨٦.

(٢) اللهوف: ١٢٢. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٤٨٩. وقريب منه ما جاء في حلية الأولياء: ٣: ١٣٨.

المسلمين، فقد أجمعوا على تعظيمه والإقرار بالفضل له لأنّه بقيّة النبوّة، وكان من أشدّ الحاقدين عليه الرجس الخبيث الوليد بن يزيد، فقد قال: «لا راحة لي وعليّ بن الحسين موجود في دار الدنيا».

وأجمع رأيه على اغتيال الإمام حينما آل إليه الملك، فأوعز إلى عامله على يثرب أن يدسّ له سمّاً(١).

ونفّذ عامله ذلك، فأخذ الإمام يعاني آلام السمّ وقسوته، وبقي حفنة من الأيّام على فراش المرض يبثّ شكواه إلى الله تعالى، ويحمده ويشكره على ما رزقه من الشهادة على يد شرار بريّته.

وثقل حال الإمام واشتدّ به النزع، فأخبر أهله بانتقاله إلى جنّة المأوى في غلس الليل، وقد أغمي عليه ثلاث مرّات، فلمّا أفاق قرأ سورة الفاتحة وسورة ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا**﴾ وسورة الواقعة، ثمّ قال: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾(٢) (٣).

ثمّ ارتفعت روحه العظيمة إلى بارئها تحفّها ملائكة الرحمن وأنبياء الله.

لقد سمت تلك الروح العظيمة إلى جنّة المأوى بعد أن أضاءت سماء الدنيا بزهده وعلومه وصبره وشدّة إنابته إلى الله تعالى.

وقام أبناؤه بتجهيزه وعلى رأسهم الإمام الباقر عليه السلام، فغسّلوا الجسد الطاهر، وأدرجوه في أكفانه، وصلّوا عليه الصلاة المفروضة.

---

(١) الكافي: ١: ٤٦٨، الحديث ٥. مستدرك الوسائل: ٢: ١٣٣، الحديث ١٦٢٠.

(٢) الزمر ٣٩: ٧٤.

(٣) نور الأبصار: ١٢٩. الاتحاف بحبّ الأشراف: ٥٢. الصواعق المحرقة: ٥٣. الفصول المهمّة / ابن الصبّاغ: ٢٢٣.

تشييعه عليه السلام

شيّع الجثمان المقدّس بتشييع حافل لم تشهد يثرب نظيراً له ، فقد شيّعه البرّ والفاجر ، وبكاه الناس جميعاً ، فقد فقدوا بموته بقيّة النبوّة .والإمامة وهو الذي لم يخلق له مثيل في تقواه وورعه وروحانيّته وصبره ومحنه وبلواه .

وجيء بالجثمان المقدّس وسط هالة من التكبير والتحميد إلى بقيع الغرقد فواروه في مقرّه الأخير بجوار عمّه الإمام الزكيّ الحسن بن عليّ سيّد شباب أهل الجنّة ، وقد واروا البرّ والتقوى والإيمان .

وبعد الفراغ من الدفن هرع الناس يعزّون الإمام الباقر عليه السلام وزيداً وبقيّة أبناء الإمام وسائر بني هاشم ويشاركونهم في لوعة الحزن والمصاب .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث بايجاز عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام وقد تأثّر ولده زيد بسلوكه وآدابه وتقواه ، وسار على منهاجه في الإعراض عن الدنيا والزهد في مباهجها ، والالتجاء نحو الله تعالى وما يقرّبه إليه زلفى .

إِخْوَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ

من الجدير بالذكر أن نعرض بايجاز إلى السادة الأفاضل من إخوة زيد وأبنائه الذين هم من أعلام الأسرة النبويّة في هديهم وسلوكهم وفضلهم ، ومكانتهم العلميّة ، فإنّ البحث عنهم من متمّمات الدراسة لشخصيّة زيد ، لأنّ البحث عن أفراد الأسرة تتّصل اتّصالاً وثيقاً بمعرفة الشخص والوقوف على ميوله واتّجاهاته ، وفيما يلي ذلك :

إخوة زيد

أمّا إخوة زيد فهم من أفذاذ السادة العلويّين ، ومن حسنات عصرهم ، قد منحهم الله تعالى التقوى والإيمان ، وفضّلهم على كثير من المسلمين ، وهم :

١ ـ الإمام محمّد الباقر عليه السلام

وهو الأخ الأكبر لزيد ، وهو من أبرز رجال العلم في الإسلام ، فقد قام بدور إيجابي في تكوين الثقافة الإسلاميّة ، وتأسيس الحركة العلميّة ، وكان له دورٌ بارزٌ في بسط العلم وإشاعته بين الناس في وقت تلبّدت الأفكار بالجمود ، فقد ضرب الجهل نطاقه على المسلمين ، ولم تعد فيهم أية نهضة علميّة ، فقد منوا بالثورات المتلاحقة للإطاحة بالحكم الأموي الذي جهد على إذلال المسلمين وإرغامهم على ما يكرهون ، وقد ابتعد الإمام عن التيّارات السياسيّة ، واتّجه صوب العلم يرفع مناره

ويؤسّس أُصوله وقواعده، فكان الرائد والمعلّم لهذه الأُمّة في مسيرتها الثقافيّة والتربويّة.

وكان من أهمّ ما عنى به الإمام في محاضراته نشر الفقه الإسلامي على ضوء أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين يمثّلون الإسلام على واقعه المشرق النازل من ربّ العالمين، فأقام مدرسته الكبرى التي ضمّت كبار الفقهاء، كأبان بن تغلب العالم الفقيه، ومحمّد بن مسلم، وبريد، وأبي بصير، وزرارة بن أعين، ومعروف بن خربوذ، ونظرائهم من الفقهاء الأعلام الذين أجمعت العصابة على الإقرار لهم بالفقه والعدالة، وإليهم يرجع الفضل في تدوين أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ولولاهم لضاعت تلك الثروة الهائلة من أحاديث الأئمّة التي يرجع إليها الفقهاء في استنباطهم للأحكام الشرعيّة.

وقد تبنّى الإمام الحياة الاقتصاديّة لهؤلاء الفقهاء، كما أشاد بمعارفهم وبما يملكونه من ثروات علميّة، وأرجع المسلمين إلى فتياهم، فقال عليه السلام لأبان بن تغلب: **«اجْلِسْ في مَسْجِدِ الْمَدينَةِ وَأَفْتِ النّاسَ، فَإِنّي أُحِبُّ أَنْ يُرىٰ في شيعَتي مِثْلُكَ»**[(١)].

وعهد إلى ولده الإمام الصادق عليه السلام أن يقوم بالإنفاق عليهم بعد وفاته[(٢)].

وقد قام هؤلاء الفقهاء بتدوين الأحاديث التي سموعها منه، فقد روى عنه الفقيه جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث[(٣)].

وروى عنه أبان بن تغلب مجموعة كبيرة من الأحاديث التي عرضت لجميع أبواب الفقه من العبادات والمعاملات، والعقود والإيقاعات، فكان حقّاً هو المؤسّس لفقه أهل البيت الذي يحتلّ الصدارة في الدقّة والعمق في الفقه الإسلامي.

---

(١) رجال النجاشي: ٢٨. جامع الرواة: ١: ٩.

(٢) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ١: ١٠.

(٣) ميزان الاعتدال: ١: ٣٨٣.

ولم تقتصر بحوث الإمام على الفقه الإسلامي ، فقد شملت الكثير من العلوم ، فقد ألقى محاضرة في بهو الجامع النبويّ عن الفضاء الخارجي ، وكان من المستمعين لها الوليد بن يزيد حاكم دمشق ، فالتفت إلى عمر بن عبدالعزيز وكان محافظاً في يثرب فقال له : إنّ محاضرة الإمام أبي جعفر ليست عن الفقه ولا عن التفسير والحديث ، فما هذا البحث ؟

فأجابه عمر : إنّ محاضرة الإمام وبحوثه تشمل جميع شؤون الكون ، والتي منها البحث عن الفضاء الخارجي[١] .

وعلى أي حال ، فإنّ التاريخ لم يحدّث عن إمام وعالم مثل الإمام أبي جعفر ، قد وقف حياته على نشر العلم وإذاعته بين الناس ، فكان فيما يقول الرواة سادناً وأميناً كالبحر ، وهو يغذّي العلماء بجميع أنواع العلوم التي تحمل عناصر الوعي والتقدّم لا للمسلمين فحسب ، وإنّما للناس جميعاً .

عصر الإمام عليه السلام

أمّا عصر الإمام فكان من أمرّ العصور الإسلاميّة ومن أشدّها محنة وبلاء ، والحياة فيه بشعة ومرهقة ، فقد ساس الأمويّون المسلمين سياسة قاتمة لا ظلّ فيها للحقّ والعدل ، وتصرّفوا حسب رغباتهم من دون أن ينظروا إلى صالح الأُمّة ، وكان من نتائج سياستهم السوداء أن تفجّرت البلاد الإسلاميّة ببركان من الثورات الشعبيّة التي كان منها ثورة الشهيد الخالد زيد بن عليّ وقبله ثورة جدّه سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام ، وسنعرض للأحداث الجسام التي مني بها المسلمون عند دراسة عصر زيد .

---

(١) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب : ٣٧.

تحرير النقد العربي

ومن مآثر الإمام الباقر عليه السلام تحريره للنقد العربي والإسلامي من السيطرة الخارجيّة ، وجعله مستقلاً بنفسه غير مرتبط بالامبراطوريّة الرومانيّة ، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتابنا حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام .

وعلى أي حال ، فإنّ الإمام محمّد الباقر كان من أبرز القادة الطليعيّين لهذه الأُمّة ، وأحد عباقرة الدنيا ، وهو الذي تولّى تربية أخيه وتغذيته بالعلوم والمعارف حتّى كان من ألمع علماء عصره كما سنذكر ذلك .

وفاة الإمام الباقر عليه السلام

وفجع العالم الإسلامي بوفاة سليل النبوّة ، وإمام المتّقين ، الإمام الباقر عليه السلام ، وقد كان أشدّ المصابين بفقده أخوه أخوه زيد ، وقد رثاه بذوب روحه ، فقال :

ثَوىٰ باقِرُ العِلمِ فـي مُلحَدِ إمـامُ الوَرىٰ طَـيِّبُ المَـولِدِ
فَمَنْ لي سِوىٰ جعفرٍ بَـعدَهُ إمامِ الوَرَى الأَزْهَـرِ الأَمْـجَدِ
أَبا جَـعْفَرٍ أَنْتَ خَـيْرُ الْـوَرىٰ وَأَنْتَ المُرَجّىٰ لِبَلوىٰ غَدِ[١]

ورثاه أيضاً بقوله :

يا مَـوتُ أَنْتَ سَـلَبْتَني إِلْـفاً قَـدَّمتَهُ وَتَـرَكْـتَني خَـلَفا
وا حَسْـرَتا لَا نَـلتَقي أَبَـداً حَـتَّىٰ نَـقومَ لِـرَبِّنا صَفّا[٢]

وحكى هذا الرثاء مدى الترابط الروحي بين الإمام وأخيه .

وبهذا العرض الموجز عن حياة الإمام الباقر نطوي الحديث عنه .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٩٧ .

(٢) الحدائق الورديّة : ١ : ١٤٧ .

٢ـ الحسين الأصغر

وهو الأخ الثاني لزيد[١]، وأمّه أم ولد[٢]، وكان من مفاخر السادة العلويّين في فضله وعلمه وتقواه، وهذا عرض لبعض شؤونه:

حلمه ووقاره

كان الحسين حليماً وقوراً، تمثّلت فيه هيبة المتّقين والصالحين، وعلت على وجهه الشريف أسارير النور، ووصفه أخوه الإمام أبو جعفر بقوله: «**أَمّا الحُسَيْنُ فَحَليمٌ يَمْشي عَلَى الأَرْضِ هَوْناً، وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلونَ قالوا سَلاماً**»[٣].

تقواه وورعه

كان الحسين تقيّاً، ورعاً، شديد الخوف من الله تعالى. يقول سعيد: «لم أرَ أحداً أخوف من الله من الحسن بن صالح حتّى قدمت المدينة فرأيت الحسين بن عليّ بن الحسين، فلم أرَ أشدّ خوفاً منه، كأنّما أُدخل النار ثمّ أُخرج منها لشدّة خوفه من الله تعالى»[٤].

علمه

كان من العلماء البارزين في عصره، وقد روى أحاديثنا كثيرةً عن أبيه، وعمّته

---

(١) وللحسين الأصغر ابن زين العابدين عليه السلام عبدالله وعبيدالله؛ فأمّا عبد الله فهو أبو القاسم العقيقي، توفّي في حياة أبيه سنة ١٤١ هـ. وأمّا عبيد الله فهو أبو عليّ الأعرج، توفّي في خراسان في حياة أبيه وهو ابن ٣٧ سنة، وأمّهما خالدة بنت حمزة بن مصعب بن الزبير. سرّ السلسلة العلوية: ٦٩ وما بعدها، أعيان الشيعة: ٨: ٥٠ و ١٣٦.

(٢) عمدة الطالب: ٣١١.

(٣) سفينة البحار: ٢: ٢٧٣.

(٤) الإرشاد: ٢: ١٧٤.

السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام.

كما روى عن أخيه الإمام أبو جعفر عليه السلام، وروى عنه ولده محمّد الحديث الوارد عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في شهادة الإمام الحسين عليه السلام[(١)].

وفاته

توفّي الحسين في يثرب عن عمر يناهز ٥٧ عاماً، وقيل غير ذلك، ودفن بها ببقيع الغرقد بجوار أبيه الإمام زين العابدين وأخيه محمّد الباقر عليهما السلام.

٣ـ عبدالله الباهر

أخو الإمام زيد لأبيه، وأخو الإمام محمّد الباقر لأبيه وأُمّه، وكان من مفاخر أبناء الأئمّة الطاهرين في علمه وتقواه وورعه، وهذا عرض لبعض شؤونه:

لقبه

لقّب بالباهر لجماله وحسنه، وما جلس في مجلس إلّا بهر الحاضرون بجماله وحسن منظره[(٢)].

علمه

كان من العلماء البارزين في عصره، ومن الفقهاء المعدودين من أهل البيت، وقد أخذ علومه من أبيه وأخيه الإمام الباقر عليه السلام[(٣)]. روى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أخباراً كثيرة، وكان راوية للأحاديث، وحمل الرواة عنه كثيراً من الآثار، وروى مرسلاً

---

(١) معجم رجال الحديث: ٦: ٤٤. سفينة البحار: ٢: ٢٧٣. عمدة الطالب: ٣١١.

(٢) عمدة الطالب: ٢٥٢.

(٣) الإرشاد: ٢: ١٧٤.

عن جدّه الإمام أمير المؤمنين، وعن جدّه لأمّه الإمام الزكيّ الحسن عليه السلام.

روى عنه عمارة بن غزيّة، وموسى بن عقبة، وعيسى بن دينار، ويزيد بن أبي زياد، عدّه ابن حبّان في الثقات، وصحّح الحاكم والترمذي حديثه[١].

ولايته على صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله

تولّى بالنيابة عن إخوانه صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله، وصدقات جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٢]. وكان يوزّع الواردات على السادة حسب ما جاء في وصيّة النبيّ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وفاته

انتقل إلى حظيرة القدس وعمره سبع وخمسون سنة[٣].

ولم تعيّن لنا المصادر التي بأيدينا السنة التي توفّي فيها، والمكان الذي دفن فيه.

٤ ـ عمر الأشرف

وهو أخو زيد لأمّه وأبيه، وكان من أفاضل المسلمين ومن خيارهم، فقد نشأ في بيت التقوى والإيمان، وهذه لمحات عن شؤونه:

كنيته

يكنّى أبا عليّ، وقيل: أبا جعفر[٤]، وهما ولداه.

---

(١) الإرشاد: ٢: ١٧٢.

(٢) الإرشاد: ٢: ١٧٠.

(٣) معجم رجال الحديث: ٦: ٤٤.

(٤) معجم رجال الحديث: ١٣: ٥٤.

لقبه

لقّب بالأشرف قبال عمر الأطرف عمّ أبيه ، وذلك لما ناله من الشرف والفضيلة بالنسبة إلى جدّه الإمام الحسين عليه السلام الذي كانت أُمّه سيّدة نساء العالمين زهراء الرسول ، ولم يكن ذلك لعمر الأطرف .

قال الأستاذ الخوئي : « وهو ـ أي عمر الأشرف ـ أشرف من الأطرف بحسبه وفضله وورعه »[١] .

علمه

كان من العلماء الأعلام ، عدّه الشيخ من أصحاب أخيه الإمام محمّد الباقر عليه السلام . روى عن أبيه ، وروى عنه فطر بن خليفة[٢] .

ولايته على صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله وصدقات جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام . يقول الحسين بن زيد : « رأيت عمر عمّي يشترط على مَن ابتاع صدقات عليّ أن يثلم في الحائط كذا وكذا ، لا يمنع من دخله أن يأكل »[٣] .

وحكى ذلك عن سخائه وسموّ نفسه .

وفاته

انتقل إلى الرفيق الأعلى وعمره خمس وستّون سنة[٤] .

وأهملت المصار السنة التي توفّي فيها ، والمكان الذي حظي بجثمانه .

---

(١) معجم رجال الحديث : ١٣ : ٥٤ .

(٢) معجم رجال الحديث : ١٤ : ٥٣ .

(٣) سفينة البحار : ٢ : ٢٧٣ .

(٤) سفينة البحار : ٢ : ٢٧٢ .

٥ ـ عليّ

هو شقيق زيد من أُمّه وأبيه[١]، توفّي في ينبع[٢]، ودفن بها، وكان عمره ثلاثين سنة[٣]، ولم نعثر على ترجمة له، فقد أهملت المصادر ذلك.

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن السادة الأفاضل من اخوة زيد عليه السلام.

---

(١) هو أصغر أولاد الإمام السجّاد عليه السلام الّذين أعقبوا. سرّ السلسلة العلويّة: ٣٢. جمهرة أنساب العرب: ٥٣. الشجرة المباركة: ٧٣.

(٢) تقع عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر، وهي لبني الإمام الحسن، فيها عيون عذاب غزيرة، وفيها وقوف للإمام أمير المؤمنين يتولّاها ولده. معجم البلدان: ٥: ٤٥٠.

(٣) عمدة الطالب: ٣٣٩.

أبنــاؤه

أعقب زيد كوكبة من السادة الأفاضل ، الذين هم من مفاخر الســادة العـلويّين ، وهـم :

١ ـ يحيى بن زيد

هو الشهيد الثائر على الجور والظلم ، شبيه أبيه في اندفاعه نحو الحقّ ، ومناهضته للباطل ، خاض غمار الحرب وهو في ريعان شبابه من أجل أن يقيم في هذا الشرق العربي حكومة القرآن ، وهذا عرض موجز لبعض شؤونه :

ولادته

ولد سنة ١٠٧هـ ، وأجرى عليه والده زيد المراسـيم الشـرعيّة ، فـأذّن فـي أُذنـه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، وعقّ عنه في اليوم السابع من ولادتـه بكـبش وسـمّاه بيحيى .

صفته

تحدّث الرواة عن ملامحه وصفاته ، فقالوا : إنّه كان حسن الوجه ، أبيض البشرة ، قطط الشعر ، قويّ النفس ، شجاعاً لا ترهبه الكثرة ، ولا تثنيه الوحدة » .

وكما حكت هذه الأوصاف ملامحه ، فقد تحدّثت عن صفاته النفسيّة التي تميّز بها ، والتي منها :

١ ـ قوّة النفس

فقد كان قويّ النفس ، وذا إرادة قويّة ، ولم يكن خائر القوى ، وإنّما كان صلباً .

٢ ـ الشجاعة

وظاهرة أُخرى تميّز بها يحيى أنّه كان من أشجع الناس ، وقد ورث ذلك من آبائه الذين كانوا من أشجع ما خلق الله تعالى ، وكان من مظاهر شجاعته أنّه لا ترهبه الكثرة في الميادين العسكريّة ، ولا تثنيه عن إرادته الوحدة شأنه شأن أبيه وأجداده .

في ميادين الجهاد

انبرى يحيى بشوق عارم إلى ميادين الجهاد ليحطّم المنكر ويقاوم الجور والظلم ، ويرفع كلمة الله تعالى في الأرض . رأى يحيى باطلاً يحيى ، وصادقاً يكذّب ، وكاذباً يصدّق ، وإثرة بغير تقى في ظلّ الحكم الأموي الأسود ، فاستهان بالموت ، وتغذّى بروح جدّه أبي الأحرار وأبيه الثائر العظيم ، وكان أبوه يوصيه بالخروج على الحكم الأموي قائلاً له : « جاهد يا بنيّ ، فإنّك والله لعلى حقّ ، وإنّهم لعلى باطل »[١] .

كان يحيى مع أبيه حينما استشهد ودفن ، وقد ضاقت عليه الأرض ، وتقطّع قلبه ألماً ممّا جرى على أبيه من خيانة أهل الكوفة وغدرهم به ، وعزم على مواصلة الجهاد والسير على خطّ أبيه وجدّه الذي لا يرى الموت إلّا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلّا برماً .

وانطلق يحيى في مسيرته يجوب المدن والأرياف متخفّياً تلاحقه السلطة وتراقبه ، وكان ينشد في مسيرته :

يابْنَ زَيدٍ أَلَيسَ قَدْ قالَ زَيدٌ ... مَنْ أَرادَ الحَياةَ عاشَ ذَليلا

---

(١) غاية الاختصار : ٨٦.

كُنْ كَزَيدٍ فَأَنتَ مُهجَةُ زَيدٍ وَاتَّخِذْ في الجِنانِ ظِلاً ظَليلا

إلقاء القبض عليه

وسار يحيى متخفّياً من بلد إلى بلد حتّى انتهى إلى بلخ ، فنزل ضيفاً عند الحريش ابن عبدالرحمن الشيباني ، وكان من خيار الشيعة ، فقام بضيافته والبرّ به والإحسان إليه ، وكانت مباحث الأمن تراقبه وتلاحقه ، وقد رفعت أمره إلى يوسف بن عمر ، فكتب إلى نصر بن سيّار والي خراسان بأخذ يحيى ، وكتب نصر إلى عقيل بن معقل الليثي عامله على بلخ بإلقاء القبض على الحريش أو يأتيه بيحيى ، فدعاه ، ولمّا مثل عنده ضربه ستّمائة سوط ، وقال له : لأرهقنّك أو تأتيني بيحيى ، فأقسم الحريش أنّه لو كان تحت قدميه ما رفعهما عنه .

وكان للحريش ولد فخاف على أبيه ، فاستجاب لهم ، فوجّه معه جماعة من الشرطة ، فوجدوا يحيى في بيت في جوف بيت ، فألقوا عليه القبض مع صديق له ، وبعثهما الوالي إلى نصر بن سيّار فحبسهما وقيّد يحيى ، وكتب إلى يوسف بن عمر يخبره .

وكان لحبس يحيى صدى أسف وحزن عند شيعته ، وفي ذلك نظم بعض شيعته من بني ليث أبياتاً أعرب فيها عن حزنه العميق ، قال :

أَلَـيسَ بِـعَينِ اللهِ مـا تَـفْعَلونَهُ عَشِيَّةَ يَحيىٰ مُـوثَقٌ بِـالسَّلاسِلِ

أَلَمْ تَرَ لَيْثاً ما الَّذي خَـتَمَتْ بِـهِ لَها الوَيلُ في سُلْطانِها المُتَزايِلِ

لَقَدْ كَشَفَتْ لِـلنّاسِ عَـن أستها أَخيراً وَصارَتْ ضِحْكَةً لِـلقَبائِلِ

كِلابٌ عَوَتْ لَا قَدَّسَ اللهُ أَمْرَها وَجـاءَتْ بِـعَبدٍ لَا يَـحِلُّ لآكِـلِ

ورفع يوسف بن عمر إلى الوليد رسالة أخبره فيها عن شأن يحيى ، فأمره بإطلاق سراحه ، وكتب يوسف إلى نصر بذلك ، فأحضره نصر ، وحذّره الفتنة ، فقال له

يحيى : وهل في أمّة محمّد ﷺ فتنة أعظم ممّا أنتم عليه من سفك الدماء ، ثمّ أطلق سراحه .

ومن الجدير بالذكر أنّ الخراسانيّين من شيعة أهل البيت عليهم السلام اشتروا القيد من الحديد الذي قيّد به يحيى بعشرين ألف درهم ، فأخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبرّكون به[١] .

كما أنّه ما ولدت امرأة في خراسان ولداً ذكراً إلّا سمّي بيحيى .

مضى يحيى بعد خروجه من السجن داعياً إلى التحرير من ظلم الأمويّين وجورهم ، وكانت السلطة تلاحقه ، وقد انتهى في مسيرته إلى « ابوشهر » وكان معه سبعون رجلاً ، فزحفت لقتالهم فرقة من الجيش ، وكان عددهم عشرة آلاف ، فهزمهم يحيى ، وقتل قائد الجيش ، واستولى على كثير من الغنائم ، وكان خروج يحيى بعد استشهاد أبيه بثلاث سنوات ، وكان ذلك في سنة ١٢٥هـ[٢] .

إعلان الحرب

وراح يحيى بعد الانتصار الذي أحرزه يدعو الأوساط الشعبيّة لنصرته والأخذ بثأر أبيه الشهيد زيد من العصابة الأمويّة المجرمة .

خطابه في جيشه

خطب يحيى في جيشه خطاباً مؤثّراً يدعوهم إلى مناجزة عدوّهم ، والخلود إلى الصبر ، جاء فيه : « عباد الله تعالى ، إنّ الأجل الموت ، والموت طالب حثيث لا يفوته الهارب ، ولا يعجزه المقيم ، فاقدموا رحمكم الله تعالى إلى عدوّكم والحقوا

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٠٥ . سرّ السلسلة العلويّة : ٦٠ .

(٢) سرّ السلسلة العلويّة : ٨٦ .

بسلفكم . أقدموا إلى الجنّة فإنّه لا شرف أشرف من الشهادة ، فإنّ أشرف الموت قتل في سبيل الله عزّ اسمه . . . »[١] .

حكى هذا الخطاب شوقه العارم إلى الشهادة في سبيل الله ، وأنّها الشرف للمجاهدين التي ليس مثلها شرف .

عتابه على العلويّين

عتب يحيى على السادة من أبناء عمومته على التخلّف عن نصرته ، وكتب لهم هذه الأبيات :

خَليلَيَّ مِنّا بِالمَدينَةِ بَلِّغا ... بَني هاشِمٍ أَهْلَ النُّهىٰ وَالتَّجارِبِ
فَحَتّىٰ مَ مَروانٌ يُقَتِّلُ بَينكَمْ ... سُراتَكُمْ وَالدَّهْرُ فيهِ العَجائِبُ
لِكُلِّ قَبيلٍ مَعشَرٌ يَطلُبونَهُ ... وَلَيسَ لِزَيدٍ في العِراقَينِ طالِبُ[٢]

أرأيتم هذا العتب للعلويّين لعدم قيامهم بالطلب بثأر أبيه زيد ، فإنّ ذلك يدعو إلى العجب .

التحامه مع الجيش الأموي

وأرسل نصر بن سيّار جيشاً لمقاتلة يحيى بقيادة مسلم بن أحوز ، فالتحم مع جيش يحيى ، واستمرّت الحرب ثلاثة أيّام ، فاستشهد جميع مَن كان مع يحيى ، وأُصيب بنشّابة في جبهته رماه بها مجرم أثيم من موالي عنزة[٣] ، ففارق الحياة وقد انطفأت تلك الشمعة التي أضاءت في دنيا الإسلام دفاعاً عن حقوق المظلومين

---

(١) زيد الشهيد : ١٦٣ ، نقلاً عن الحدائق الورديّة .

(٢) شرح الأخبار : ٣٢٠ .

(٣) الروض النضير : ١ : ٦٨ .

والمعذّبين، وكانت شهادته وقت العصر سنة ١٢٥هـ.

صلب جثّة يحيى

صلبت جثّة يحيى على باب مدينة الجوزجان كما صلب جثمان أبيه زيد، وبقي مصلوباً طريّاً[١] إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني داعية بني العبّاس، فأنزل الجسد الطاهر وصلّى عليه ودفنه، وأظهر الخراسانيّون الحزن العميق عليه سبعة أيّام[٢].

إرسال رأس يحيى لأُمّه

واحتزّ سورة بن محمّد الكندي رأس يحيى، وأرسله هديّة إلى الطاغية الفاجر الوليد بن عبدالملك، فبعث به إلى المدينة، ثمّ أرسله إلى أُمّه ريطة بنت هاشم بن محمّد بن الحنفيّة، ولمّا نظرت إليه فزعت وقالت بذوب روحها: «شرّدتموه عنّي طويلاً، وأهديتموه إليّ قتيلاً صلوات الله عليه وعلى آبائه بكرة وأصيلاً»[٣].

ففي ذمّة الله تعالى ما لاقاه السادة العلويّون من صنوف التنكيل والارهاق من الأمويّين وعملائهم الذين لا يرجون لله تعالى وقاراً، فعمدوا إلى تقطع أواصر القربى التي أمر الله تعالى بها وبمودّتهم.

وممّا لا شبهة أنّ المسؤول عن المآسي التي حلّت بهم هو الذي سلّط الأمويّين على رقاب المسلمين، وأضفى على عميدهم معاوية لقب كسرى العرب.

٢ ـ عيسى بن زيد

من أفذاذ العترة النبويّة الطاهرة، ومن سادات المسلمين في علمه وورعه، وتقواه

---

(١) ينابيع المودّة: ٣: ١٦٢. مقاتل الطالبيّين: ١٠٧. عمدة الطالب: ٢٥٩. الدرّ النظيم: ٦٠٠.

(٢) شجرة طوبى: ١: ١٥٢.

(٣) عمدة الطالب: ٢٦٠.

وجهاده ، وهذا عرض لبعض شؤونه :

ولادته

ولد عيسى سنة ١٠٩هـ في شهر محرّم[١] ، وأجرى عليه أبوه المراسم الشرعيّة فأذّن في أُذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، وعقّ عنه بكبش في اليوم السابع من ولادته عملاً بالسنّة الشريفة .

تسميته

صادفت ولادة عيسى في ليلة ولادة السيّد المسيح عيسى عليه السلام ، فسمّاه أبوه زيد باسمه للتبرّك به[٢] .

كنيته

كنّي عيسى بما يلي :

١ ـ أبو يحيى .

٢ ـ أبو الحسين[٣] .

لقبه

لقّب بمؤتم الأشبال لأنّه عرضت له في الطريق لبوة ومعها أشبالها فقتلها عيسى ، فقيل له : أيتمت أشبالها .

فقال : أنا مؤتم الأشبال ، فصار ذلك لقباً له .

---

(١) عمدة الطالب : ٢٨٦ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٦ : ١٥٨ . مقاتل الطالبيّين : ٢٦٨ .

(٣) عمدة الطالب : ٢٨٥ .

تقواه

كان عيسى تقياً ، ورعاً ، مجتهداً في طاعة الله تعالى ، محتاطاً في دينه أشدّ ما يكون الاحتياط ، وقد أُلصقت به بعض التهم ، إلّا أنّها عارية عن الصحّة ، ولم تستند إلى دليل وثيق سوى رواية ضعيفة أنّه تهجّم على الإمام الصادق عليه السلام ، وقد فنّد سند الرواية العلّامة المقرّم[1] ، وذكر أنّ غير واحد من رواتها قد اتّهموا بالكذب ، فكيف يعتمد عليها في الخدش بكرامة هذا السيّد الذي مُلئ إيماناً وتقوى وفضلاً.

مع بني العبّاس

ولم يكن للعبّاسيّين أي دور يذكر في مناهضة الحكم الأموي ، فقد خلدوا إلى مساندته ، والتمتّع بالأموال التي يغدقها الأمويّون عليهم ، ولمّا تشكّل الحزب العلوي الذي استهدف الاطاحة بسلطان الأمويّين بادر السفّاح وأخوه المنصور فأظهرا الطاعة والإخلاص للحزب ، وبايعا محمّد ذا النفس الزكيّة ، ولكنّهما غدرا وعملا بمكيدة على سرقة الحكم والاستيلاء عليه بعد الاطاحة بسلطان الأمويّين ، فتقلّد السفّاح الحكم ولم تظهر أيّة بادرة من الخلاف بين العلويّين والعبّاسيّين ، إلّا أنّ نفوس العلويّين قد انطوت على حزن عميق لغدر العبّاسيّين وسرقتهم للحكم .

وبعد هلاك السفّاح وتقلّد المنصور للحكم أخذ يعمل جاهداً للقبض على محمّد وأخيه إبراهيم لتصفيتهما ، ولكنّهما اختفيا لعلمهما بغدر المنصور وأنّه لا يملك أي رصيد من الكرامة الإنسانيّة ، فقد تمرّس بالغدر والخيانة ، واتّصف بالخسّة واللؤم وفقر النفس ، وقد ألقى القبض على أبيهما عبدالله المحض ، وطالبه بتسليم ولديه محمّد وإبراهيم ، فأبى أن يدفعهما إليه ، فأمر باعتقاله وزجّه في السجن ، والتضييق عليه ، وصبّ جميع ألوان العذاب عليه ، ثمّ حمله مع السادة إلى الهاشميّة في العراق ،

---

(١) عمدة الطالب : ٢٨٩.

وأودعهم في سجن لم يعرف فيه الليل من النهار ، ثمّ أمر بهدم السجن عليهم ، فهدم ، وماتوا جميعاً ، وفيهم عبدالله ، كما أُدخل بعضهم في اسطوانة وبنيت عليه .

ثورة الزكيّ محمّد

أمّا محمّد فقد جمع في برديه كلّ فضل موروث ومكسوب ، سمّاه الناس بالمهدي الذي بشّر به النبيّ ﷺ ، وفيه يقول الشاعر :

إنّا لَنرجو أنْ يَكونَ مُحَمَّدٌ إماماً بِهِ يَحيا الكِتابُ المُنَزَّلُ
بِهِ يَصلُحُ الإسلامُ بَعدَ فَسادِهِ وَيَحيا يَتيمٌ بائِسٌ وَمُعَلولُ
وَيَملأُ عَدلاً أرضَنا بَعدَ مَلئِها ضَلالاً وَيَأتينا الَّذي كُنتُ آمَلُ (١)

ولمّا بلغ محمّد وفاة أبيه مع أبناء عمومته من العلويّين من صنوف التنكيل والتعذيب على يد الرجس الخبيث الدوانيقي تواعد هو وأخوه إبراهيم على إعلان الثورة في يوم مخصوص ، فأعلن محمّد في يثرب في الوقت المقرّر البيعة ، فانبرى الناس إلى مبايعته ، واستبشروا ببيعته ، وقام بالوقت باحتلال الدوائر الرسميّة وبيت المال ، وأمّا مَن بايعه فهم :

١ ـ المكيّون

٢ ـ اليمانيّون .

٣ ـ المدنيّون .

واجتمعت الجموع الحاشدة تظهر له الطاعة والولاء ، فقام فيهم خطيباً ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

« أمّا بعد أيها الناس ، فإنّه كان من أمر هذا الطاغية ـ يعني المنصور ـ عدوّ الله

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٦٤ . تهذيب الكمال : ٢٥ : ٤٦٨ .

ما لم يخف عليكم من بنائه القبّة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه تصغيراً للكعبة الحرام ، وإنّما أخذ فرعون حين قال : أنا ربّكم الأعلى ، وإنّ أحقّ الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار المواسين.

اللّهمّ إنّهم قد أحلّوا حرماتك ، وحرّموا حلالك ، فآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت ، اللّهمّ فأحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً.

أيّها الناس ، إنّي والله أخرجت من بين أظهركم ، وأنتم عندي لا أهل قوّة ولا شدّة ، ولكن اخترتكم لنفسي ، والله ما جئت هذه وفي الأرض مصر يعبد الله تعالى فيه إلّا وقد أخذ لي البيعة فيه »[1].

حكى آخر هذا الخطاب أنّ معظم الأقاليم الإسلاميّة قد دانت ببيعتها له ، وذهب بعض المحقّقين إلى أنّ المنصور قد أوعز إلى ولاته وعمّاله إلى دعوته لإعلان الثورة لإلقاء القبض عليه.

زحف القوّات العبّاسيّة لقتاله

ولمّا علم الطاغية الدوانيقي بثورة محمّد وجّه جيشاً لقتاله بقيادة وليّ عهده عيسى بن موسى ، وسارت جيوشه تطوي البيداء حتّى انتهت إلى المدينة فعسكرت فيها.

خطاب محمّد

ولمّا أحاطت جيوش الدوانيقي بالمدينة قام محمّد فخطب في أصحابه قائلاً: « أيّها الناس ، إنّا قد جمعناكم للقتال ، وأخذنا عليكم المناقب ، وإنّ هذا العدوّ منكم قريب ، وهو في عدد كثير ، والنصر من الله والأمر بيده ، وإنّه قد بدا لي أن آذن لكم وأفرّج عنكم في المناقب ، فمن أحبّ أن يقيم أقام ، ومن أحبّ أن يظعن ظعن ».

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ١٨٨ و ١٨٩.

وحكى هذا الخطاب يأسه من النصر ، وذلك لكثافة جيش العدوّ ، وقلّة من معه ، ولم يرغم أصحابه على الخوض في الحرب شفقة عليهم ، كما اجتنب وسائل الخداع والتضليل شأنه شأن جدّه أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام حينما سمح لأصحابه وأهل بيته بالتفرّق عنه ، وذلك لكثرة الجيوش التي أحاطت به ، وقد اقتدى محمّد به ، ولمّا سمع الانتهازيّون وذوو الأطماع خطابه تفرّقوا عنه وبقي في خلّص أصحابه ، وقد أشار عليه عبدالله بن جعفر بالخروج إلى مكّة لأنّ له قوّة فيها تحميه ، فأبى خوفاً على أهل المدينة من القتل وانتهاك الحرمات.

التحام الجيشين

ولمّا أعلنت الحرب بين الفريقين جعل محمّد على ميمنة جيشه عيسى بن زيد ، وقد أبلى بلاءً حسناً ، والتحم الجيشان ، وخاض محمّد المعركة بعنف وبسالة ، وقد أُصيب بجراح خطيرة فسقط على الأرض وبرك على ركبتيه ، فبادر إليه الرجس الخبيث حميد بن قحطبة وهو يصيح بالجند لا تقتلوه ، فكفّوا عنه ، وقام الوغد فاحتزّ رأسه الشريف ليبوء بالإثم والتقرّب إلى سيّده الدوانيقي(١).

وانتهت بذلك صفحة من صفحات الشرف والنبل والجهاد ، كما انطوت أعظم ثورة إصلاحيّة في العالم الإسلامي كانت تهدف إلى إقامة الحقّ ، وبسط العدل في الأرض ، وقد انهارت القوى الخيّرة وتحطّمت آمالها بعد فقد عميدها العظيم.

ثورة إبراهيم

أمّا إبراهيم فقد كان من أفذاذ العلويّين في علمه وأدبه ، وسموّ ذاته ، وكان من المتحرّجين في دينه ، وقد انطلق إلى ميادين الجهاد لإنقاذ الأمّة من سطوة الدوانيقي

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٤٠٣.

وجبروته ، وقد وافته الأنباء بشهادة أخيه وهو على المنبر ، فتمثّل بهذه الأبيات :

أَبا المَنازِلِ يا خيرَ الفَوارِسِ مَنْ ... يُفجَعْ بِمِثْلِكَ في الدُّنْيا فَقَدْ فُجِعا

اللهُ يَعلمُ أَنّي لَوْ خَشيتُهُمْ ... وَأَوْجسَ القلبُ مِنْ خَوفٍ لَهُمْ فَزَعا

لَمْ يَقتُلُوهُ وَلَمْ أُسْلِمْ أخي لَهُمُ[١] ... حَتّى نَموتَ جَميعاً أَوْ نَعيشَ مَعاً

ثمّ تبلورت دموعه على وجهه الشريف ، وأخذ يؤبّن أخاه قائلاً : « اللّهمّ إنّك تعلم أنّ محمّداً إنّما خرج غضباً لك ، ونفياً لهذه المُسَوِّدة ، وإيثاراً لحقّك ، فارحمه ، واغفر له ، واجعل الآخرة خير مردّ له ، ومنقلب في الدنيا »[٢].

ورثى أخاه بهذه الأبيات :

سَأَبكيكَ بِالبيضِ الرِّقاقِ وَبِالقَنا ... فَإِنَّ بِها ما يُدرِكُ الطّالِبُ الوِتْرا

وَإِنّا أُناسٌ لا تَفيضُ دُموعُنا ... عَلىٰ هالِكٍ مِنّا ولَوْ قَصَمَ الظَّهْرا

وَلَسْتُ كَمَنْ يَبْكي أَخاهُ بِعَبرةٍ ... يُعَصِّرُها مِنْ ماءِ مُقْلَتِهِ عَصْرا

وَلكِنْ أُرَوّي النَّفْسَ مِنّي بِغارةٍ ... تَلَهَّبُ في قُطْرَي كِتائِبِها جَمْرا[٣]

لقد تمثّلت البطولة وقوّة الإرادة وصلابة العزم بموقف إبراهيم ، فلم يوهن عزيمته فقد أخيه محمّد الذي كان ملأ فم الدنيا سموّاً وكمالاً ، وقيادة وفكراً .

وأعلن إبراهيم في البصرة ثورته الكبرى على حكومة الطاغية الدوانيقي ، فاستجاب له المسلمون ، وقد انضمّ إليه عيسى بن زيد ، فكان من أهمّ قادته ، كما أوصى له بالأمر من بعده ، كما كان من أنصاره والي البصرة سفيان بن معاوية ، فكان يطلعه على كلّ ما جدّ من أمر المنصور .

---

(١) في رواية : « ولم يسلم أخي » .

(٢) مقاتل الطالبيّين : ٢٩٤ .

(٣) عمدة الطالب : ١٠٤ و ١٠٥ .

واحتلّ إبراهيم البصرة ، ووجّه دعاته إلى الأهواز وفارس وواسط والمدائن ، فاستجابت له هذه المناطق ، ورحّبت بدعوته والبيعة له لتتخلّص من هؤلاء اللصوص والخونة أمثال الدوانيقي .

إعلان الحرب

ولمّا توفّرت لإبراهيم القوّة الضارية أعلن الحرب على الدوانيقي ، وزحف بجيوشه إلى احتلال الكوفة ، وقاد الحملة العسكريّة بنفسه ، وأشار عليه من ذوي الرأي الحصيف والخبرة العسكريّة أن يقيم في البصرة ويرسل جنوده إلى حرب الدوانيقي ، فإذا انهزموا أمدّهم بغيرهم ، ولم يستجب لهم ، ولو أجابهم لتغلّب على الموقف ، ولكنّ لله تعالى شؤوناً في عباده .

التحام الجيشين

واندلعت الحرب بين الفريقين ، وقد مني جيش المنصور بهزيمة ساحقة حتّى بلغ جيشه في هزيمته الكوفة ، ووجل الطاغية ورام الهزيمة ، وجعل يقول للربيع : أين قول صادقهم ؟ وكيف لم ينالها أبناؤنا ، فأين إمارة الصبيان ؟ متعرّضاً إلى ما أخبر به الإمام الصادق عليه السلام من استيلاء العبّاسيّين على الحكم .

وأمر المنصور بجعل الإبل والدوابّ على أبواب الكوفة للهرب منها ، ولاقت جيوشه بعد هزيمتها نهراً فلم تقدر على اجتيازه ، فعادت ، وكان أصحاب إبراهيم قد مخروا في الماء ، فكرّت عليهم جيوش الدوانيقي المنهزمة وأخذوا يحصدون رؤوسهم ، وأصاب سهم غادر فم إبراهيم ، فتنحّى عن موقفه ، وقال لأصحابه : انزلوني عن مركبي ، فأنزلوه وهو يقول : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾[1] ، أردنا

---

(١) الأحزاب ٣٣ : ٣٨.

أمراً وأراد الله تعالى غيره ، واجتمع أصحابه فأنزلوه وجعلوا يحمونه ويقاتلون دونه ، فقال حميد بن قحطبة : شدّوا على تلك الجماعة التي كانت تحمي إبراهيم ، فشدّوا عليهم ، وهجم الجناة عليه فاحتزّوا رأسه الشريف .

وقد انتهت بذلك ثورة المضطهدين والمعذّبين ، وصفا الملك للدوانيقي الذي هو أقذر إنسان عرفه التاريخ في لؤمه ووضاعة نفسه ، وقد وضع الرأس الشريف أمامه ، وكاد أن يطير فرحاً ، وكان أمامه طعام قد استطابه ، فقال لمن حوله من بهائم البشر : « أراد إبراهيم أن يحرمني هذا وأشباهه[١] .

إنّ ثورة إبراهيم لم تكن من أجل متع الحياة ، وإنّما كانت من أجل إقامة حكم القرآن والإسلام في هذا الشرق العربي ، ومن أجل أن تتوفّر العدالة بين الناس ، وتوزّع خيرات الله تعالى على عباده ، فلايختصّ بها فريق دون فريق ، وقد راح الطاغية يمعن في ظلم الناس وإرهاقهم ، فقد انهارت القوى الخيّرة التي كانت تطالب بالعدل والحقّ .

اختفاء عيسى

وكان عيسى هو المرشّح لقيادة الأُمّة بعد شهادة إبراهيم ، وقد خلد إلى الصبر ، وأحاط نفسه بكثير من السريّة والكتمان ، وبقي متستّراً في أرباض الكوفة لا يعلم به أحد سوى خواصّه الذي منهم الحسن بن صالح من علماء الكوفة ، وتزوّج عيسى بابنته ، وقد ضاقت الدنيا على عيسى ، فكان يقول :

إِلى اللهِ نَشْكو ما نُلاقي فَإِنّنا ... نُقَتَّلُ ظُلماً جَهرَةً وَنُخافُ
وَيَسْعَدُ أَقْوامٌ بِحُبِّهِمُ لَنا ... وَنَشْقى بِهِمْ وَالأَمرُ فيهِ خِلافُ[٢]

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ٢٢٤ .

(٢) عمدة الطالب : ٢٨٩ . سرّ السلسلة العلويّة : ٦٥ .

وخاف المنصور من عيسى فبثّ عيونه وجواسيسه لإلقاء القبض عليه، فلم يتمكّنوا من معرفته وظلّ مختفياً حتّى هلك المنصور واستولى على الحكم المهدي، وقد اجتاز على حائط قد كتب عليه هذه الأبيات:

وَاللهِ ما أَطعَمُ طَعمَ الرُّقادْ ... خَوْفاً إذا نامَتْ عُيونُ العِبادْ
شَرَّدَني أَهْلُ اعْتِداءٍ وَما ... أذنبتُ ذَنْباً غيرَ ذِكرِ المَعادْ
آمَنتُ بِاللهِ وَلَمْ يُؤْمِنوا ... فَكانَ زادي عِندَهُمْ شَرَّ زادْ
أَقولُ قَولاً قالَهُ خائِفٌ ... مُطَرِدٌ قَلبي كَثيرُ السُّهادْ
مُنخَرِقُ الْخُفَّينِ يَشْكو الوَجىٰ ... تَنكُبُهُ أَطْرافُ مَرْوٍ حِدادْ

فلمّا قرأها المهدي تأثّر وبكى وكتب تحت كلّ بيت لك الأمان من الله ومنّي، فاظهر متى شئت، فقال له وزيره ابن داود: من قائل هذا الشعر؟

فردّ عليه المهدي: أتتجاهل علي؟ قائل هذا الشعر عيسى بن زيد(١).

ولم يثق عيسى بأمان المهدي لعلمه بعدم وفائهم بالعهد، وظلّ مختفياً حتّى وافاه الأجل المحتوم.

معاشه وعمله

كان عيسى يعمل في الكوفة سقاءً يبيع الماء ويعيش بثمنه، وقد روى ابن أخيه يحيى بن الحسين ذلك في حديثه التالي: قال: «سألت أبي عن عمّي عيسى، وقلت يقبح لمثلي ألّا يرى مثله.

فقال: إذا صرت إلى الكوفة فاسأل عن دور بني حيّ، فإذا دللت عليه اقصد السكّة ووصفها لي سترى باباً ووصفها له، فاجلس أوّل السكّة فإنّه سيقبل عليك عند

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٤١١ و ٤١٢.

المغرب كهل طويل قد أثّر السجود في جبهته عليه جبّة صوف يسقي الماء على جمل يسوقه لا يضع قدماً ولا يرفعها إلّا ودموعه تنحدر، فقم وسلّم عليه، فإنّه سيذعر منك، فانتسب له ليسكن لك ويحدّثك ولا تطل معه وودعه فإنّه سيعفيك من العود، فافعل ما يأمرك به.

وسافر يحيى إلى الكوفة، فلمّا انتهى إليها مضى إلى المكان الذي حدّده أبوه، فلمّا غربت الشمس أقبل عيسى فقام إليه يحيى وسلّم عليه، فذعر منه، فانتسب له، فسكن خوفه، وراح عيسى يسأله عن أهله واحد بعد واحد، ثمّ أخذ يشرح له حالته قائلاً له: إنّي أسقي الماء على هذا الجمل، فأصرف نصف ما اكتسبه إلى صاحبه وأتقوّت في النصف الآخر، وربّما عاقني عائق فأخرج إلى ظهر الكوفة فالتقط ما يرمي به الناس من البقول فأتقوّت به، وتزوّجت من هذا الرجل الصالح ابنته، وهو لا يعلم من أنا إلى وقتي هذا، وقد ولدت لي بنتاً لا تعرفني، فقالت أمّها: إنّ ابن فلان السقّا أيسر منّا، وقد خطب ابنتك فزوّجها منه، وألحّت عليّ، فلم أقدر على إخبارها بأنّ هذا الولد غير كفء لها، فيشيع خبري فزادت في الإلحاح عليّ، ولم أزل أستكفي أمرها حتّى ماتت البنت، فما آسى على شيء من الدنيا على أنّها ماتت، ولم تعلم موضعها من رسول الله ﷺ.

ثمّ أقسم عليّ بالانصراف وعدم العودة إليه، وودّعني ومضى»[1].

ففي ذمّة الله ما عانته الأسرة العلويّة من الأذى والضيم، وما قاسته من الخطوب والنكبات، وممّا لا ريب فيه أنّ المسؤول عن هذه الأحداث الموجعة هو الذي أبى أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد، فهو الذي مهّد الطريق وفتح الأبواب للصوص والخونة من أئمّة الظلم أن يقفزوا إلى الحكم ويمعنون في ظلم العلويّين وغيرهم.

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٢٧١.

٣ـ الحسين بن زيد

من أبناء سيّدنا زيد : الحسين ، وهو من أعلام الأسرة النبويّة في فضله وتقواه وأدبه ، هذا عرض موجز لحياته :

ولادته

ولد الحسين في الشام وكانت ولادته سنة ١١٤هـ، وكان عمره يوم استشهد أبوه سبع سنين ، وقيل غير ذلك(١) .

كنيته

يكنّى بأبي عبدالله ، كما يكنّى بأبي عاتقة(٢) .

لقبه

أمّا لقبه فهو « ذو الدمعة » وذلك لكثرة بكائه ، وسأله ابنه يحيى عن كثرة بكائه ، فقال : وهل ترك السهمان والنار سروراً يمنعني عن البكاء .

أمّا السهمان : فهما اللذان أُصيب بأحدهما أبوه زيد ، وأُصيب بالآخر أخوه يحيى(٣) ، وأمّا النار فهي التي أحرقت باب سيّدة نساء العالمين حينما هجم عليها عمر بن الخطّاب ، وقيل له : أتحرق الدار وفيها فاطمة ؟ ! فقال : وإن .

وكذلك أراد بالنار التي أحرقت أخبية الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته ، فقد حمل الجفاة أقبسة النار وهم يقولون : أحرقوا بيوت الظالمين .

---

(١) عمدة الطالب : ٢٦٢ . أعيان الشيعة : ٧ : ١١٢ .

(٢) عمدة الطالب : ٢٦٠ .

(٣) عمدة الطالب : ٢٦٠ . مقاتل الطالبيّين : ٢٥٧ .

نشأته

نشأ الحسين في حجر أبيه زيد ، فغذّاه في مرحلة صباه بهديه وسلوكه ، وغرس في آفاق نفسه التقوى والإيمان ، وحبّ الخير ، وبعد وفاة أبيه تولّى تربيته سيّد المتّقين وإمام المسلمين الإمام الصادق عليه السلام ، فقد عاش في ذرى عطفه وكنف مودّته ، وقد غذّاه بفيض من علومه ومعارفه حتّى صار من أعلام الإسلام في رواية الحديث والفقه والتفسير ، وقد أخذ عنه العلماء الشيء الكثير فيما يتعلّق بشؤون الشريعة ، وبنوا على وثاقته ، وتزكيته من كلّ جرح وإثم .

وكان أثيراً عند الإمام الأعظم صادق أهل البيت عليهم السلام ، فزوّده برسالة إلى معن بن زائدة الزعيم العربي الجواد أوصاه فيها بالبرّ والإحسان إليه ، ولمّا قرأها قابله بمزيد من التبجيل والتكريم وأعطاه عشرين ألف دينار ، كما منحه الكثير من الهدايا والألطاف .

وكان من حبّ الإمام الصادق عليه السلام له أنّه زوّجه من السيّدة الفاضلة أُمّ كلثوم بنت محمّد بن الأرقط ، وكانت ذات جمال بارع ، وثراء عريض ، فحسنت حاله(١) .

وفاته

انتقل هذا السيّد الجليل إلى حظيرة القدس سنة ١٣٥هـ(٢) ، وقيل غير ذلك .

٤ ـ محمّد بن زيد

السيّد محمّد(٣) بن الشهيد زيد من عيون السادة العلويّين وأجلّائهم . ولد بعد

---

(١) زيد الشهيد : ١٧٩ .

(٢) عمدة الطالب : ٢٦٠ .

(٣) أبو عبد الله ـ وقيل : أبو جعفر ـ الشبيه ، أصغر ولد أبيه ، كان بليغاً لسناً ، له عقب كثير بالعراق ، أُمّه أمّ ولد سنديّة . نسب قريش : ٦٦ ، تهذيب الأنساب : ١٩٠ ، المجدي : ⇦

شهادة أبيه بأربعين يوماً ، وكان يكنّى بأبي عبدالله ، وأمّه الفاضلة من السند ، وليس في شريعة الإسلام فضل للمرأة العربيّة على غيرها من نساء المسلمين ، وإنّما التفاضل بالتقوى وعمل الخير .

سموّ ذاته

كان السيّد محمّد من سادات المسلمين في نبله وشرفه وسموّ ذاته ، وكريم طباعه ، ومن معالي أخلاقه ما حدّث به الرواة أنّ المنصور الدوانيقي أخبرته مباحث أمنه أنّ هشام بن عبدالملك عنده كميّة من الجواهر الثمينة ، وهي عند ولده محمّد ، وهو من روّاد البيت الحرام في مكّة ، وقد أحاط أمره بكثير من الكتمان خوفاً من إلقاء القبض عليه .

فأوعز المنصور إلى السلطة بغلق أبواب الجامع سوى باب واحدة لا يخرج منها أحد إلّا بعد معرفته والاطّلاع على هويّته ، وكان محمّد في الجامع ، فعرف أنّ هذا الاجراء إنّما اتّخذ ضدّه ، فأخذ يتجوّل في الجامع وقد استولى عليه الخوف ، فرأى رجلاً عليه سيماء الصالحين ، فألقى بنفسه عليه مستجيراً به ، فسأله محمّد عن نسبه ، فطلب منه الأمان إن أخبره به ، فعرّفه به ، وأنّ هذا الاجراء قد اتّخذ لإلقاء القبض عليه ، فآمنه محمّد ، وقال له : اعذرني إذا اتّخذت بعض الاجراءات القاسية ضدّك عند باب الجامع .

وقام فألقى رداءه عليه وأخذ يجرّه ، فلمّا قرب من الباب أخذ يضربه ، فقال له الربيع القائم على الحراسة : ما شأن الرجل ، فأخبره أنّه أكراني جماله ، وقد هرب منّي ، وأكرى جماله للخراسانيين ، ولي عليه بيّنة ، فضمّ إلى شرطيّين لأُقدّمه إلى القضاء ، فضمّ إليه ما أراده ، ولمّا بعد عن الجامع قال له : يا خبيث ، تؤدّي حقّي ؟

⇐ ١٨٣ ، الفخري : ٥١ ، الأصيلي : ٢٣٧ ، عمدة الطالب : ٢٩٧ .

قال له : نعم .

فأمر محمّد بصرف الحارسين له ، فانصرفا وأخذ يسير معه حتّى انتهى بـه إلى مأمن ، فوقع على يديه يوسعهما تقبيلاً ، فقد أنقذه من الموت ، وأخـرج له بـعض الجواهر هديّة له ، فتأثّر منه ، وقال له : إنّا أهل بيت لا نقبل على المعروف ثـمناً ، وقد تركت لك ما هو أعظم ، وهو دم أبي زيد ، انصرف راشـداً وواري شـخصك ، فإنّ الرجل ـ يعني المنصور ـ جادّ في طلبك[١] .

وحكت هذه البادرة سموّ محمّد وعظيم نبله وشهامته ، وهذا الخلق الرفيع من سمات العلويّين ، ومن أبـرز صـفاتهم ، وبـعكسهم الأمـويّون ، فـقد عـرفوا بـاللؤم والخبث والغدر والخيانة ، وعدم الوفاء بالوعد والعهد ، فمعاوية هـو الذي أعـطى للحسن في الصلح شروطاً ثمّ خاس بعهده ، وقال أمام الجماهير : أعطيت للحسن شروطاً وها هي تحت قدمي لا أفي بشيء منها .

(١) الفرج بعد الشدّة : ٢ : ٢٠٠ . عمدة الطالب : ٢٩٩ .

عَنَاصِرُهُ النَّفسِيَّةِ وَمَوَاهِبُهُ

كان زيد من أعلام عصره في مواهبه وعبقريّاته ، ومن أفذاذ الأُسرة العلويّة في فضله وأدبه وروعة بيانه ، وكان يأخذ بمجامع القلوب ببلاغته وفصاحته ، وتقواه وورعه ، وقد ورث آداب آبائه ، ومعالي أخلاقهم ، ومحاسن صفاتهم ، وكان من ذخائر أبناء الأئمّة الطاهرين ، ومن كواكبهم المشرقة في سماء الإسلام في جهاده ومقاومته لطغيان الأمويّين وأباطيلهم ، وهذه نفحات من صفاته ومواهبه :

عناصره النفسيّة

أمّا عناصر زيد فإنّها امتداد مشرق لصفات آبائه الذين كانوا أمثلة للإسلام بجميع قيمه ومكوّناته ، وهذا عرض لبعضها :

١ ـ إنابته عليه السلام إلى الله تعالى

كان زيد من أعلام المتّقين والمنيبين والمطيعين لله تعالى ، وقد ورث هذه الظاهرة من آبائه الذين تفانوا في حبّ الله تعالى ، ووهبوا أرواحهم في طاعته .

لقد نشأ زيد في كنف أبيه سيّد الساجدين ، وإمام الموحّدين ، فتأثّر بسلوكه وهديه ، فأناب إلى الله تعالى كما أناب أبوه ، وقد روى عاصم بن عبيدالله العمري عن إيمان زيد وعظيم طاعته لله تعالى بقوله : « لقد رأيته وهو غلام حدث يسمع الشيء من ذكر الله تعالى فيبكي حتّى يغشى عليه ، فيقول القائل : والله ما هو بعائد إلى

الدنيا ، وكان إذا فتح المصحف وقرأ شيئاً من آياته أخذته الرعدة والبكاء ، ولقد قرأ يوماً قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾[1] ، فقال : هذا الوعد والوعيد والتهديد من الله عزّ اسمه ، اللّهمّ لا تجعلنا ممّن تولّى عنك فاستبدلت به بدلاً .

ولم يزل يكرّر ذلك ، ويبكي حتّى يغشى عليه »[2] .

حكت هذه الكلمات إنابة زيد إلى الله تعالى ، وأنّه كأبيه سيّد الساجدين الذي كان في طليعة العارفين بالله والمنيبين إليه .

وحدّث يحيى عن إيمان أبيه وطاعته وعبادته لله تعالى بقوله : « كان يصلّي الفريضة ـ أراد بها صلاة العشاء ـ ثمّ يصلّي ما شاء الله ، ثمّ يقوم على قدميه يدعو الله تعالى إلى الفجر ، يتضرّع له ويبكي بدموع جارية حتّى يطلع الفجر ، فإذا طلع الفجر قام وصلّى الفريضة ، ثمّ جلس للتعقيب إلى أن يتعالى النهار ، ثمّ يقوم في حاجته ساعة ، فإذا كان قرب الزوال قعد في مصلّاه يسبّح الله ويمجّده إلىٰ وقت الصلاة ، وقام فصلّى الأُولى ، وجلس هنيهة وصلّى العصر ، وقعد في تعقيبه ساعة ، ثمّ سجد سجدة فإذا غابت الشمس صلّى المغرب والعتمة » .

وتحدّث عن صومه ، فقال : « كان يصوم في السنة ثلاثة أشهر ، وفي الشهر ثلاثة أيّام »[3] .

وكان هذا السمت من العبادة ظاهرة من ذاتيّات أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، ومن سار على هديهم ، وتأثّر بسلوكهم من أبنائهم الذين أخلصوا في طاعتهم إلى الله تعالى .

---

(١) محمّد صلى الله عليه وآله ٤٧ : ٣٨ .

(٢) خطط المقريزي : ٤ : ٣٠٧ . مسند زيد : ٤٧ . أعيان الشيعة : ٧ : ١٢٣ . مقاتل الطالبيّين : ١٢٨ .

(٣) كفاية الأثر : ٣٠٤ و ٣٠٥ .

وروى سعيد بن خثيم (جبير) أنّه قال لمحمّد بن خالد : كيف مقام زيد في قلوب أهل العراق ؟

فقال : إنّي لا أُحدّثك عن أهل العراق ، ولكن أُحدّثك عن رجل يقال له النازلي بالمدينة يقول : صحبت زيداً ما بين مكّة والمدينة ، فكان يصلّي الفريضة ـ أراد بها صلاة المغرب ـ ثمّ يصلّي ما بين الصلاة إلى الصلاة ـ وهي صلاة العشاء ـ ويصلّي الليل كلّه ، ويكثر التسبيح ، ويردّد قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾[١] ، فيصلّي ليله ثمّ يردّد هذه الآية إلى قريب من نصف الليل ، فانتبهت وهو رافع يديه إلى السماء ويقول : إلٰهي عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخرة ، ثمّ انتحب ، فقمت إليه وقلت : يابن رسول الله ، لقد جزعت في ليلتك هذه جزعاً ما كنت أعرفه ؟

قال : ويحك يا نازلي ، إنّي رأيت الليلة وأنا في سجودي إذ رفع لي زمرة عليهم ثياب ما رأتا الأبصار حتّى أحاطوا بي وأنا ساجد ، فقال كبيرهم الذي يسمعون منه : أهو هذا ؟

قالوا : نعم .

قال : ابشر يا زيد إنّك مقتول في الله ، ومصلوب ومحروق بالنار ، ولا تمسّك النار بعدها أبداً ، فانتبهت وأنا فزع ، والله لوددت أنّي أُحرقت بالنار ثمّ أُحرقت بالنار وأنّ الله أصلح لهذه الأمّة أمرها »[٢] .

حكى هذا الحديث عبادة الإمام زيد وعظيم طاعته لله تعالى ، كما حكى تصميمه على الشهادة ، غير حافل بما يلاقيه من الحرق لجثمانه المقدّس في سبيل إصلاح أمر المسلمين .

---

(١) ق ٥٠ : ١٩ .

(٢) تفسير فرات : ٤٣٥ ، الحديث ٤ .

ومن مظاهر طاعته لله تعالى وإنابته إليه هذا الدعاء الذي كان يدعو به وهو :

« اللّٰهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ سُلُوّاً عَنِ الدُّنيا ، وَبُغْضاً لَها وَلأَهْلِها ، فَإِنَّ خَيْرَها زَهيدٌ ، وَشَرَّها عَنيدٌ ، وَجَمْعَها يَنْفَدُ ، وَصَفْوَها يَرْنَقُ ، وَجَديدَها وَخيرَها يَنْكَدُ ، وَما فاتَ مِنْها حَسْرَةٌ ، وَما أُصيبَ مِنْها فِتْنَةٌ إلّا مَنْ نالَتْهُ مِنْكَ عِصْمَةٌ .

أَسْأَلُكَ اللّٰهُمَّ الْعِصْمَةَ مِنْها ، وَلا تَجْعَلْنا كَمَنْ رَضِيَ بِها ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْها ، فَإِنَّ مَنْ أَمِنَها خانَتْهُ ، وَمَنِ اطْمَأَنَّ إِلَيْها فَجَعَتْهُ .

أَعوذُ بِكَ اللّٰهُمَّ مِنْ مِثْلِ عَمَلِهِ وَمِثْلِ مَصيرِهِ .

ثمّ قال : كَمْ لي مِنْ ذَنْبٍ وَسَرَفاً بَعْدَ سَرَفٍ قَدْ سَتَرَهُ رَبّي ، وَما كَشَفَ ، أَجَلْ أَجَلْ سَتَرَ رَبّي الْعَوْرَةَ ، وَأَقالَ الْعَثْرَةَ حَتّىٰ أَكْثَرْتُ فيهِ مِنَ الْإِساءَةِ ، وَأَكْثَرَ رَبّي فيها مِنَ الْمُعافاةِ ، إِنّي لَأَسْتَحي مِنْ عَظَمَتِهِ أَنْ أُفْضي إِلَيْهِ بِما أَسْتَخْفي بِهِ مِنْ عَبْدٍ لَهُ ، وَبِما أَنَّهُ لَيَفْضَحُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنّي فيما هُوَ أَدْنىٰ مِنْهُ ، ثُمَّ ما كَشَفَ رَبّي لي فيهِ سِتْراً وَلا سَلَّطَ عَلَيَّ فيهِ عَدُوّاً ، فَكَمْ لَهُ في ذٰلِكَ مِنْ يَدٍ وَيَدٍ ما أَنا إِنْ نَسيتُها بِذَكورٍ ، وَما إِنْ كَفَرْتُها بِشَكورٍ ، وَما نَدِمْتُ عَلَيْها إِذا لَمْ أَعْتِبْكَ مِنْها .

رَبِّ لَكَ الْعُتْبىٰ بِما تُحِبُّ وَتَرْضىٰ ، فَهٰذِهِ يَدي وَناصِيَتي مُقِرٌّ بِذَنْبي ، مُعْتَرِفٌ بِخَطيئَتي ، إِنْ أَنْكَرُها أَكْذِبُ ، وَإِنْ أَعْتَرِفُ بِها أُعَذَّبُ إِنْ لَمْ يَعْفُ الرَّبُّ ، وَيَغْفِرِ الذَّنْبَ ، فَإِنْ يَغْفِرْ فَتَكَرُّماً وَما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبيدِ ، فَهُوَ الْمُسْتَعانُ لا يَزالُ يُعينُ ضَعيفاً ، وَيُغيثُ مُسْتَغيثاً ، وَيُجيبُ داعِياً ، وَيَكْشِفُ كَرْباً ، وَيَقْضي حاجَةَ ذي الْحاجَةِ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، أَجَلْ أَنْتَ كَذٰلِكَ ... »(١) .

وحكى هذا الدعاء صورة مشرقة من إنابة زيد وانقطاعه إلى الله تعالى ، كما حكى

---

(١) تاريخ الشام : ٦ : ١٨ .

زهده في الدنيا وإحاطته بشرورها وغرورها ، فهو يسأل من الله تعالى أن يملأ نفسه سلواً عنها وبغضاً لها .

٢ـ الإباء عن الضيم

من نزعات زيد ومن مكوّناته النفسيّة الإباء عن الضيم ، وقد ورث هذه الظاهرة من جدّه أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، الذي رفع منار الكرامة الإنسانيّة ، ورسم طريق الشرف والعزّة ، فلم يخضع ولم يخنع لقرود بني أُميّة وآثر الموت تحت ظلال الأسنّة في سبيل كرامته .

يقول عبدالعزيز بن نباتة :

وَالحُسَينُ الَّذي رَأى المَوتَ في الْعِـ ـزِّ حَياةً وَالعَيشَ في الذُّلِّ قَتْلا

يقول ابن أبي الحديد : سيّد أهل الإباء الذي علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف اختياراً على الدنيّة أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب الذي عرض عليه الأمان هو وأصحابه ، فأنف من الذلّ ، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنّه لا يقتله ، فاختار الموت على الدنيّة .

وسمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي يقول : «كأنّ أبيات أبي تمّام في محمّد بن حميد الطائي ما قيلت إلّا في الحسين :

وَقَدْ كانَ فَوتُ المَوتِ سَهْلاً فَرَدَّهُ إِلَيهِ الحِفاظُ المُرُّ وَالخُلُقُ الوَعْرُ
وَنَفسٌ تَخافُ العارَ حَتّىٰ كَأَنَّما هُوَ الكُفرُ يَومَ الرَّوْعِ أَوْ دونَهُ الْكُفْرُ
فَأَثبَتَ في مُسْتَنْقَعِ المَوتِ رِجلَهُ وَقالَ لَها مِنْ تَحتِ أَخْمُصِكِ الحَشْرُ
غَدا غَدوَةً وَالحَمدُ نَسجُ رِدائِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلّا وَأَكْفانُهُ الأَجْرُ
تَرَدّىٰ ثِيابَ المَوتِ حُمْراً فَما دَجا لَها اللَّيلُ إِلّا وَهيَ مِنْ سُندُسٍ خُضْرُ

لقد وقف أبو الأحرار يوم الطفّ كالجبل الأشمّ غير حافل بأُولئك العبيد ، فقال

للدنيا: «**أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَينِ بَيْنَ السِّلَةِ وَالذِّلَّةِ، وَهَيْهاتَ مِنَّا الذِّلَّةَ. يَأْبَى اللهُ لَنا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورٌ طابَتْ وَطَهُرتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئامِ عَلَىٰ مَصارِعِ الْكِرامِ...**»[١].

هكذا كان أبو الأحرار المعلّم والقائد لكلّ شريف عصيّ على الظلم، وقد اقتدى به وسار على منهجه حفيده البطل زيد الذي قال: «ما كره قوم حرّ السيوف إلّا ذلّوا».

وانبرى إلى ساحة الجهاد في سبيل عزّته وكرامته، وسنوضّح ذلك في البحوث الآتية.

٣ـ الشجاعة

أمّا الشجاعة فإنّها من العناصر والذاتيّات لأهل البيت عليهم السلام، فقد كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أشجع العرب على الاطلاق، وكان القوّة الضاربة التي احتمى بها النبيّ صلى الله عليه وآله أيّام محنة الإسلام وغربته.

وأمّا الإمام الحسين عليه السلام فهو أشجع خلق الله تعالى، وقد أنست شجاعته شجاعة أبيه محطّم أصنام قريش وفاتح خيبر.

وقد ورث زيد شجاعته النادرة عن آبائه العظام، فلم يعرف الخوف وأنكره أشدّ الإنكار، وقد حذّره بعض محبّيه من غدر أهل الكوفة، فأجابه:

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني المَنونَ كَأَنَّني ... أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الحَياةِ بِمَعزَلِ
فَأَجَبْتُها أَنَّ المَنِيَّةَ مَنهَلٌ ... لا بُدَّ أَنْ أُسقىٰ بِكَأْسِ المَنْهَلِ[٢]

---

(١) تحف العقول: ٢٤١ و ٢٤٢. اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٩. بحار الأنوار: ٤٥: ٨ و ٩. منتهى الآمال: ١: ٤٨٧. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٢٨٧. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٧. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٣: ٢٤٩ و ٢٥٠.

(٢) الروض النضير: ١: ٧٥.

إنَّ المَـنِيَّةَ لَـوْ تَـمَثَّلُ مُـثِّلَتْ   مَـثَلي إذا نَـزَلوا بِـضيقِ المَـنزلِ
فاقني حـياؤك لا أبـا لَكِ وَاعْـلَمي   أنّـي امْـرُؤٌ سَـأَموتُ إنْ لَـمْ أُقْـتَلِ

حكى هذا الشعر سخرية زيد من الحياة واستهانته بالموت ، وقد خاض الحرب ببسالة ضدّ الجيش الأموي ولم يكن معه إلاّ القلّة من أصحابه ، فأوقع بهم الخسائر الفادحة ، وأبدى من البسالة ما يفوق حدّ الوصف ، ولولا السهم الذي أصاب جبينه لأتى على الجيش وطوى معالم السياسة الأمويّة .

وكما كان زيد أشجع الناس فقد كان يملك شجاعة أدبيّة نادرة ، فقد قابل الطاغية هشام بالردّ الحاسم ، لم يحفل بملكه وسلطانه وتركه يتميّز غيظاً وغضباً لا يدري ما يقول ، وسنعرض لذلك في بحوث هذا الكتاب .

٤ ـ السخاء

وظاهرة أُخرى من صفات زيد هو الكرم ، فقد كان من أندى الناس كفّاً ، وأبسطهم يداً ، وأحبّهم للمعروف والبرّ والإحسان ، وكان يغدق الأموال على الضعفاء والبؤساء شأن أبيه زين العابدين عليه‌السلام الذي كان الإحسان إلى الفقراء من أهمّ متعه النفسيّة ، فكان زيد يغدق عليهم بمبرّاته وإحسانه ، وقد التفّت حوله الجماهير وبايعته ليعيد لهم حكومة القرآن التي كان من أهمّ برامجها القضاء على الفقر والحاجة .

وقد حكى زيد عن سخائه وكرمه بقوله :

يَـقولونَ زَيـداً لَا يُـزَكـيّ بِـمالِهِ   وَكَيفَ يُزَكّي المالَ مَنْ هُوَ باذِلُهْ
إذا حالَ حَولٌ لَمْ يَكُنْ في ديارِنا   مِنَ المالِ إلّا رَسْمُهُ وَفَضائِلُهْ [١]

---

(١) أعيان الشيعة : ٧ : ١٢٤ .

٥ـ الصبر

وكان من صفات زيد الصبر على محن الدنيا وبلائها ، فقد أحاطت به وبسائر السادة العلويّين ألوان قاسية من المحن والخطوب ، والتي منها سماعه لسبّ آبائه الطاهرين على المنابر في خطب الجمعة والأعياد بإيعاز من السلطة الحاكمة في دمشق تدعيماً لحكمهم القائم على الباطل والمنكر والتمرّد على جميع القيم الإنسانيّة .

لقد حسب الخطّ الأموي أنّ شتم أهل البيت عليهم السلام وانتقاصهم في الأندية والمحافل يثبّت دعائم ملكهم ، وهيهات ذلك فقد انكشفت عورات الأمويّين وبرزت للمجتمع جاهليّتهم ، وما يؤمنون به من العداء للإسلام والتنكّر لمبادئه وقيمه .

وعلى أي حال ، فقد صبر زيد على ذلك ، وقد ملئت نفسه ألماً وأسى على هذه الرزايا التي تعصف بالصبر .

٦ـ الأخلاق الرفيعة

من مقوّمات زيد ، ومن أبرز ذاتيّاته الأخلاق الرفيعة التي تميّز بها ، وجعلته في مصاف العظماء والمصلحين . إنّ أخلاقه السامية قد سيطر بها على جماهير أهل الكوفة ، وبايعته قلوبهم ، وآمنوا به قائداً ومصلحاً وإماماً .

إنّ هذه الظاهرة قد ورثها من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بعث ليتمّم مكارم الأخلاق ، والتي غيّر بها مجرى التاريخ ، وأنقذ الإنسان من ظلام الجاهليّة وويلاتها ، فكذلك حفيده قد تميّز بهذه الظاهرة الكريمة .

مواهبه عليه السلام

كان زيد ملهماً موهوباً قد ساد على أقران عصره ، وكان ممّا يشار إليه لفضله

وعبقريّاته ، وهذا عرض لبعض مكوّناته العلميّة :

١ـ دراسته عليه السلام

نشأ زيد في مراكز العلم والتقوى ، وتلقّى تربيته وتهذيبه في أطهر بيت ، إنّه البيت الذي أذهب الله تعالى عن أهله الرجس وطهّرهم تطهيراً ، وقد حفظ القرآن وهو في سنّ مبكّر وتأدّب بآداب أبيه الذي هو زين العابدين ، وإمام الساجدين ، وكان لزيد دور نشط ومتميّز في طلب العلم ، وبناء شخصيّته على العلوم النافعة التي تملأ الفكر إشراقاً ووعياً .

أوّلاً : أساتذته عليه السلام

أمّا أساتذته الذين أخذ عنهم العلوم ، وانتهل من نمير معارفهم ، فهم :

الإمام زين العابدين عليه السلام

وأوّل أساتذته ومربّيه أبوه الإمام زين العابدين ، فمنه عليه السلام أخذ علومه ، وقد انصرف زين العابدين عليه السلام بعد شهادة أبيه إلى نشر العلم وإشاعته بين طلّابه ، وقد وجد في ذلك سلوة نفسيّة له عن آلامه برزايا أبيه ، فكان فيما يقول الرواة يشتري العبيد ويعتقهم ويمنحهم الثراء ويطلب منهم الحضور في مجلس درسه ، وقد تخرّج من مدرسته كوكبة من العلماء تزيد على مائتين ، ففي هذا الجوّ العلمي تلقّى زيد دروسه المتنوّعة من أبيه .

الإمام الباقر عليه السلام

وهو باقر علوم الأوّلين والآخرين على حدّ تعبير بعض الرواة ، وقد انصرف إلى العلم ، ولم يشترك في الميادين السياسيّة ، وقد احتفّ به كبار العلماء ، وبعض أصحاب المذاهب وهم ينتهلون من نمير علومه ، وقد تخرّج من مدرسته جمهرة من

أساطين العلماء ، أمثال زرارة بن أعين ، ومحمّد بن مسلم الذين كان لهم الفضل في تدوين أحاديثه التي رجع إليها فقهاء الشيعة في استنباطهم للأحكام الشرعيّة .

ففي مدرسة الإمام الباقر عليه السلام الحافلة بكبار العلماء أخذ زيد علومه .

واصل بن عطاء

والشيء المحقّق أنّ زيداً لم يحضر دروس واصل بن عطاء ، ولم يأخذ منه العلم ، فقد كان يفوقه في فضله وعلومه ، ولا صحّة لما قيل إنّه تتلمذ عنده ، فإنّ هذا القول ليس بوثيق ، وقد نفى المرحوم الشيخ أبو زهرة أن يكون زيد تتلمذ عند واصل ، وذلك لتقاربهما في السنّ ، فقد ولد كلاهما في سنة ٨٠ هـ أو قريباً من ذلك(١) ، وبعيد جدّاً أن يكون التقارب في السنّ سبباً لعدم تلمذة زيد عند واصل ، وإنّما سعة علوم زيد وإحاطته بكثير من العلوم والمعارف ، وتفوّقه عليه ، الأمر الذي يمنع تلمذة زيد عند واصل ، والذي أراه أنّ واصلاً تتلمذ عند زيد وانتهل من نمير علومه التي تلقّاها من أبيه وأخيه اللذين هما من منابع العلم والفضل في الإسلام ، حتّى بلغ زيد أرقى درجة من العلوم ، ومنح لقب عالم آل محمّد صلى الله عليه وآله ، وكان واصل يرجع إليه في أهمّ المسائل الكلاميّة ، والتي منها :

رسالة زيد عليه السلام لواصل

سأل واصل بن عطاء الإمام زيداً عن الإمامة هل تكون بالانتخاب الشعبي أم بالنصّ والتعيين ، فأجابه زيد برسالة جاء فيها بعد البسملة :

« حاطك الله أبا حذيفة ، وعصمك ووفّقك وسدّدك عن الإمامة ، وقلت عن خيرة كانت فتكون أو عن نصوص ؟ فأحببت أن أطرح خلاف الناس في ذلك ، وما قاله كلّ فريق منهم؛ إذ قد عنيتني بمسألتك ، وقصدت تحرّي قولي في ذلك ، فأقول : الحمد

(١) الإمام زيد / الشيخ أبو زهرة : ٣٩.

لله على ما خصّ وعمّ من إحسان ونِعم وتوفيق وامتنان ، وصلّى الله على خيرة الله تعالى من جميع خلقه ويارك الله عزّ اسمه لنا ولك في المنقلب وفي المثوى .

إنّ الإمامة أوّل خلاف وقع في الأُمّة بعد مضيّ النبيّ ﷺ ووفاته ، انتهبها قوم كما ينتهب تراث الدنيا ، فكلّ يقول : إنّه أحقّ ـ برأيه وزعمه ـ وأنّه أخصّ وأوْلى .

فحاج أبو بكر الأنصار بحجج عامّة لسائر قريش ، ثمّ اختصّ بها دونهم من غير مشاورة من جميعهم ، ولا أخذ إقرارهم أنّه أولاهم بها ، ثمّ قام بها أيّام حياته ، وتضمّنها بعد وفاته ممّا جعل لعمر بن الخطّاب منها وما خصّه بها من تسليمها له دون غيره نصّاً وتسمية وتعييناً ، فقام عمر ينحو نحوه ، ولا يتغيّر عن طريقته حتّى كان من أمر عبد المغيرة بن شعبة[١] ما كان ، فجعلها في ستّة ليختاروا أحدهم ، وكان من عبدالرحمن بن عوف الذي كان فسلّمها إلى عثمان فيما خيّروه[٢] وعاتبوه ، واستتابوه فلم يتب ، فهجموا على داره فقتلوه .

فأتى قوم من المهاجرين عليّاً ، وهو لا يشعر فنعوا إليه عثمان بن عفّان وقالوا : قتله المصريّون ، وإنّا لا نجد عنك غنى ولا ملجأ ولا معاذاً ، فكان منه الجواب الذي أخفيه عنك ، فلا يضرّك إن أخفيته ، ولا ينفعك إن رسمته في كتابي هذا ، فبايعوه على كتاب الله تعالى والعمل بما فيه ، فأقام لهم العدل وعمل فيهم بالقرآن »[٣] .

وهذه الرسالة من غرر الرسائل في الإمامة ، وقد رسمت ببعض فصولها حسبما يقوله الطابع والمخرج لها ، وقد حكت أمر الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ على حقيقتها ، فقد تناهبها القوم كما يتناهبون تراث الدنيا ، وقد تزعم هذه الحركة الانقلابيّة أبو بكر بدعوى أنّ المهاجرين أقرب نسباً إلى النبيّ ﷺ من الأنصار ،

---

(١) عبدالمغيرة هو أبو لؤلؤة الذي اغتال عمر بن الخطّاب .

(٢) أشار المعلّق إلى أنّ في أصل المصدر الذي أُخذ منه حذفاً كبيراً .

(٣) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٥٢ و ٣٥٣ .

ولمّا قرب أجله أدلى بالخلافة من بعده إلى ابن الخطّاب الذي كان عضده القويّ في تقلّده للخلافة .

ولمّا اغتاله أبو لؤلؤة نقل الخلافة إلى زعيم الأمويّين وعمدتهم عثمان بن عفّان ، وغلّف ذلك بالشورى التي هي بعيدة كلّ البعد عن الشورى الحقيقيّة التي يجب أن يشترك في عملية انتخاب الرئيس جميع قطعات الشعب .

ولمّا تقلّد شيخ الأمويّين عثمان أمر الخلافة منح جميع أجهزة الدولة إلى بني أُميّة ، فاتّخذوا مال الله تعالى دولاً وعباده خولاً ، فثار عليه المسلمون وقتلوه ، وتولّى الأمر بعده رائد العدالة الاجتماعيّة في دنيا الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وثارت عليه اللصوص والخونة حتّى استشهد سلام الله عليه وقد حكت رسالة زيد معظم هذه النقاط .

ثانياً : تلامذته عليه السلام

تتلمذ عنده كوكبة من العلماء ، كان منهم محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري ، وسليمان بن مهران الأعمش ، وسعيد بن خثيم الهلالي ، وإسماعيل بن عبدالرحمن ، الأجلح بن عبدالله الكندي ، وآدم بن عبدالله الخثعمي ، وإسحاق بن سالم ، وبسّام بن سالم ، وبسّام الصيرفي ، وأبوحمزة ثابت بن أبي صفيّة ، وابنه حسين بن زيد ، وخالد بن صفوان ، وأبو سليمة راشد بن صالح الصائغ الكوفي ، وزياد بن علاقة ، وسعيد بن منصور المشرفي الكوفي ، وشعبة بن الحجّاج ، وعبّاد بن كثير ، وعبدالله بن عمر بن معاوية ، وعبدالله بن عيسى بن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى ، وعبدالرحمٰن بن أبي الزناد ، وعبيدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وعبيد بن اصطفى ، وأبو هريرة عريف بن درهم ، وعمر بن موسى ، والسدّي ، وزبيد اليامي ، وزكريّا بن أبي زائدة ، وعبدالرحمن بن الحارث بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي ، وابنه عيسى بن زيد ، وكثير النوّاء ، وكيسان أبو عمر

القصّار الكوفي ، والمطّلب بن زياد ، وهارون بن سعد العجلي ، وأبو الزياد[١] ، وابنه يحيى ، ومحمّد بن سالم ، ومحمّد بن بكير ، وعبيدالله بن صالح ، وهاشم بن البريد ، وأبو جعفر بن أبي زياد الأحمر ، وأبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني ، وكثير بن طارق ، وعمر بن موسى بن الوجيهي ، وعبيدالله بن أبي العلاء ، ورزين بيّاع الأنماط ، وأبان بن عثمان ، والفضيل بن مرزوق ، وعمرو بن خالد الواسطي[٢] .

وممّن أخذ عنه العلم أبو حنيفة[٣] ، وغيرهم من مشاهير ذلك العصر .

لقد كان زيد من نوابغ العلماء ومن عيون الفقهاء الذي انتهل العلماء من نمير علمه .

كما تتلمذ عنده أفاضل السادة العلويّين كإبراهيم بن الحسن المثنّى ، وأخيه الحسين ابن الإمام زين العابدين وعبيدالله وعبدالله ابني محمّد بن عمر ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٤] .

وتحكي هذه الجمهرة من تلاميذه أنّه كان من أساطين العلماء الذين أخذ منهم العلم ، وجهدوا على إشاعته بين الناس .

ومن الجدير بالذكر أنّ محاضرات زيد في العلوم كانت في بهو الجامع النبويّ الذي صار مركزاً ومدرسة للبحوث العلميّة في عصره .

٢ ـ علومه عليه السلام

خاض زيد في بحوثه ومحاضراته كثيراً من العلوم التي تمرّس فيها ، وكان من أساتذتها الماهرين ، وهذه بعضها :

---

(١) تهذيب التهذيب : ٣ : ٣٦٢ .

(٢) تهذيب الكمال : ٦ : ٤٧٧ .

(٣) زيد الشهيد : ٢٣ .

(٤) الروض النضير : ١ : ٦٥ .

١ـ تفسير القرآن

كان زيد متضلّعاً في تفسير القرآن الكريم ومحيطاً بعامّه وخاصّه، ومطلقه ومقيّده، وناسخه ومنسوخه، ومجمله ومبيّنه، ومحكمه ومتشابهه، وقد أخذ ذلك من أخيه باقر علوم الأوّلين والآخرين، وقبل أن نعرض إلى ما أُثر عنه في تفسير القرآن نذكر حديثاً له في فضله.

قال عليه السلام: «اعلموا رحمكم الله أنّ القرآن والعمل به يهدي للتي هي أقوم، لأنّ الله تعالى شرّفه وكرّمه وعظّمه، وسمّاه روحاً ورحمة وشفاء وهدى، ونوراً وقطع عنه بمعجزة التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن جعل المتكلّفين، وجعله متلوّاً لا يمل، ومسموعاً لا تمجّه الآذان، وغضّاً لا يخلق عنه كثرة التردّد، وعجباً لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنفد فوائده»[١].

حكى هذا الاطراء على كتاب الله العظيم مدى توغّل زيد في دراسته للقرآن، وإحاطته ببنوده، ونظراً لذلك فقد لقّب بحليف القرآن[٢].

وحدّث أبو غسّان الأزدي عن سعة اطّلاع زيد بالقرآن الكريم، قال: «قدم زيد بن عليّ الشام أيّام هشام بن عبدالملك، فما رأيت رجلاً أعلم بكتاب الله تعالى منه، ولقد حبسه هشام خمسة أشهر وهو يقصّ علينا ونحن معه في الحبس تفسير سورة الحمد وسورة البقرة هذّ ذلك هذّاً»[٣].

لقد اهتمّ زيداً اهتماماً بالغاً في تفسير القرآن وإشاعة معانيه بين الناس، ومن الجدير بالذكر أنّ بعض الصحف المحلّيّة في بغداد نشرت أنّ لزيد كتاباً مخطوطاً في تفسير القرآن الكريم في خزائن المخطوطات في الكونكرس الأمريكي.

---

(١) الحدائق الورديّة: ١: ١٥١.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ١٣٠.

(٣) هذّاً: أي سرعة.

نماذج من تفسيره عليه السلام

أمّا الإمام زيد فهو من الروّاد الأوائل المعنيّين بتفسير القرآن الكريم، فهو حليفه والمتمرّس في بحوثه ومعانيه، وهذه شذرات من تفسيره لبعض الآيات:

١ ـ سئل الإمام زيد عن هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾(١).

فأجاب: أنّه لم يرد من الكفّار الذين كفروا بالله تعالى، وإنّما أراد الزرّاع سمّوا بالكفرة، وإنّما سمّوا بذلك لأنّهم إذا ألقوا البذر في الأرض كفروه، أي غطّوه، وكلّ شيء غطّيته فقد كفرته، ومنه قيل: فلان تكفر بالسلاح أي تغطّى به، ويقال لليل كافر لأنّه يستر بظلامه، ومنه قول لبيد: «في ليلة كفر النجوم غمامها» أي غطّاها(٢).

٢ ـ سئل الإمام عن العهد، فقال: إنّه ذكر في كتاب الله تعالى في معانٍ متعدّدة بلفظ، وهذا يسمّيه الأصوليّون بالمشترك اللفظي، وهو أن يوضع اللفظ لمعانٍ متعدّدة كلّ واحد منها بوضع خاصّ، ومن هذه المعاني المتعدّدة: الأمان. قال تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾(٣)، أي أتمّوا لهم أمانهم.

ومن هذه المعاني: اليمين. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾(٤)، أي أوفوا بأيمانكم.

ومن معانيه: الوصيّة. قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾(٥)، أي ألم أوصكم.

---

(١) الحديد ٥٧: ٢٠.

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد: ٣٤٠.

(٣) التوبة ٩: ٤.

(٤) النحل ١٦: ٩١.

(٥) يس ٣٦: ٦٠.

ومن معانيه : الميثاق . قال تعالى : ﴿ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[1] ، أي لا ينال ميثاقي ، وهو الإمامة لا ينالها الظالمون[2] .

٣ـ سئل الإمام زيد عن « الضرّ » في كتاب الله تعالى ، ما هو ؟

فأجاب : إنّه في كوكبة من الآيات بمعان مختلفة :

منها : قوله تعالى : ﴿ **أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** ﴾[3] ينفعوكم أي يحبّونكم ، يضرّون أي يميتون .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ **قُل لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً** ﴾[4] ، أي لا أملك جرّ نفع ، ولا دفع ضرّ .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ** ﴾[5] الضرّ في الآية الشدّة والبلاء .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ** ﴾[6] .

٤ـ سئل الإمام زيد عن المراد بمكر الليل والنهار في الآية : ﴿ **بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** ﴾[7] .

فقال : إنّ لهذا مثلاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ** ﴾[8] . إنّ القرية لا تسأل ، وكذلك العير لا تسأل ، وإنّما الذي يسأل أهلهما ، وكذلك مكر

---

(١) البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٢٣ .

(٣) الشعراء ٢٦ : ٧٣ .

(٤) يونس ١٠ : ٤٩ .

(٥) الأنعام ٦ : ١٧ .

(٦) فصّلت ٤١ : ٥٠ .

(٧) سبأ ٣٤ : ٣٣ .

(٨) يوسف ١٢ : ٨٢ .

الليل والنهار، أي مكر أهل الليل وأهل النهار.

وأضاف زيد قائلاً: والعرب تقول: بنو فلان تطأهم الطريق، أي أهل الطريق، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ﴾(١)، فإنّ من اتّقى ليس البرّ، وإنّما هو البارّ والبرّ فعله.

وسمعت بعض العرب تقول: أطيب الناس الزبد، والمراد أطيب طعام الناس الزبد، واستشهد على ذلك بجملة من أشعار العرب التي فيها الإسناد المجازي(٢).

٥ ـ قال الإمام زيد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾(٣): إنّ المراد باليد هي النعمة والفضل لا اليد الجارحة، ومنه قول العرب: «لفلان عليَّ يد»، أي نعمة.

٦ ـ قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾(٤)، أي مطويّات بقدرته وقبضته يوم القيامة، وهذا مثل القول: «هذا في يدي» أي في ملكي، وإن لم يكن قابضاً عليه، ومنه قول الشاعر:

إذا ما رايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجدٍ ... تَـلَقّاها عَرابَةُ بِاليَمينِ

ودعم ذلك ببعض أبيات من الشعر لكوكبة من الشعراء(٥).

٧ ـ سأله رجل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

---

(١) البقرة ٢: ١٨٩.

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد: ٣٣٢.

(٣) المائدة ٥: ٦٤.

(٤) الزمر ٣٩: ٦٧.

(٥) خزانة الأدب: ٣: ٣٨. أعيان الشيعة: ١: ٢٥٤.

فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾[١] كيف يأمر الله تعالى بالفسق وهو القائل: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** ﴾[٢] ؟

فأجابه الإمام: ليس المعنى ما ذهبت إليه أنت تريد مثل قولك: «أمرته فضرب زيداً»، و «أمرته فقام»، وهذا ليس منه، وإنّما هو يكون على معنيين:

أحدهما: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها، كقولك: «أمرتك فعصيتني» أي أمرتك بالخير فخالفتني.

ثانيهما: أمرنا أي سلّطنا أو كثّرنا، وهذا ليس أمراً، وقد دعم ذلك ببعض الشعر[٣].

٨ - عرض الإمام إلى الهدى في القرآن الكريم، وأنه على معان ووجوه، وهي قوله تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾[٦].

تناولت هذه الآيات أنّ الله عزّ اسمه يهدي، وكذلك النبيّ يهدي، والمؤمنون يهدون.

أمّا الهداية من الله تعالى فدلالته على الحقّ ودعوته إليه، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ** ﴾[٧]، أي دللناهم على الحقّ وبيّناه لهم.

---

(١) الإسراء ١٧: ١٦.

(٢) النحل ١٦: ٩٠.

(٣) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد: ٣٤١.

(٤) الأنعام ٦: ٨٧.

(٥) الشورى ٤٢: ٥٢.

(٦) الأنبياء ٢١: ٧٣.

(٧) فصّلت ٤١: ١٧.

وأمّا الهداية من النبيّ ﷺ فهو بيانه لوسائل الخير، وما يقرّبهم إلى الله زلفى[١].

٩ ـ سأل أبو خراش بن العامري الإمام زيداً عن تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾[٢]، وكان أبو خراش من أبناء العامّة.

فقال له زيد: ما يقول مفسّروكم فيها؟

قال: لم أسمع فيها شيئاً.

وراح زيد يفسّر له الآية قائلاً: اختلف أهلنا فيها، وعرض عليهم آراءهم:

قال بعضهم: أمرهم ـ أي المسلمين ـ أن يدخلوا في الإسلام في سرّهم وعلانيتهم.

قال آخرون: إنّها نزلت في قوم من اليهود وكانوا يبقون في السبت ولحوم الإبل، فقال الله تعالى: أُدخلوا في كلّ الإسلام إذا أسلمتم.

قال آخرون: عنى به المؤمنين، يقول: كونوا فيما تستقبلون في الإسلام ولا تتبدّلوا به، ولا تخرجوا منه، وهو كقوله تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ** ﴾[٣][٤].

١٠ ـ سئل زيد عن قول الله عزّ اسمه: ﴿ **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا** ﴾[٥] كيف جاز ذلك، والأرض قد خلقها الله تعالى قبل السماء، قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ** ﴾[٦]؟

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد: ٣٤٣.

(٢) البقرة ٢: ٢٠٨.

(٣) النساء ٤: ١٣٦.

(٤) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد: ٣٤٥.

(٥) النازعات ٧٩: ٣٠.

(٦) البقرة ٢: ٢٩.

فأجابه زيد : إنّ المعنى على وجهين :

الأوّل : أن تكون كلمة « بعد » بمعنى « مع » فيكون المعنى والأرض مع ذلك دحاها ، ومجيء كلمة « بعد » بمعنى « قد » وردت في التنزيل . قال تعالى : ﴿ **عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ** ﴾[١] ، وهذا كما يقول شخص لرجل يسبّه : أنت أحمق بخيل ، وبعد هذا لئيم ، أي مع هذا .

الثاني : أن يكون خلق الأرض ولم يدحها ، فلمّا خلق السماء دحاها ـ أي بسطها ـ واستشهد بقول أُميّة بن الصلت :

دارٌ دَحـاها ثُـمَّ أَعـمَرَ أَرضَـها ... وَأَقامَ في الأُخْرى الَّتي هِيَ أَمْجَدُ

وقال أوس :

يَنْفي الحَصىٰ عَنْ جَديدِ الأَرضِ مُنتَزِلٌ ... كَـأَنَّهُ لا عِبٌ أَوْ فـاحِصٌ داحِـي[٢]

١١ ـ سئل الإمام زيد عن الصلاة الوسطى في الآية الكريمة : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ** ﴾[٣] .

فقال : إنّ الله تعالى أمر بحفظ الصلوات أن تؤدّى لأوقاتها وعدد ركوعها وسجودها وتمامها . أمّا الصلاة الوسطى فقد قيل هي العصر ، وقيل : الظهر ، وقيل : الصبح ، وعندنا المغرب[٤] .

١٢ ـ سئل الإمام زيد عن تفسير قوله تعالى : ﴿ **سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ** ﴾[٥] .

---

(١) القلم ٦٨ : ١٣ .

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٤٤ .

(٣) البقرة ٢ : ٢٣٨ .

(٤) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٤٧ .

(٥) الرحمن ٥٥ : ٣١ .

فقال: هذا وعيد من الله تعالى وتهديد، كقول الرجل عند الغضب: «سأفرغ لك»، وهو غير مشغول عنه، وأنشد:

سَـأَفرُغُ لِـلمَعروفِ غَـيرُ مُـفَرِّطٍ   وَعادَتِيَ المَعروفُ وَالْعُرفُ أَجْمَلُ (١)

١٣ - سئل الإمام زيد عن قول الله عزّ وجلّ في قوم شعيب: ﴿ **إِنَّكَ لأنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** ﴾(٢).

فقال: هذا من الأمور المقلوبة، وهو أن تصف الشيء بضدّ صفته، كقولك للملدوغ أنت سليم، ومن هذا الآية إنّهم يريدون قوم شعيب أنّه سفيه جاهل، كما يقال للأحمق: يا حليم، ثمّ أنشد:

وَقُلتُ لِسَيِّدِنا يا حَليمُ   إِنَّكَ تأس أَسوأ رَفيقا

ومن هذا النوع من الاستهزاء. قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ** ﴾(٣)، فإنّ الآية الثانية ﴿ **لَا تَرْكُضُوا** ﴾ فيها استهزاء وسخرية بهم(٤).

١٤ - بيّن الإمام زيد السبب في تكرار قوله الله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾(٥) في سورة الرحمن، أنّه تعالى عدّد نعماءه وألطافه على عباده، ونبّههم على قدرته، ثمّ اتبع كلّ نعمة أفاضها بقوله: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾، وهذا كقولك لرجل: «أحسنت إليه طيلة حياته وهو ينكر ذلك، فتقول له: ألم آويك منزلاً

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد: ٣٤٧.

(٢) هود ١١: ٨٧.

(٣) الأنبياء ٢١: ١٢ و ١٣.

(٤) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد: ٣٤٨.

(٥) الرحمن ٥٥: ١٣.

وأنت بلا مأوى ، أتنكر ذلك ، ألم أحملك على دابّة وأنت راجل ، أفتنكر ذلك ؟ ألم أحج بك وأنت صررة أفتنكر ذلك هذا ؟ ومثل هذا تكراره عزّ وجلّ : ﴿ **فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾[1] ، أي هل من معتبر ومتّعظ[2].

وبهذه المقتطفات من تفسير الإمام زيد لبعض آيات الذكر الحكيم نطوي الحديث عن تفسيره ، وهي تنسجم مع ما ذكره أئمّة المفسّرين لمعاني لهذه الآيات .

وهي تدلّ على أنّه كان من أعلام المفسّرين للقرآن الكريم ، وتدلّ على سعة علومه وتضلّعه في اللغة والأدب العربي .

٢ ـ الفقه

كان زيد من أساطين الفقهاء ، وملمّ بجميع أبواب الفقه من العبادات والمعاملات ، والعقود والإيقاعات ، وقد تلقّى الفقه من أبيه سيّد الساجدين وإمام العابدين ، ومن أخيه الإمام محمّد الباقر ، باقر علوم الأوّلين والآخرين ، وقد أخذ هذا العلم من أصله ومعدنه ، وكان يفتي على ضوء ما أُثر عنهما .

وقد احتفّ به الفقهاء ورواة الحديث وهم ينتهلون من نمير علومه ، كما كان يلقي محاضراته في علم الفقه على طلّاب العلوم الدينيّة في الجامع النبويّ وهم يسجّلون ما يأخذونه عنه .

وقد طبع لبحوثه الفقهيّة مسند سمّي بمسند زيد طبع أوّلاً بإيطاليا ـ فيما أظنّ ـ وطبع ثانياً في بيروت ، وقد تصفّحناه فلم نره يتّفق مع فقه أهل البيت ﷺ ، وإنّما كان منسجماً مع الفقه الحنفي المبنيّ على القياس ، وأكبر الظنّ أنّ فقهاء الزيديّة كانوا يجلّون أبا حنيفة ويعظّمونه لأنّه كان زيديّاً في عقيدته وميوله ، وقد أفتى بشرعيّة

---

(١) القمر ٥٤ : ١٥ .

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٤٩ .

ثورة زيد ولزوم مساندتها. وقد عانى من ذلك حرجاً من قِبل السلطة الحاكمة في عصره.

وقد شذّ الفقه الزيدي في كثير من قواعده وفروعه عن فقه أهل البيت عليهم السلام، ومن أمثله ذلك أنّ أدلّة الحرج وهي ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ** ﴾[1] لها حكومة على الأدلّة الأوّليّة الواقعيّة في فقه أهل البيت عليهم السلام، فمثلاً إذا أُصيب شخص بالجدري وأصابته جنابة ولا يتمكّن من الغسل، فإنّ الواجب عليه الانتقال إلى التيمّم، ولا يقرّ ذلك الفقه الزيدي، فأوجبوا عليه الغسل وإن أدّى إلى هلاكه، وهذا يتّفق مع فتاوى أبي حنيفة.

وعلى أي حال، فلسنا نحن بصدد دراسة الفقه الزيدي، فإنّه خارج عن اطار البحث ويستدعي تأليف عدّة كتب فيه، وقد عرض لكثير من فصوله المرحوم الشيخ أبوزهرة في كتابه (الإمام زيد)، كما تعرّضنا لذلك في كتابنا (عقائد الزيديّة).

رواياته عليه السلام عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

روى الإمام زيد مجموعة من الأحاديث عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تتعلّق بآداب السلوك، ومحاسن الصفات، وهذه شذرات منها:

١ - روى الإمام زيد بسنده عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **إنّ اللهَ يُحِبُّ الْحَيِيَّ الْحَليمَ، العَفيفَ المُتَعَفِّفَ، وَيُبْغِضُ البَذِيءَ الْفاحِشَ، المُلِحَّ الْمُلْحِفَ**»[2].

وفي هذا الحديث دعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق التي يتزيّن بها الإنسان المسلم، والتحذير من الاتّصاف بالصفات الشريرة.

---

(١) الحجّ ٢٢: ٧٨.

(٢) مسند زيد: ٣٨٨.

٢ ـ روى الإمام زيد بسنده عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : **كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يَكونَ كَلّاً وَعِيالاً عَلَى الْمُسْلِمينَ** »(١) .

وفي هذا الحديث دعوة إلى العمل ، والنهي عن الكسل والبطالة ، وقد ذكرنا كوكبة من الأحاديث في تحريض الإسلام على العمل في كتابنا (العمل وحقوق العامل في الإسلام) .

٣ ـ قال زيد : « حدّثني أبي ، عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ لأَصْحابِهِ : أَديموا ذِكْرَ هادِمِ اللَّذّاتِ .**

قالوا : يا رَسولَ اللهِ ، وما هادِمُ اللَّذّاتِ ؟

قالَ : الْمَوْتُ ، فَإِنَّهُ مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ سَلِيَ عَنِ الشَّهَواتِ ، وَمَنْ سَلِيَ عَنِ الشَّهَواتِ هانَتْ عَلَيْهِ الْمُصيباتُ ، وَمَنْ هانَتْ عَلَيْهِ الْمُصيباتُ سارَعَ في الخَيْراتِ »(٢) .

إنّ ذكر الموت يصدّ الإنسان عن اقتراف مآثم الحياة ويدفعه إلى فعل الخيرات والمبرّات .

٤ ـ روى زيد بسنده عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : لا تَدْخُلوا الْجَنَّةَ حَتّىٰ تُؤْمِنوا ، وَلا تُؤْمِنوا حَتّىٰ تَحابّوا . أَلا أُدُلُّكُمْ عَلىٰ شَيْءٍ إِذا فَعَلْتُموهُ تَحابَبْتُمْ ؟**

قالوا : بَلىٰ يا رَسولَ اللهِ .

قالَ : أَفْشوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ ، وَتَواصَلوا وَتَباذَلوا »(٣) .

إنّ الإسلام من أهمّ قيمه إشاعة الحبّ والمودّة بين المسلمين ، وقد أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله في كثير من أحاديثه على حثّ المسلمين على التعاون والمحبّة بينهم .

---

(١) مسند زيد : ٣٨٨.

(٢) مسند زيد : ٣٨٩.

(٣) مسند زيد : ٣٩٠.

٥ـ روى الإمام زيد بسنده عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **« أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ لأَصْحابِهِ : إنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنّي غَداً ، وَأَوْجَبَكُمْ عَلَيَّ شَفاعَةً ، أَصْدَقُكُمْ لِساناً ، وَآداكُمْ لأَمانَتِهِ ، وَأَحْسَنُكُمْ خُلُقاً ، وَأَقْرَبُكُمْ مِنَ النّاسِ »**(١) .

الصدق ، وأداء الأمانة ، وحسن الخلق ، والقرب من الناس من أهمّ الصفات الرفيعة التي تقرّب الإنسان المسلم إلى نبيّ الرحمة وسيّد الكائنات صلوات الله عليه .

٦ـ روى الشهيد الخالد زيد بسنده عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **« أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : إنَّ أَفْضَلَكُمْ إيماناً ، وَأَحْسَنَكُمْ أَخْلاقاً ، الْمُوَطَّئونَ أَكْنافاً ، الْواصِلونَ لأَرْحامِهِمْ ، الْباذِلونَ لِمَعْروفِهِمْ ، الْكافُّونَ لأَذاهُمْ ، الْعافونَ بَعْدَ قُدْرَةٍ »**(٢) .

إنّ هذه الصفات الرفيعة من ذخائر آداب السلوك التي دعا إليها الإسلام وحثّ المسلمين على الاتّصاف بها .

٧ـ روى زيد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : **« يَكادُ النّاسُ أَنْ يَنْقُصوا حَتّىٰ لا يَكونَ شَيْءٌ أَحَبَّ إلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَخٍ مُؤْمِنٍ ، أَوْ دِرْهَمٍ مِنْ حَلالٍ وَأَنّىٰ لَهُ بِهِ »**(٣) .

تحدّث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الأزمنة المظلمة التي من مظاهرها أنّه يعزّ على المسلم أن يتّخذ صديقاً كما يعزّ عليه أن ينال درهماً من حلال .

٨ـ روى زيد بسنده عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : **« مِنْ تَكْرِمَةِ الرَّجُلِ لأَخيهِ أَنْ يَقْبَلَ بِرَّهُ وَتُحْفَتَهُ ، وَأَنْ يُتْحِفَهُ بِما عِنْدَهُ وَلا يَتَكَلَّفُ لَهُ »**(٤) .

ما من صفة يسمو بها الإنسان وتتميّز بها شخصيّته إلّا وأمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على التحلّي بها ، ومن بينها أن يتقبّل الرجل المسلم برّ أخيه وتحفته ، ويتحفه

---

(١) مسند زيد : ٣٩٠. أمالي الصدوق : ٥٩٨.

(٢) مسند زيد : ٣٩٢.

(٣) و (٤) مسند زيد : ٣٩٣.

بما عنده ولا يتكلّف.

٩ ـ روى الإمام زيد عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**لَئِنْ أَخْرُجَ إِلىٰ سوقِكُمْ فَأَشْتَري صاعاً مِنْ طَعامٍ وَذِراعاً مِنْ لَحْمٍ، ثُمَّ أَدْعو نَفَراً مِنْ إِخْواني أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ رَقَبَةً**»(١).

إنّ بذل الطعام للاخوان ممّا يدعو إلى التآلف والمحبّة بين المسلمين.

١٠ ـ روى الإمام زيد بسنده عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**لا يَتْبَعُ الْمَيِّتَ بَعْدَ مَوْتِهِ شَيْءٌ مِنْ عَمَلٍ إِلّا الصَّدَقَةُ الْجارِيَةُ، فَإِنَّها تُكْتَبُ لَهُ بَعْدَ وَفاتِهِ**»(٢).

إنّ الصدقة الجارية كتأسيس المستشفيات ومعاهد التربية والتعليم، وإنشاء الطرق والجسور، وغير ذلك ممّا ينتفع بها العامّة، فإنّ ذلك من أفضل القربات، وقد أجاز الفقه الشيعي الإنفاق عليها من الزكاة لأنّها في سبيل الله، وهو أحد مصاريف الزكاة.

١١ ـ روى الإمام زيد بسنده عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**بايَعْنا رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَكُنّا نُبايِعُهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطّاعَةِ في الْمَكْرَهِ وَالْمَنْشَطِ، وَفي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ، وَفي الْأَثَرَةِ عَلَيْنا، وَأَنْ نُقيمَ أَلْسِنَتَنا بِالْعَدْلِ، وَلا تَأْخُذَنا في اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، فَلَمّا كَثُرَ الْإِسْلامُ قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِعَلِيٍّ: الْحَقُّ فيهِما، وَأَنْ تَمْنَعوا رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَذُرِّيَّتَهُ مِمّا تَمْنَعونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَذَرارِيَكُمْ، قالَ: فَوَضَعْتُها وَاللهِ عَلىٰ رِقابِ الْقَوْمِ فَوَفىٰ بِها مَنْ وَفىٰ، وَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ**»(٣).

إنّ القوم لم يفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله بالبند الأخير من وصيّته، فقد عمد ابن الخطّاب إلى دار بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله ووديعته، فوضع عليها حزمة من الحطب لإحراقها،

---

(١) مسند زيد: ٣٩٣.

(٢) مسند زيد: ٣٧٨.

(٣) مسند زيد: ٤٠٣.

وهو وصاحبه قد فتحا الأبواب لظلم العترة الطاهرة واضطهادها ، وليس في ذلك اعتداء عليهما ، وإنّما التاريخ هو الذي يحكي ذلك .

١٢ ـ روى الإمام زيد بسنده عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام أنّه قال : « بِرُّ الْوالِدَيْنِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَاصْطِناعُ الْمَعْروفِ زِيادَةٌ في الرِّزْقِ ، وَعِمارَةٌ في الدُّنْيا ، وَأَهْلُ الْمَعْروفِ في الدُّنْيا هُمْ أَهْلُ الْمَعْروفِ في الآخِرَةِ »(١) .

إنّ هذه الأعمال الخيّرة التي أدلى بها الإمام عليه‌السلام لها آثارها الوضعيّة في الدنيا ، وفي الآخرة لها الأجر العظيم .

١٣ ـ روى الإمام بسنده عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، قال : « لَمّا ثَقُلَ رَسولُ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله في مَرَضِهِ وَالْبَيْتُ غاصٌّ بِمَنْ فيهِ قالَ : ادْعوا لي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ، فَدَعَوْتُهُما ، فَجَعَلَ يَلْثِمُهُما حَتّىٰ غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَجَعَلَ عَلِيٌّ يَرْفَعُهُما عَنْ وَجْهِ رَسولِ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَقالَ : دَعْهُما يَتَمَتَّعانِ مِنّي وَأَتَمَتَّعُ مِنْهُما ، فَإِنَّهُ سَيُصيبُهُما بَعْدي أَثَرَةٌ .

ثُمَّ قالَ : أَيُّها النّاسُ ، إِنّي خَلَّفْتُ فيكُمْ كِتابَ اللهِ تَعالىٰ وَسُنَّتي وَعِتْرَتي أَهْلَ بَيْتي ، فَالْمُضَيِّعُ لِكِتابِ اللهِ كَالْمُضَيِّعِ لِسُنَّتي ، وَالْمُضَيِّعُ لِسُنَّتي كَالْمُضَيِّعِ لِعِتْرَتي ، أَما إِنَّ ذٰلِكَ لَنْ يَفْتَرِقا حَتّىٰ أَلْقاهُ عَلَى الْحَوْضِ »(٢) .

لم تذكر « السنّة » في مصادر حديث الثقلين ، وإنّما الوارد الكتاب والعترة الطاهرة ، وفقرات هذا الحديث غير موثوق بها .

١٤ ـ روى زيد بسنده عن جدّه الإمام عليّ عليه‌السلام : « أَنَّ النَّبِيَّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قالَ لَهُ : أَنْتَ أَخي وَوَزيري وَخَيْرُ مَنْ أُخَلِّفُهُ بَعْدي ، بِحُبِّكَ يُعْرَفُ الْمُؤْمِنونَ ، وَبِبُغْضِكَ يُعْرَفُ الْمُنافِقونَ ، مَنْ أَحَبَّكَ مِنْ أُمَّتي فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفاقِ ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنافِقاً »(٣) .

---

(١) مسند زيد : ٤١٠.

(٢) مسند زيد : ٤٠٤.

(٣) مسند زيد : ٤٠٥.

إنّ مودّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إيمان، وبغضه نفاق، لأنّه يمثّل القيم الإسلاميّة، ويمثّل أخاه رسول الله صلى الله عليه وآله، فالولاء له إيمان وبغضه كفر ونفاق.

١٥ ـ روى الإمام زيد عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **«أَنَّ رَجُلاً جاءَ إِلىٰ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، فَقالَ لَهُ: يا رَسولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النّاسِ مِنّي بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْبِرِّ؟**

قالَ: أُمُّكَ.

قالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قالَ: أُمُّكَ.

قالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قالَ: أُمُّكَ.

قالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قالَ: أَبوكَ.

قالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قالَ: أَقارِبُكَ أَدْناكَ أَدْناكَ»(١).

إنّ الأُمّ ضمير الحياة، فهي أولى وأحقّ بالبرّ والعطف والاحترام من كلّ أحد، وليس للأب في شريعة الإسلام مثل مكانة الأُمّ.

١٦ ـ روى الإمام زيد عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«أَوَّلُ ما تُغْلَبونَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْروفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِأَيْديكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلوبِكُمْ، فَإِذا لَمْ يُنْكِرِ الْقَلْبُ الْمُنْكَرَ وَيَعْرِفُ الْمَعْروفَ، نُكِسَ فَجُعِلَ أَعْلاهُ أَسْفَلَهُ»**(٢).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أُسس القيم الإسلاميّة ومعالم حضارتها

---

(١) مسند زيد: ٤١٥.

(٢) مسند زيد: ٤١٩.

لتشيع فيها قوى الخير وتتلاشى قوى البغي والعدوان .

وبهذا العرض الموجز من رواياته عن جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ننهي البحث ، وقد روى كوكبة من الأحاديث عن جدّه الإمام الحسين عليه السلام وأبيه الإمام زين العابدين عليه السلام ، ومعظمها في آداب السلوك ومحاسن الأخلاق .

٣ـ مؤلّفاته عليه السلام

نسبت لزيد المعظّم مجموعة من المؤلّفات والرسائل بعضها في تفسير القرآن الكريم ، وبعضها في علم الفقه ، وقسم منها في علم الكلام ، وقسم آخر في الحديث ، وقد نصّ على معظمها عبدالسلام الوجيه في كتابه (أعلام المؤلّفين الزيديّة) ، كما نصّ عليها المحقّق السيّد عبدالرزّاق المقرّم نضّر الله مثواه في كتابه (زيد الشهيد) ، وهي :

١ ـ مسند الإمام زيد بن عليّ

يحتوي على جميع أبواب الفقه ، طبع غير مرّة ، كما طبعت شروحه والتعاليق التي عليه ، وتخريج أحاديثه .

٢ ـ تفسير غريب القرآن

طبع بتحقيق الدكتور حسن محمّد الحكيم ، وأكبر الظنّ أنّه طبع في بيروت .

٣ ـ تفسير غريب القرآن

رواه عطاء بن السائب ، ذكر في الروض النضير[١] .

٤ ـ المجموع الحديثي

يرويه أبو خالد الواسطي ، وقد نصّت مجلّة الهلال على طبعه .

---

(١) الروض النضير : ١ : ٦٥.

٥ ـ مدح القلّة وذمّ الكثرة

طبع ضمن مجموع كتبه ورسائله بجمع وتحقيق إبراهيم يحيى الدرسي .

٦ ـ الإيمان

وقد منع فيه من تسمية الفاسق مسلماً ، طبع بتحقيق أحمد ناصر المخلافي ، كما طبع في ضمن مجموع كتب الإمام زيد ورسائله .

٧ ـ إثبات الوصيّة

رواه خالد بن محمّد ، ذكر في الروض النضير ، وطبع في ضمن كتب الإمام زيد ورسائله .

٨ ـ تثبيت الوصيّة

طبع بتحقيق محمّد بن سالم في دار التراث اليمني سنة ١٤١٢هـ، وأُعيد طبعه في ضمن مجموع كتب الإمام زيد ورسائله .

٩ ـ تفسير سورة الفاتحة

طبع في ضمن مجموع كتب الإمام ورسائله ، المخطوطة منها في مكتبة « الامبروز بانا » .

١٠ ـ تثبيت الإمامة

ذكر في مقّدمة المجموع الفقهي المطبوع في مصر سنة ١٣٤٠هـ.

١١ ـ قراءته الخاصّة

جمعها أبو حيّان إمام النحاة في كتاب سمّاه (النير الجليّ في قراءة زيد بن عليّ) .

١٢ ـ قراءة الإمام عليّ عليه السلام

رواه عنه عمر بن موسى الوجيهي ، ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست .

١٣ ـ مناسك الحجّ

يحتوي على معظم أبواب الفقه في الحجّ ، طبعه حجّة الإسلام السيّد هبة الدين الشهرستاني سنة ١٣٤٢هـ.

١٤ ـ ردّه على واصل بن عطاء

في الإمامة ، طبع في ضمن مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد .

١٥ ـ ردّه على خالد بن صفوان

عرض فيه لشأن عثمان بن عفّان عميد الأُسرة الأمويّة ، طبع في ضمن مجموع كتب ورسائل الإمام زيد .

١٦ ـ حقوق الله على الخلق

طبع في ضمن المجموعة السابقة .

١٧ ـ الردّ على المجبّرة

عرض فيه بصورة موضوعيّة للردّ على شبهة المجبّرة ، وفنّد جميع أوهامهم ، وقد طبع في ضمن المجموعة السابقة .

١٨ ـ الردّ على المرجئة

وقد تناول فيه الردّ على المرجئة الذين كانوا أداة بيد الحاكمين من الأمويّين والعبّاسيّين ، وقد طبع في ضمن المجموعة السابقة .

١٩ ـ الرسالة المدنيّة

عرض فيها للإجابة عن أسئلة المدنيّين ، وقد طبع .

٢٠ ـ رسالة الإمام زيد إلى علماء الأمّة

وقد تناولت علماء الأُمّة من الصالحين والفاسقين ، وقد ذكرناها في بحوث

هذا الكتاب.

٢١ ـ الصفوة

وقد طبع مكرّراً، كما طبع في ضمن مجموعة كتب زيد ورسائله.

٢٢ ـ مناظرته لأهل الشام

تناول فيها الردّ على شبه الشاميّين في شأن عثمان بن عفّان، وقد طبع في ضمن المجموعة السابقة.

٢٤ ـ أدعية الإمام زيد

مخطوط في مكتبه السيّد محمّد عبدالعظيم، ونسخه مصوّرة.

٢٥ ـ مقالاته عن المتعة

طبع في ضمن كتبه ورسائله.

٢٦ ـ مجموعة من كتبه وكلامه

يوجد في ضمن المجموعة السابقة.

٢٧ ـ شعره

طبع في ضمن مجموع كتب ورسائل الإمام زيد.

٢٨ ـ نزول القرآن على سبعة أحرف

طبع بتحقيق السيّد الحكيم.

٢٩ ـ مدخل إلى القرآن

يحتوي على تفسير مواضع مختارة من القرآن الكريم نصّ عليه بروكلمان.

هذه بعض الكتب التي ألّفها الإمام زيد، وهي تدلّ على سعة تراثه العلمي، وأنّه في طليعة علماء المسلمين.

وشيء آخر في مؤلّفات سيّدنا الشهيد الإمام زيد هو أنّها تركّزت في بحوثها على الكتاب والسنّة وحكومة العقل ، فلا تجد له رأياً إلّا وهو مشفوع بكوكبة من الآيات ، وهو ينمّ عن سعة مداركه وعلومه ، وتبحّره في البحوث الكلاميّة .

٤ـ بلاغته وفصاحته عليه السلام

كان زيد من أُمراء البيان ، ومن أعمدة البلاغة والفصاحة ، قد أُوتي الحكمة وفصل الخطاب ، وكان يأخذ بمجامع القلوب بروعة بيانه ، وجزالة لفظه ، وجميل أُسلوبه .

وقد ورث هذه الظاهرة من آبائه أئمّة البيان الذين انتهل الأُدباء والبلغاء من نمير تراثهم ، ومن مناجم آدابهم ، فكان نهج البلاغة لجدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الرصيد للأدب العربي والفكر الإسلامي .

لقد كان زيد أُعجوبة عصره بما أُوتي من قوّة البيان ، وروعة البلاغة ، الأمر الذي كان يشكّل خطراً على حكومة دمشق حسب ما أدلى به الطاغية هشام بن عبدالملك ، فقد كتب رسالة إلى عامله على العراق بإبعاد زيد منه ، جاء فيها :

« امنع أهل الكوفة من حضور مجلس زيد بن عليّ ، فإنّ له لساناً أقطع من ظبّة السيف ، وأحدّ من شبا الأسنّة ، وأبلغ من السحر والكهانة ، ومن كلّ نفث في عقده »[(١)].

لقد تسلّح زيد بهذه القابليّات الفذّة التي كان يهدّد بها عرش الملوك ، ولنترك الحديث لخالد بن صفوان يحدّثنا عن بلاغته وقوّة حجّته بقوله : « أتينا زيد بن عليّ وهو يومئذٍ بالرصافة ، فدخلنا عليه في نفر من الشام وعلمائهم ، وقد جاءوا إليه برجل قد انقاد إلى بلاغته الشاميّون ، فكلّمنا زيداً في الجماعة وقلنا إنّ الله مع الجماعة ، وأنّهم حجّة الله على خلقه ، وأنّ أهل القلّة هم أهل البدع والضلالة .

---

(١) زهر الآداب : ٢ : ٧٢.

فانبرى زيد فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلّى على محمّد وآله وتكلّم بكلام ما سمعت قرشياً ولا عربيّاً أبلغ موعظة ، ولا أظهر حجّة ، ولا أفصح لهجة منه ، ثمّ أخرج كتاباً قاله في الجماعة والقلّة ، ذكر فيه من كتاب الله تعالى ما يذمّ الكثير ، ويمدح القليل ، وأنّ القليل هم أهل في الطاعة هم أهل الجماعة ، والكثير في المعصية هم أهل البدع .

فأُفحم الشامي ولم يطق جواباً ، وانخذل من معه من الشاميّين وهم في خجل ، وأقبلوا على صاحبهم يلومونه قائلين له : زعمت أنّك لا تدع له حجّة إلّا رددتها حتّى إذا تكلّم خرست .

فقال لهم : كيف أكلّم رجلاً حاججني بكتاب الله تعالى ، أفأستطيع أن أردّ كلام الله تعالى ، فكان خالد بن صفوان يقول : ما رأيت رجلاً في الدنيا قرشيّاً ولا عربيّاً يزيد في العقل والحجج على زيد بن عليّ »[١] .

وشيء آخر أدلى به الحصري عن قوّة بيان زيد وعظيم بلاغته ، قال : «كانت بين جعفر بن الحسن بن الحسن بن عليّ وبين زيد رضوان الله عليهما منازعة في وصيّة ، فكانا إذا تنازعا انثال الناس عليهما ليسمعوا محاورتهما ، فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ، ويحفظ الآخر اللفظة من كلام زيد ، فإذا انفصلا وتفرّق الناس عنهما ، قال : هذا لصاحبه ، قال في موضع كذا وكذا ، وقال الآخر في موضع كذا وكذا ، فيكتبون ما قالا ويتعلّمونه كما يتعلّم الواجب من الفرض ، والنادر من الشعر ، والسائر من المثل ، وكانا أُعجوبة دهرهما وأُحدوثة عصرهما »[٢] .

وحكى هذا الحديث أنّ زيداً وابن عمّه جعفر كانا من منابع الثقافة ، وأنّهما يملكان ثروة هائلة من الأدب والبيان ممّا جعلهما أُعجوبة الدهر ، وقد وصفه

---

(١) سعد السعود : ٢٢٤ و ٢٢٥ .

(٢) زهر الآداب ٢ : ٧٢ . تاريخ الأمم والملوك : ٨ : ٢٦٦ .

الأعمش أنّه أفصح أهل بيته لساناً، وأكثرهم بياناً[١].

٥ـ نماذج من تراثه عليه السلام

أمّا تراث زيد فكان يمثّل الابداع، وروعة البيان، وسموّ التفكير، وهو من ذخائر الأدب العربي، ومن مناجم الفكر الإسلامي، وهذه شذرات منه:

١ـ مناظرته عليه السلام مع هشام

في بهو البلاط الأموي الحاشد بوجوه الأمويّين وقادة الجيش وزعماء الشام كان زيد حاضراً، فأخذ هشام يفتخر بأُسرته على العلويّين لإرغام زيد قائلاً: كان الأمويّون أشدّ قريشاً أركاناً، وأعلاهم مكاناً وسلطاناً، وكانوا رؤوس قريش في جاهليّتها، وملوكها في إسلامها.

فانبرى إليه زيد فسدّد له سهاماً من منطقه الفيّاض قائلاً: علَى من تفتخر على هاشم، وهو أوّل من أطعم الطعام، وضرب الهام، وخشعت له قريش بإرغام؟

أم على عبدالمطّلب سيّد مضر جميعاً، وإن قلت معد كلّها صدقت، إذا ركب مشوا، وإذا انتعل احتفوا، وإذا تكلّم سكتوا، وهو مطعم الوحش في رؤوس الجبال، والطير والسباع، والإنس في السهل، حافر زمزم، وساقي الحجيج، وربيع العمرتين؟

أم على بيته أشراف الرجال؟ أم على سيّد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أم على أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمّه والمفرّج عنه الكرب، وأوّل من قال: لا إله إلّا الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لم يبارزه فارس إلّا قتله، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يقله في أحد من أصحابه ولا لأحد

---

(١) خطط المقريزي: ٤: ٣٠٧. تاريخ الكوفة: ٣٧٩.

من أهل بيته[١].

وذهل هشام وبان عليه العجز، وحار في الجواب، فقد قارعته هذه الحجج التي لم يتمكن على جحدها وتفنيدها، فليس للأُسرة الأمويّة أيّة مأثرة أو مجد يتمسّكون به، فقد كان تاريخهم حافلاً بالمساوئ في حين أنّ الأُسرة الهاشميّة لها من المناقب قبل الإسلام وبعده ما لا سبيل لإنكاره.

٢ - من وصاياه عليه السلام لولده يحيى

أوصى زيد ولده يحيى الشهيد بعدّة وصايا، كان منها:

١ - أوصاه بالخطّ الجهادي بعده، وأن يسلك مسلك أبيه في جهاد أعداء الله، قال: «جاهد الكفّار فإنّك لعلى الحقّ، وإنّهم لعلى الباطل، وإنّ قتلاك في الجنّة وقتلاهم في النار»[٢].

٢ - قال عليه السلام لابنه يحيى: «يا بنيّ، خير الآباء من لا تدعه المودّة إلى الإفراط، وخير الأبناء مَن لم يدعه التقصير إلى العقوق»[٣].

الآباء عليهم أن لا يفرّطوا بالحبّ لأبنائهم، فإنّ الإفراط يسبّب بعض المضاعفات السيّئة للطفل التي منها تمرّده على الأبوين، وعدم القيام بالواجبات البيتيّة، كما أنّ على الأبناء تقديم الخدمات للأبوين إلى حدّ لا يوجب العقوق.

٣ - مع العلماء الصالحين

أشاد الإمام زيد بالعلماء الصالحين الذين هم القدوة الحسنة للمجتمع والأدلّاء

---

(١) الروض النضير: ١: ٧٢.

(٢) عمدة الطالب: ٢٥٧. سرّ السلسلة العلويّة: ٥٨. الدرّ النظيم: ٥٩٦.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٦: ٢٠.

على قضايا الخير ، ولهم المكانة المتميّزة في نفوس الناس وعواطفهم ، وهذه نبذ من كلماته معهم :

« وأنتم أيّها العلماء عصابة مشهورة ، وبالورع مذكورة ، وإلى عبادة الله تعالى منسوبة ، وبدراسة القرآن معروفة ، ولكم في أعين الناس مهابة ، وفي المدائن والأسواق مكرمة ، يهابكم الشريف ، ويكرمكم الضعيف ، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه ، يبدأ بكم عند الدعوة والتحفة[١] ، ويشار لكم في المجالس ، وتشفعون في الحاجات إذا امتنعت على الطالبين ، وآثاركم متّبعة ، وطرقكم تسلك ، كلّ ذلك لما يرجوه عندكم من هو دونكم من النجاة من عرفان حقّ الله تعالى ، فلا تكونوا عند إيثار حقّ الله تعالى غافلين ، ولأمره مضيّعين ، فتكونوا كالأطباء الذين أخذوا ثمن الدواء ، وأهلكوا المرضى ، وكرعاة استوفوا الأجر ، وضلّوا عن المرعى ، وكحرّاس مدينة أسلموها إلى الأعداء هذا علماء السوء .

لا مالاً تبذلونه لله تعالى ، ولا نفوساً تخاطرون بها في جنب الله تعالى ، ولا داراً عطّلتموها ، ولا زوجة فارقتموها ، ولا عشيرة عاديتموها » .

وأضاف الإمام قائلاً:

« عباد الله ، لا تمكّنوا الظالمين من قيادكم في الطمع فيما بأيديهم من حطام الدنيا ، وثرائها الأقلّ فتخسروا حظّكم من الله عزّ وجلّ .

عباد الله ، استقدموا إلى الموت بالوثيقة في الدين والاعتصام بالكتاب المتين ، ولا تعجبوا بالحياة الفانية فما عند الله هو خير لكم وإنّ الآخرة هي دار القرار » .

هذا بعض ما جاء في إشادته بعلماء الدين ، ووصيّته لهم بالتقوى والتمسّك بالقرآن الكريم ، وحثّهم على فعل الخير ، وتحذيرهم من الاتّصال بأئمّة الظلم والجور

---

(١) **التحفة** : البرّ واللطف .

من حكّام الأمويّين وعملائهم الذين امتحن المسلمون بشرورهم وآثارهم .

٤ـ مع علماء السوء

وخاطب الإمام زيد علماء السوء الذين هم الركيزة لحكّام الظلم والجور ، والذين ابتلي بهم الإسلام ، وامتحن بهم المسلمون ، فهم الجناح للظالمين ، وهذه فقرات من خطابه لهم :

« يا علماء السوء ، إنّ مهادكم الذي مهدتموه للظالمين ، وهذا أمانكم الذي ائتمنتموه للخائنين ، وهذه شهادتكم للمبطلين ، فأنتم معهم في النار غداً خالدون ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾[1] ، فلو كنتم سلمتم إلى أهل الحقّ حقّهم ، وأقررتم لأهل الفضل بفضلهم لكنتم أولياء الله تعالى ، ولكنتم من العلماء حقّاً الذين امتدحهم الله عزّ اسمه في كتابه بالخشية منه .

فلا أنتم علمتم الجاهل ، ولا أنتم أرشدتم الضالّ ، ولا أنتم في خلاص الضعفاء تعملون ، ولا بشرط الله تعالى عليكم تقومون ، ولا في فكاك رقابكم ولا السلب إلّا سلبكم .

يا علماء السوء ، اعتبروا حالكم ، وتفكّروا في أمركم ، وستذكرون ما أقول لكم .

يا علماء السوء ، إنّما أمنتم عند الجبّارين بالإدهان ، وفزتم بما في أيديكم بالمقاربة ، وقربتم منهم بالمصانعة ، قد أبحتم الدين ، وعطّلتم القرآن ، فعاد عملكم حجّة لله تعالى عليكم ، وستعلمون إذا حشرج الصدر وجاءت الطامّة ، ونزلت الداهية .

يا علماء السوء ، أنتم أعظم الخلق مصيبة ، وأشدّهم عقوبة إن كنتم تعقلون ذلك بأنّ الله تعالى قد احتجّ عليكم بما استحفظتم إذ جعل الأُمور ترد إليكم ، وتصدر

---

(١) غافر ٤٠: ٧٥.

عنكم ، الأحكام من قِبلكم تلتمس ، والسنين من جهتكم تختبر ، يقول المتّبعون لكم : أنتم حجّتنا بيننا وبين ربّنا ، فبأي منزلة نزلتم من العباد هذه المنزلة ؟

فوالذي نفس زيد بن عليّ بيده ، لو بينتم للناس ما تعلمون ، ودعوتموهم إلى الحقّ الذي تعرفون لتضعضع بنيان الجبّارين ، ولتهدّم أساس الظالمين ، ولكنّكم اشتريتم بآيات الله تعالى ثمناً قليلاً ، وأدهنتم في دينه ، وفارقتم كتابه .

هذا ما أخذ الله عزّ اسمه عليكم من العهود والمواثيق كي تتعاونوا على البرّ والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، فأمكنتم الظلمة من الظلم ، وزيّنتم لهم الجور ، وشددتم لهم ملكهم بالمعاونة والمقاربة ، فهذا حالكم .

يا علماء السوء ، محوتم كتاب الله تعالى محواً ، وضربتم وجه الدين ضرباً ، فندّ والله نديد البعير الشارد هرباً منكم ، فبسوء صنيعكم سفكت دماء القائمين بالحقّ من ذرّيّة النبيّ ﷺ ورفعت رؤوسهم فوق الأسنّة ، وصفدوا في الحديد ، وخلص إليهم الذلّ ، واستشعروا الكرب ، وتسربلوا الأحزان ، يتنفّسون الصعداء ، ويتشاكون الجهد ، فهذا ما قدّمتم لأنفسكم ، وهذا ما حملتموه على ظهوركم ، والله المستعان وهو الحكم بيننا وبينكم يقضي بالحقّ وهو خير الفاصلين »[١] .

وهذه الرسالة مع علماء السوء ثورة على انحرافهم عن الحقّ ومناصرتهم للظالمين والطغاة من حكّام الأمويّين طمعاً بما في أيديهم من المال الحرام ، والظفر بالمناصب التي فيها الباطل والبغي والإثم .

لقد نعى سليل النبوّة على علماء السوء مداهنتهم لأئمّة الجور الذين عاثوا في الأرض فساداً ، فقد أفتوا بشرعيّة مناصبهم وأحكامهم أمثال شريح القاضي الذي أفتى بالجهاد ضدّ المحرّر الأعظم أبي الأحرار سبط النبيّ ﷺ ، وإباحة سفك دمه الذي هو دم رسول الله ﷺ .

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٠٠ ـ ٣٠٤ .

إنّ هؤلاء الخونة من وعّاظ السلاطين يتحمّلون ما عانت منه الأُمّة في جميع عصورها من الظلم والخطوب ، وسيردون على الله تعالى ووجوههم مسودّة بما اقترفوه من الإثم ومعاداة الحقّ .

٥ـ مناظراته عليه السلام

خاض الإمام زيد في البحوث الكلاميّة مع جمهرة من علماء الأديان السماويّة والمذاهب الإسلاميّة ، وقد أثبتت احتجاجاته ومناظراته معهم جدارته وتضلّعه وإحاطته بشؤون الأديان والمذاهب ، وكانت بحوثه في المواضيع المتعدّدة منسجمة مع مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي يمثّل الأصالة والابداع ، وهذه شذرات منها :

مع راهب من علماء النصارى

التقى الإمام زيد مع راهب من علماء النصارى في مجلس الطاغية هشام ، فطلب منه أن يحاجج الراهب ، فأجابه إلى ذلك وقال : ألست تعترف معي أنّ عيسى كان شخصاً جسماً مجسّماً ومولوداً وناشئاً إلى أن دعاه الله تعالى .

وانبرى الراهب قائلاً: إنّه ابن الله تعالى .

فأجابه زيد بمنطقه الفيّاض : لم أسألك عن هذا ، إنّما سألتك عن عيسى هل ولدته مريم طفلاً ؟

ـ نعم ، أُقرّ بذلك .

ـ ما الذي نقله من هذا الحدّ حتّى زعمت أنّه ربّ وإله ؟

ـ ما كان من فعله ؟

ـ أيّ شيء كان من فعله ؟

ـ يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص .

وراح الإمام يجيبه بالحجّة، ويزيل هذه الأوهام قائلاً له: هذا كلّه من آيات الله تعالى، ودلالة عليه، إذ جعل هذا على يديه، ألم تر أنّ ذلك كلّه لم يخرج عن حال المحدث، وصفة المخلوق، بل رجع جميع ما كان منه إلى الدلالة على الله تعالى، أنت لا تعلم أنّ عيسى رجع جميع ما كان منه إلى الدلالة على الله تعالى، أنت لا تعلم أنّ عيسى قد غاب أو في الأرض حتّى ظهر ما ظهر منه من المعاجز.

وأذعن الراهب لحجّة الإمام، ولم يجد منفذاً للردّ عليه، وراح يعلن إسلامه قائلاً: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأشهد أنّ عيسى كلمة الله تعالى ألقاها إلى مريم، وأنّه عبد مخلوق(١).

وآمن الراهب بالإسلام لمّا استبان له زيف ما يذهب إليه النصارى، من أنّ السيّد المسيح ابن الله تعالى، فقد أوضح له زيد الحيثيّة وأرشده إلى الطريق القويم.

مع عالم شامي

حكى خالد بن صفوان مواهب الإمام زيد وعبقريّاته إلى جماعة من أهل الشام، فورمت أنوفهم حنقاً وغيظاً، وفزعوا إلى عالم من علمائهم كان متمرّساً بالبلاغة، والبصر بالحجج والمسائل الكلاميّة، وجمعوا بينه وبين زيد.

وانبرى الشامي يمدح الكثرة ويذمّ القلّة، وهم الشيعة، قائلاً: إنّ أبا بكر وعمر وعثمان ولاة هذا الدين، وإنّ الجماعة كانت معهم، وإنّ أهل الجماعة هم حجّة الله تعالى على خلقه، وإنّ أهل القلّة ـ يعني الشيعة ـ هم أهل البدع والضلالة، وإنّه لم تكن جماعة إلّا كانوا هم أهل الحقّ حتّى قتل عثمان، فخرج عليّ بن أبي طالب باغياً مفرّقاً للجماعة حتّى هاجت الفتنة فاقتتلوا حتّى ردّ هذا الأمر إلى أهل بيت هذا الخليفة المظلوم عثمان.

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد: ٣٥٤.

وانبرى إليه فخر بني هاشم فأثنى على الله تعالى وعلى عبده ورسوله ، وتكلّم بكلام كان في منتهى الروعة والبلاغة وقوّة الحجّة ، حسبما يقول خالد بن صفوان ، ثمّ أخذ في الردّ على الشامي قائلاً:

ذكرت الجماعة ، وزعمت أنّه لم تكن جماعة قطّ إلّا كانوا هم أهل الحقّ والله تعالى يقول في كتابه : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾(٥).

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ ﴾(٦).

وقال تعالى في ذمّ الكثرة والجماعة : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾(٧).

---

(١) ص ٣٨ : ٢٤.

(٢) هود ١١ : ١١٦.

(٣) سبأ ٣٤ : ١٣.

(٤) هود ١١ : ٤٠.

(٥) النساء ٤ : ٦٦.

(٦) البقرة ٢ : ٢٤٩.

(٧) الأنعام ٦ : ١١٦.

وقال: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وقال في الجماعة: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾[٣].

وقال: ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾[٤].[٥]

وأُفحم الشامي، ولم يطق جواباً، فقد كان جواب زيد مشفعاً بالقرآن الذي لا سبيل للمناقشة فيه.

ومن الجدير بالذكر أنّ زيداً قد ألّف كتاباً ممتعاً في فضل القلّة على الكثرة، وقد طبع في ضمن مجموع مؤلّفاته.

٦ ـ مواعظه عليه‌السلام

أسدى الإمام زيد بكوكبة من المواعظ تنير العقول، وتهدي للتي هي أقوم، وتحذّر من النزعات الشريرة التي تهوي بالإنسان إلى مستو سحيق، كان منها:

١ ـ قال عليه‌السلام: «خليل لك في الله تعالى تخاله خير لك من مال تكنزه، وكلمة بالحقّ تقولها في الله تعالى تكتب لك طاعة الله تعالى، فلا تجهل من الحقّ، ولا تنس نصيبك من الجنّة، فإنّ الله عزّ اسمه دعا عباده إلى الجنّة، واشترى منهم أنفسهم،

---

(١) يوسف ١٢: ١٠٣.

(٢) الفرقان ٢٥: ٤٤.

(٣) التوبة ٩: ٣٤.

(٤) المائدة ٥: ٤٩.

(٥) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد: ٢٥٣ و ٢٥٤.

فمن باع نفسه بدون الثمن الذي رضي الله تعالى له خسرها ، فالله الله عباد الله فما أقرب ما توعدون ، وما أبعد ما تؤمنون ».

وأضاف :

« مَن قتل في سبيل الله تعالى كان عند الله حيّاً مرزوقاً ، وكتبه الله تعالى شهيداً صدّيقاً ، إنّما يدعوكم إلى الفوز العظيم والنعيم المقيم »(١).

دعا الإمام زيد إلى تقوى الله تعالى التي بها الفوز والنعيم المقيم ، فمن باع نفسه لله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً.

٢ ـ ومن مواعظه قوله عليه السلام : « إنّ تقوى الله عزّ وجلّ حمت المتّقين معصيته حتّى حاسبوا أنفسهم في صغائر الأعمال ، وإنّ تقوى الله تعالى بعثت المتّقين على طاعته ، وخفّفت على أبدانهم طول النصب ، فاستلذّوا مناجاة الله تعالى وذكره ، وحمدوه على السرّاء والضرّاء ، أُولئك الذين عملوا بالصالحات ، واجتنبوا المنكرات ، ومهّدوا لأنفسهم ، فطوبى لهم وحسن مآب »(٢).

إنّ تقوى الله تعالى تهذّب النفس ، وتصقل العقل ، وتبعد الإنسان عن الجريمة ، وتنزع منه غوائل الشرّ التي تهوى به إلى مستوى سحيق.

٣ ـ ومن مواعظه التحذير من اقتراف الذنوب. قال عليه السلام : « كلّ ذنب يكون من العبد يذهب من إيمانه بقسط ، فإنّ راجع التوبة رجع إليه من إيمانه ما كان ذهب بذنبه الذي كان منه ، وإن تمادى بالتسويف ، ولجّ في المعصية وقع في متاته الشيطان وهلك ».

إنّ اقتراف الذنوب تترك بصماتها السوداء في آفاق النفس فلا تنجلي عنها إلّا بالتوبة إلى الله تعالى ، ونستغفر الله تعالى ونتوب إليه.

---

(١) و (٢) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٨٦.

٤ ـ ومن مواعظه أنّه قال لأصحابه : « الدنيا تنصرم ، والأجل ينقطع ، وما أسلفه المرء فعليه يقدم ، وسيعلم العبد غبّ التفريط ، وعاقبة التسويف » ، ثمّ قام يصلّي ، وكان الإمام أبو جعفر عليه‌السلام حاضراً ، فقال لأصحابه : « **هـٰذا أَخي زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ يَقومُ داعِياً إِلى الْحَقِّ ، وَآمِراً بِالْحَقِّ ، وَإِنِ اسْتَنْصَرَكُمْ فَانْصُروهُ ، وَإِنْ دَعاكُمْ فَأَجيبوهُ** »[١] .

إنّ مواعظ الإمام زيد تنفذ إلى أعماق القلوب ودخائل النفوس ، وتصقل الأفكار ، ففيها العبر والنصائح والتجارب ، وهي على غرار مواعظ ونصائح جدّه أمير البيان ، ورائد الحكمة في الإسلام .

٧ ـ نصائحه عليه‌السلام

١ ـ من نصائح الإمام زيد هذه النصيحة الرفيعة ، قال عليه‌السلام : « خلّتان ليستا من ديني ، ولا من دين آبائي : لا تظلموا فتمقتوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا ، ويذهب ريحكم ، وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، يسلم لكم دينكم ، وتحسن القالة فيكم ، والكتاب ناطق ، والرسول صادق ، والحقّ أبلج ، والسبيل منهج ، والكلّ في الحقّ سعة ، ومن حاربنا حاربناه ، ومن سالمنا سالمناه ، والناس عندنا كلّهم آمنون إلّا رجلاً نصب نفسه لنا ، أو رجلاً أعان علينا بماله أو شتمنا ، ولو شئت قلت : أو رجلاً قال فينا أو نال من أعراضنا ، ولكن حسب كلّ امرئ ما اكتسب ، وسيكفي الله الظالمين »[٢] .

حذّر الإمام من الظلم والنزاع ، وأمر بالبرّ والتقوى ، وحذّر من التعاون على الإثم والعدوان ، كما حذّر من البغي والتطاول على أهل البيت الذين هم أرصدة التقوى والايمان .

---

(١) الاعتبار وسلوة العارفين / الحسين بن إسماعيل الجرجاني : ٦٣٢ .

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٨٧ .

٢ ـ ومن نصائحه قوله عليه السلام : « يابن آدم ، فرض الله تعالى عليك الطاعة وضمن لك الرزق ، فأنت في طلب ما ضمن لك ، وتضييع ما فرض عليك ، كأنّ الذي فرض عليك طلبه ضمن لك ، والذي ضمن لك فرض عليك طلبه »[١].

إنّ الإنسان بطبيعته يسعى ليله ونهاره في طلب رزقه ، ولا يعلم أنّه مضمون له ، كما أنّه ضيّع ما فرضه الله تعالى من طاعته وطلب رضاه .

٣ ـ ومن نصائحه قوله عليه السلام : « إنّما سلامتك يابن آدم في الدنيا من الضلال ، مطيّتك إلى رضوان ربّك ـ تبارك وتعالى ـ فتعاهد نفسك بالحساب ، وناقشها فيما لها وعليها ، ولا ترخص لنفسك فيما ليس لك حتّى تحرزها لخالقها ، وتخلصها لربّها ، فحنيئذٍ أنت عبد الله ووليّه فمن أهل جنّته .

يابن آدم ، كم أشهدته من عملك ما لا يرضى ، وإنّما سعيت في هلكتك ، وكدحت إلى بوارك ، ثمّ ها أنت تغترّ بجهل الجاهلين بك ، وتزهو بمدح المغترّين بما ظهر من ريائك .

يابن آدم ، من أعرف منك بنفسك ، ومن هو الذي أولى بصلاح أمرك منك ، بادر ثمّ بادر ، ثمّ بادر قبل اخترامك ، وقبل زوالك ، وقبل رحيلك ، وقبل نزولك في قبرك ، لم تمهد فيه مهاداً ، ولم توسّد لنفسك فيه وساداً ، إنّما تسكنه فرداً خالياً تنوبك فيه بنات الأرض ، وتزورك فيه هوامها ، أيا غافلاً وما أغفلك ، أخلقت سدىً ؟ أتترك فيما هاهنا آمناً ، انزعج إلى دار الخلود التي أُعدّت للمتّقين »[٢].

٨ ـ من كلماته عليه السلام القصار

١ ـ قال عليه السلام في صفة الجاهل : « فيه ثمان خصال : أوّلها الغضب من غير شيء ،

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٨٨.

(٢) المصدر المتقدّم : ٣٨٥.

والإعطاء بغير حقّ ، وإتعاب البدن في الباطل ، وقلّة معرفة الرجل لصديقه من عدوّه .

ووضع الشيء في غير موضعه وأهله ، وثقته بكلّ من لم يجرّبه ، وكثرة الكلام بغير نفع ، وحسن ظنّه بمن لا عقل له ولا وفاء »[١] .

حكت هذه الصفات الثمان التي وصف بها الجاهل حقيقته وواقعه ، فإنّ جهله قد هبط به إلى مستوى سحيق من الانحطاط .

٢ ـ ومن حكمه القصار قوله عليه السلام : « من واقع المعصية اتّكالاً على التوبة لم يوفّقه الله تعالى لها »[٢] .

إنّ الذي يقترف الإثم اتّكالاً على التوبة ليس برشيد ، فإنّ الواجب عليه أن يكفّ نفسه عن ارتكاب الذنوب ، ويطهّر ذاته من الإثم والمعصية .

٣ ـ ومن كلماته الحكميّة قوله عليه السلام : « من يقول إنّ الله تعالى يريد كفر المنافقين فهو كافر »[٣] .

إنّ من يقول ذلك فهو من المجبرة الذين ذهبوا إلى أنّ الإنسان مجبور على المعصية ، وأنّ الله تعالى يريد ذلك منه ، ومن المؤكّد أنّ الذي يذهب إلى ذلك هو كافر ، إذ لا معنى لخلق الله تعالى للجنّة التي أعدّها للمتّقين والنار التي أعدّها للكافرين .

٤ ـ سئل زيد عن الصمت ، هل هو خير أم البيان ؟

فأجاب : « قبح الله المساكتة ما أفسدها للبيان ، وأجلبها للعيّ والحصر »[٤] .

علّق الشيخ أبو زهرة على هذا الكلام بقوله : « إنّ هذا الكلام يدلّ على أنّه كان

---

(١) من مجموع أخبار الإمام زيد ورسائله : ٣٨٧ .

(٢) و (٣) من مجموع أخبار الإمام زيد ورسائله : ٣٨٨ .

(٤) زهر الآداب : ٢ : ٧٢ .

يربي عقله بالعلم ولسانه بالبيان ، ويروّضه عليه ، ويتجنّب الصمت الكثير حتّى لا تموت موهبته البيانيّة ويعسر عليه القول عند حاجته إليه »[١].

٥ ـ تحدّث عن المروءة قائلاً: « المروءة إنصاف من دونك ، والسمع إلى من فوقك ، والرضا بما أُوتي إليك من خير أو شرّ »[٢].

في هذه الكلمات تحديد للعقل الذي من معالمه المروءة التي هي الإنصاف لمن هو دون الشخص في مكانته الاجتماعيّة ، والسمع والانقياد إلى مَن هو فوقه في وفورة عقله وتجاربه وأدبه ، كما أنّ من المروءة الرضا بما قسم للشخص من خير أو شرّ.

٦ ـ براءته من القدريّة والمرجئة ، قال زيد : « أبرأ من القدريّة الذين حملوا ذنوبهم على الله عزّ وجلّ ومن المرجئة الذين أطمعوا الفسّاق في عفو الله تعالى »[٣].

إنّ القدريّة والمرجئة كلاهما في ضلال ، فالقدريّة تحمل ذنوبها على الله تعالى ، وأنّ الإنسان غير مسؤول عمّا يعمله من منكر وإثم ، وأمّا المرجئة فهي التي تدعو إلى الإثم وتزهّد في اقتراف المنكر لأنّ الله تعالى يعفو عنه .

٧ ـ عزّاه شخص بوفاة ولد له ، فأجابه : « أمّا بعد ، فإنّا أموات آباء ، أموات أبناء ، فواعجبا من ميّت يعزّي ميّتاً عن ميّت ، والسلام » .

٨ ـ اقترف الزهري جريمة قتل فهام على وجهه خوفاً من الله تعالى ، فقال له : يا زهري ، لقنوطك من رحمة الله تعالى التي وسعت كلّ شيء أشدّ عليك من ذنبك .

فقال الزهري : الله تعالى يعلم حيث يضع علمه[٤].

---

(١) الإمام زيد : ٨٢.

(٢) زيد الشهيد : ٣٨.

(٣) المعتزلة : ٧.

(٤) البيان والتبيين : ٣ : ١٦٨.

هذه بعض حكمه القصار التي تمثّل سموّ الفكر وروعة البيان.

٩ـ نظمه عليه السلام للشعر

نسبت لزيد أبيات متفرّقة تنمّ عن مقدرته الشعريّة، وهذه بعضها:

لِكُلِّ أُناسٍ مَقبَرٌ بِفِنائِهِمْ فَهُمْ يَنقُصونَ وَالقُبورُ تَزيدُ
فَما أَنْ تَزال دارُ حَيٍّ قَدِ أُخرِبَتْ وَبَرٌّ بِأَفناءِ البُيوتِ جَديدُ
هُمُ جيرَةُ الأَحياءِ أَمّا مَزارُهُمْ فَدانٍ وَأَمّا المُلتَقى فَبَعيدُ[(١)]

وله في مدح جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

وَمَنْ فَضَّلَ الأَقْوامَ يَوْماً بِرَأيِهِ فَإِنَّ عَلِيّاً فَضَّلَتْهُ المَناقِبُ
وَقَولُ رَسولِ اللهِ وَالحَقُّ قَولُهُ وَإِنْ رَغِمَتْ مِنهُ الأُنوفُ الكَواذِبُ
بِأَنَّكَ مِنّي يا عَلِيُّ مُعالِناً كَهارونَ مِنْ مُوسىٰ أَخٌ لي وَصاحِبُ
دَعاهُ بِبَدرٍ فَاسْتَجابَ لأَمرِهِ فَبادَرَ في ذاتِ الإِلٰهِ يُضارِبُ[(٢)]

وله في مدح العلويّين قوله:

نَحنُ ساداتُ قُرَيْشٍ وَقِوامُ الحَقِّ فينا
نَحنُ أَنوارُ الَّتي مِنْ قَبلِ خَلْقِ الخَلْقِ كُنّا
نَحنُ مِنّا المُصْطَفى المُختارُ وَالمَهدِيُّ مِنّا
فَبِنا قَدْ عُرِفَ اللهُ وَبِالْحَقِّ أَقَمْنا
سَوفَ يَصْلاهُ سَعيراً مَنْ تَوَلّى اليَومَ عَنّا[(٣)]

---

(١) العقد الفريد: ٣: ٢٣٦.
(٢) فوات الوفيات: ١: ٣٣٦.
(٣) كفاية الأثر: ٣٢٧.

ونسب له من الشعر هذه الأبيات :

حُكمُ الكِتابِ وَطاعَةُ الرَّحْمٰنِ ... فَـرَضا جِـهادَ الجائِرِ الخَـوّانِ

فَالمُسْرِعونَ إِلىٰ فَرائِضِ رَبِّهِمْ ... بَـرِئوا مِـنَ الآثـامِ وَالعُـدوانِ

وَالكـافِرونَ بِـفَرضِهِ وَبِـحُكْمِهِ ... كَـالسّاعِدينِ بِـصورَةِ الأَوْثـانِ

كَـيفَ النَّجاةُ لأُمَّـةٍ قَـدْ بَـدَّلَتْ ... ما جاءَ في القُـرْآنِ وَالفُـرْقانِ[١]

إلى غير ذلك من الشعر الذي نسب له ، وهو ينمّ عن تعاطيه لنظم الشعر في بعض المناسبات أو استشهاده به ، والشعر زينة الكلام ، ويكسبه حسناً وبداعة .

---

(١) اللآلي المضيئة : ١ : ٣٢٨.

صُوَرٌ مِنَ الأَحْدَاثِ

منيت الحياة الإسلاميّة قبل عصر زيد وبعده بكثير من الأحداث الجسام التي غيّرت مجرى التاريخ ، وأخلدت للمسلمين الفتن ، وألقتهم في شرّ عظيم ، وكان لها من الأثر في تكوين شخصيّة زيد ، واندفاعه بلا تردّد إلى التضحية وإلى مكافحة الظلم والطغيان ، وقد وجد في الشهادة أهمّ ما يصبو إليه ليتخلّص ويخلص الناس من ظلم الأمويّين وجورهم .

الخلافة الإسلاميّة في منظور زيد عليه السلام

وقف المصلح العظيم الإمام زيد تجاه الخلافة الإسلاميّة موقفاً اتّسم بالعمق والتحليل ، وروعة العرض ، وجمال التعبير ، فأكّد واستدلّ على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد عهد بالخلافة إلى سيّد عترته ، وأبي سبطيه الإمام أمير المؤمنين الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، مستدلاً في كلّ بند من حديثه بكوكبة من آيات الذكر الحكيم ، لم يخدش فيما ذهب إليه عاطفة ، ولم يجرح أي شخص أو ينال من كرامته ، وكان حقّاً هذا هو الأسلوب الناجح في البحوث العقائديّة .

لقد تحرّج الإمام زيد في بحوثه عن الخلافة من الطعن والمهاترات التي لا تجدي نفعاً في ميدان الاصلاح الاجتماعي ، وإنّما تجلب شيوع البغضاء والعداء بين الناس .

وعلى أي حال ، فقد عنى الإمام زيد في بحوثه العقائديّة بمخاطبة العقول وجمع الكلمة ، ووحدة الصفّ ، ولم يستعمل في حديثه إلّا الكلمات الناعمة المعسولة

التي تتفاعل مع العواطف، وتنفذ إلى أعماق القلوب ودخائل النفوس.

أمّا بحوث الإمام الشهيد عن الخلافة الإسلاميّة فقد ألّف فيها كتابه القيّم «تثبيت الإمامة»، وهو من أجلّ ما أُلّف في هذا الموضوع فكراً واستدلالاً وأصالةً، وبعداً عن جميع النعرات، وقد رتّبه على مقدّمات تمهيديّة حسب ما نراه، ونحن نذكر بعضها التي لها الربط الكامل في الموضوع.

١ـ اختلاف الأُمّة في تعيين الخليفة

إنّا قوم لم ندرك النبيّ ﷺ، ولا أحداً من أصحابه الذين اختلفوا بينهم، فنعلم كيف كان الخلاف، ونعلم أي الفريقين أوْلى بالحقّ والصدق فنتّبعهم ونتولّاهم، ونكون معهم، كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[1]، ونعلم أي الفريقين أولى بالكذب والضلال، فنحبّهم كما أمر الله تعالى، فهذا غائب عنّا ـ يعني أمرهم ـ.

وكنّا كما قال الله تعالى: ﴿ **وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[2]، حتّى إذا أدركنا العقل طلبنا معرفة الذين من أهل الحقّ والصدق، فوجدنا الناس مختلفين يتبرّأ بعضهم من بعض وقد يجمعهم في حال اختلافهم فريقان، فريق قالوا: إنّ الرسول ﷺ مضى ولم يستخلف أحداً بعينه، وأنّه جعل ذلك إلينا معاشر المسلمين نختار لأنفسنا رجلاً فنستعمله علينا فاخترنا أبا بكر.

وفرقة قالوا: إنّ النبيّ ﷺ استخلف عليّاً فجعله خليفة وإماماً نستبين به بعده، فصارت كلّ فرقة مدّعية تدّعي الحقّ.

---

(١) التوبة ٩: ١١٩.

(٢) النحل ١٦: ٧٨.

فلمّا رأينا ذلك أوقفنا الفريقين جميعاً حتّى يستبين ذلك ونعرف المحقّ من المبطل.

ثمّ سألنا الفريقين جميعاً كيف كان النبيّ ﷺ يقضي بين الخصمين والفريقين إذا اجتمعوا إليه ؟

فاجتمع الفريقان جميعاً على أنّ النبيّ ﷺ لم يكن يقضي بين الفريقين إذا اجتمعوا إلّا بالبيّنة العادلة من غير أهل الدعوى ممّن يجرّ إلى نفسه.

فقبلنا منهم حين اجتمعوا عليه، وشهدنا أنّه الحقّ، وأنّ من خالف حكم النبيّ ﷺ فقد جار وظلم ».

أرأيتم هذا الاستدلال المنطقي القائم على إيضاح الحقّ والوصول إلى الواقع، والتجنّب عن المغالطات والأضاليل التي هي بعيدة عن الإمام زيد عالم آل محمّد ؟

أرأيتم هذا الأدب العلويّ الذي لا يجرح عاطفة، ويتحفّظ على الآداب لإثبات الحقّ ؟

٢ـ دعوى كلّ فريق والنظر في صحّة قوله

ثمّ سألنا الذين زعموا أنّ النبيّ ﷺ استخلف عليّ بن أبي طالب ومضى هل لكم بيّنة عدول من غيركم على ما ادّعيتم فنصدّقكم ونقضي لكم ؟

قالوا: لا نجد بيّنة عدول من غيرنا.

فلمّا لم يجد الفريقان البيّنة العدول من غيرهم على ما ادّعوا أوقفناهم حتّى نعلم المحقّ من المبطل ».

حكى هذا المقطع قوّة الاستدلال وسيره على المنهج الفقهي في باب الدعاوى الذي لا يخضع لعاطفة ولا لأي ميول سوى الوصول إلى الواقع بالطريق الواضح والحجّة البيّنة.

٣ـ احتياج الناس إلى وال

ثمّ سألنا الفريقين جميعاً هل للناس بُدّ من وال يصلّي بهم ويقيم أعيادهم ، ويجبي زكاتهم ، ويعطيها فقراءهم ، ويأخذ غنائمهم ويقسمها ، ويقضي بينهم ، ويأخذ لضعيفهم من قويّهم ، ويقيم حدودهم .

فاجتمع الفريقان على أنّه لا بدّ من وال يقوم فيهم بالحقّ ، ويعمل فيهم بالسنن ، فقبلنا منهم وشهدنا أنّه الحقّ وأنّه لا بدّ للناس من وال يقوم فيهم بالحقّ ويعمل فيهم بالسنن إماماً وخليفة عليهم قبل أن ينظروا في كتاب الله عزّ وجلّ والسنّة ، فإن وجدوا الكتاب والسنّة يدلّان على تولية رجل باسمه وفضله فإن لم يجدوا كانت لهم الشورى بعد ذلك بما وافق الكتاب والسنّة ، فلمّا أجمعوا على ذلك قبلنا منهم ، وشهدنا أنّه ليس للأمّة أن يتبرّعوا بتولية وال على أن يجعلوه الخليفة والإمام دون أن ينظروا في الكتاب والسنّة .

ثمّ سألنا الفريقين عن الإسلام الذي أمر الله تعالى به خلقه ما هو ؟

فاجتمعوا على أنّ الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله تعالى وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله والإقرار بما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله وصلاة الخمس وصوم شهر رمضان ، والحجّ إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً ، والعمل بهذا القرآن أن يحلّ حلاله ويحرّم حرامه والعمل بما فيه ، فقبلنا منهم حيث اجتمعوا عليه ، وشهدنا أنّه الحقّ » .

حكى هذا المقطع ضرورة نصب الإمام ، وأنّه من أهمّ مقوّمات الحياة الإسلاميّة ، فقد أُنيطت به مسؤوليّات مهمّة في المجتمع لا يمكن بأي حال الاستغناء عنه .

أمّا إقامة الإمام وترشيحه لهذا المنصب الخطير ، فيجب أن يكون على ضوء الكتاب والسنّة ، فمن تتوفّر فيه الصفات التي ينشدها الإسلام وتضمن للأمّة حقوقها وكرامتها ومستقبلها فهو ، وإن لم يكن هناك أضواء من الكتاب والسنّة على ترشّحه

فيجب أن يخضع لعمليّة الشورى التي تشترك في انتخاب الرئيس ، والشورى يجب أن تشترك فيها جميع قطاعات الشعب .

أمّا الشورى العمريّة فإنّها شورى مغلقة لإبعاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن منصب الحكم وتسليمه للأمويّين .

٤ـ خيرة الله تعالى من خلقه

ثمّ سألنا الفريقين جميعاً هل لله خيرة من خلقه اختارهم واصطفاهم ، فاجتمع الفريقان على أنّ لله تعالى خيرة من خلقه اختارهم واصطفاهم ، فقلنا : هاتوا برهانكم عليه ؟

فقالوا : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾[١] .

فقبلنا منهم حيث اجتمعوا على ذلك ، وشهدنا بأنّ لله تعالى خيرة من خلقه .

ثمّ سألناهم من خيرة الله تعالى من خلقه ؟

فقالوا : المتّقون .

فقلنا : هاتوا برهانكم عليه ؟

فقالوا : قول الله عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٢] .

فقلنا : حيث اجتمعوا وشهدنا أنّه الحقّ ، وأنّ خيرة الله تعالى من خلقه المتّقون .

ثمّ سألنا الفريقين : هل لله خيرة من المتّقين ؟

---

(١) القصص ٢٨ : ٦٨ .

(٢) الحجرات ٤٩ : ١٣ .

فقالوا : نعم .

فقلنا : مَن هم ؟

فقالوا : المجاهدون في سبيل الله تعالى .

فقلنا : هاتوا برهانكم عليه ؟

فقالوا : قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾(١) .

فقبلنا منهم ، وشهدنا أنّ خيرة الله تعالى من المتّقين المجاهدون في سبيل الله .

ثمّ سألنا الفريقين : هل لله خيرة من المجاهدين في سبيل الله تعالى ؟

قالوا : نعم .

فقلنا : مَن هم ؟

فقال : السابقون ـ من المهاجرين ـ إلى الجهاد .

فقلنا : ما برهانكم عليه ؟

فقالوا : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾(٢) .

فقبلنا ذلك منهم ، وشهدنا أنّ خيرة الله تعالى من المهاجرين المجاهدون السابقون إلى الجهاد .

ثمّ سألنا الفريقين : هل لله تعالى خيرة من السابقين إلى الجهاد ؟

---

(١) النساء ٤ : ٩٥ و ٩٦ .

(٢) الحديد ٥٧ : ١٠ .

قالوا: نعم، أكثرهم عملاً في الجهاد، وأكثرهم ضرباً وطعناً وقتالاً في سبيل الله تعالى.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

قالوا: قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

فقبلنا منهم، وشهدنا أنّ خيرته من السابقين إلى الجهاد أكثرهم عملاً في الجهاد، وأبذلهم لمهجته لله عزّ اسمه، وأكثرهم قتالاً لعدوّه.

وهذا الاستدلال وثيق، فقد توفّرت فيه الأدلّة الحاسمة التي لا مجال للشكّ فيها.

٥ـ تفضيل عليّ على أبي بكر

ثمّ سألنا الفريقين عن هذين الرجلين اللذين اختلفت فيهما هذه الأُمّة ـ عليّ بن أبي طالب وأبي بكر بن أبي قحافة ـ أيّهما كان أكثر عملاً في الجهاد في سبيل الله تعالى، وأكثر ضرباً وطعناً وصبراً وقتالاً ومنعة ويخاف منه من خالف الحقّ؟

فاجتمع الفريقان على أنّ عليّ بن أبي طالب أكثرهم عملاً في الجهاد في سبيل الله تعالى؟

فلمّا اجتمع على ذلك الفريقان قبلنا منهم وشهدنا أنّ عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه خير من أبي بكر بما دلّ عليه الكتاب والسنّة ـ فيما أجمعوا عليه من فضله في كتاب الله الذي لا خلاف فيه ـ.

---

(١) الزلزلة ٩٩: ٧.

(٢) المزمّل ٧٣: ٢٠.

فدلّ ما أجمعت عليه الأُمّة على أنّ خيرة الله تعالى المتّقون ، وأنّ خيرة الله سبحانه وتعالى من المتّقين المجاهدون في سبيل الله تعالى ، وأنّ خيرة الله من المجاهدين السابقون إلى الجهاد ، وأنّ خيرة الله تعالى من السابقين أكثرهم عملاً في الجهاد .

واجتمعت الأُمّة على أنّ خيرة الله تعالى من السابقين إلى الجهاد البدريّون ، وأنّ خيرة البدريّين هذان الرجلان اللذان اختلفت فيهما الأُمّة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة .

فلم يزل الفريقان يصدّق بعضهم بعضاً ، ويدلّ بعضهم على بعض ، حتّى دلّوا على خيرة هذه الأُمّة بعد نبيّها ﷺ ممّا اجتمعت عليه من كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ﷺ » .

ثمّ يأخذ الإمام زيد بالاستدلال الوثيق على تفضيل جدّه الإمام أمير المؤمنين على غيره من الصحابة ، وأنّهم لا يملكون الأرصدة العلميّة التي يملكها ، وتالله إنّ القوم ما جهلوا ذلك فيه ولكنّ الأطماع السياسيّة وحبّ الإمرة والسلطان هي التي دفعتهم إلى إقصاء الإمام عن الحكم .

ورحم الله الشاعر إذ قال :

تَاللهِ ما جَهِلَ الأَقْوامُ مَوْضِعَها ... لـكِنَّهُمْ سَتَروا وَجْهَ الَّذي عَلِموا

لقد ألقوا الأُمّة في كابوس مظلم ومزّقوا وحدتها وتماسكها ، وفتحوا الأبواب لعشّاق الملك من اللصوص والخونة إلى الاستيلاء على الحكم ، ففاز الأمويّون وهم من أوّلهم إلى آخرهم من العناصر الفاسدة الذين حوّلوا الحياة الإسلاميّة إلى الدعارة والمجون ، ومقابلة أبناء النبيّ بالظلم والقهر ، وفاجعة كربلاء وفاجعة الإمام زيد كلّ ذلك من آثار السلف الصالح ، ثمّ أخذت السلطة من بعدهم تنتقل إلى الطغاة والفجّار من بني العبّاس ، فأشاعوا الفساد والظلم والجور والطغيان بين المسلمين ، ولا نقول ذلك عبثاً ، فإنّ وثائق التاريخ الإسلامي شاهدة على صدق ما ذكرنا .

إنّ تسلّق الأمويّين إلى الحكم وتسلّطهم على رقاب المسلمين بغير حقّ ولا سابقة لهم في الإسلام تدعو إلى الاستغراب ، وعلينا أن ننظر إلى مكانتهم في أيّام النبيّ ﷺ وفي أيّام الخلفاء .

الأمويّون في عهد النبيّ ﷺ

والشيء الذي يدعو إلى التساؤل كيف استولى الأمويّون على الحكم ؟ ومن الذي مهّد لهم الطريق ومكّنهم من رقاب المسلمين مع ما لهم من ماضٍ أسود ؟ فهم الذين قاوموا الإسلام بعنف ، وفتحوا باب الحرب لقلع جذوره ، ومحو سطوره ، وإزالة أرصدته ، فواقعة بدر وأُحُد والأحزاب التي استشهد فيها خيار المسلمين وصلحاؤهم كانت بسيوف الأمويّين المتعطّشة إلى إراقة دماء المسلمين .

وبعد ما أذلّهم الله تعالى وأعزّ عبده ورسوله ، ونصره عليهم بفتح مكّة ، دخل أبو سفيان وقومه في حضيرة الإسلام فراراً من حدّ السيف ، وقد قابلهم الرسول ﷺ بمزيد من الاحتقار والتوهين ، فقد رأى أبو سفيان راكباً ناقته ومعاوية يسوقها وابنه يزيد يقودها ، فقال : « **اللّهُمَّ الْعَنِ الرّاكِبَ وَالْقائِدَ وَالسّائِقَ** » ، كما قابل معاوية بالذات بالاحتقار ، فقد جاءته امرأة خطبها معاوية تستشيره في الزواج منه ، فقال لها : « **لا تَتَزَوَّجي بِهِ ، فَإِنَّهُ صُعْلوكٌ** » .

إنّه صعلوك نذل حقير ، وهكذا قابل النبيّ الأُسرة الأمويّة بالاستخفاف ، فقد لعن الحكم ونفاه إلى الطائف ، ولعن ولده مروان ، ووصمهم بأنّهم الشجرة الملعونة في القرآن .

لقد كان النبيّ ﷺ عالماً بما انطوت عليه نفوس الأمويّين من الحقد والعداء

للإسلام، وأنّ إسلامهم كان ظاهرياً لم ينفذ إلى أعماق قلوبهم ودخائل نفوسهم، كما شكّك المسلمون في إسلامهم، فابتعدوا عنهم فلم يجالسوهم ولم يتّخذوهم أخداناً.

الأمويّون في عهد أبي بكر

لقد عاش الأمويّون في أيّام النبيّ ﷺ حياة تافهة لا ظلّ فيها للكرامة والعيش الرغيد، ولمّا رزئ المسلمون بوفاة الرسول العظيم حدثت الفتنة الكبرى التي عبّر عنها القرآن الكريم بالانقلاب على الأعقاب، فقد ذهب الحزب القرشي بقيادة أبي بكر وعمر وابن الجرّاح إلى أنّ النبيّ ﷺ لم يعهد لأي أحد بالخلافة، وترك الأمر إلى الأُمّة، فبيدها الحلّ والعقد، وهي حرّة في انتخاب من تشاء لقيادتها وحكومتها، وليس للعترة الطاهرة بزعامة عميدها بطل الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أي حقّ بالخلافة.

وقد دوّى صوتهم في يثرب قائلين بلهجة واحدة: أبت قريش أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد، واعجباه من هذا الشعار المزيّف الذي لا رصيد له في الواقع، هل أنّ قريشاً قلّدت الرسول النبوّة، ومنحته الرسالة حتّى يكون لها الحقّ في إقصاء أهل بيته عن مركز الحكم وقيادة الأُمّة؟

أليست قريش هي التي حاربت النبيّ ﷺ وجهدت بجميع طاقاتها على إزالة الإسلام، وإعادة أوثانها وأصنامها إلى مسرح الحياة، ورحم الله حكيم المعرّة إذ قال:

أَلَيسَ قُرَيشُكُمْ قَتَلَتْ حُسَيْناً ... وَكانَ عَلىٰ خِلافَتِكُمْ يَزِيدُ

كيف يترك الرسول ﷺ أُمّته تموج في تيّارات مهلكة من الفتن والاختلاف ولا يضع لها الحلول الحاسمة وهو الحريص عليها. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مِن أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[١].

بلى والله لقد عيّن لها القائد والمرشد، وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، وقال في حقّه في غدير خم حينما نصبه خليفة على المسلمين وبايعه الحاضرون: «**اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ، وَعادِ مَنْ عاداهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ**» إنّ القوم يعلمون ذلك ويجحدونه.

ورحم الله الشاعر إذ قال:

تاللهِ ما جَهِلَ الأَقْوامُ مَوْضِعَها لكِنَّهُمْ سَتَروا وَجْهَ الَّذي عَلِموا

إنّ الأطماع السياسيّة والتهالك على السلطة الذي هام به الناس قديماً وحديثاً هي التي دفعتهم إلى إقصاء الإمام عن مركزه، الأمر الذي نجم منه أن عانت الأمّة في جميع أدوار حياتها أقسى ألوان المحن والخطوب.

وعلى أي حال، فقد تقلّد أبو بكر الخلافة وقيادة الأمّة في سقيفة بني ساعدة، وقد احتفّ به حزبه، وكان في طليعتهم عمر بن الخطّاب، فقد حمل الناس على بيعته، وأرغمهم على قبول حكومته، وقد رفض بيعته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وباقي الأسرة النبويّة كما تخلّف عن بيعته خيار الصحابة وأعلام الإسلام، أمثال الصحابي العظيم عمّار بن ياسر، وأبي ذرّ، والمقداد، ومعظم أبناء الأوس والخزرج.

وقد تجاوب الأمويّون أجمعون اكتعون ببيعة أبي بكر ورضوا بها، وتبنّوها بجميع طاقاتهم لأنّها تضمن مصالحهم، وتوفّر لهم ما يصبون إليه.

وأكبر الظنّ صحّة ما ذهب إليه بعض المؤرّخين من أنّ هناك اتّفاقاً سرّياً بين أبي بكر وأبي سفيان في إشراك الأمويّين بالحكم حتّى ينضمّوا إليه، وقد تمّ ذلك بالفعل، فقد أسند أبو بكر ولاية الشام إلى يزيد بن أبي سفيان، ولم يسندوا ولاية

---

(١) التوبة ٩: ١٢٨.

هذا القطر إلى الأوس والخزرج ولا إلى بعض أبناء الأسرة العلويّة.

ولمّا خرج يزيد لتولّي منصبه شيّعه أبو بكر مسافة ليست قليلة، وكان يزيد راكباً وأبو بكر ماشياً حسب ما يقول ابن شبّة في أخبار المدينة، كما أسند إلى الكثير من الأمويّين بعض المناصب في جهاز دولته، ويرى العلائلي أنّ الذين فازوا بحكومة أبي بكر هم الأمويّون.

في أيّام عمر

ولم تطل حكومة أبي بكر، فقد وافاه الأجل فأسند زعامة الدولة إلى صاحبه عمر بن الخطّاب الذي مهّد له الطريق، وبنى دولته، ولمّا ولي الحكم ساس الأُمّة بالشدّة والعنف حتّى تحاشى لقاءه أكابر الصحابة كابن عبّاس.

وقد أقرّ في جهاز دولته معظم الولاة والعمّال من الأمويّين الذين كانوا في حكومة أبي بكر، وكان من أعظم المنتفعين منه معاوية بن أبي سفيان، فقد كان أثيراً عنده، فكان يحاسب عمّاله ويقاسمهم الأموال التي استفادوها إلّا معاوية، وقد كثرت الوشاية به، فكان الوشاة يخبرونه أنّه يتعاطى المسكر ويشرب في أواني الذهب والفضّة ويتعاطى الربا فيعتذر عنه، ويقول: ذاك كسرى العرب، وهو اعتذار لا يحمل أي طابع من الشرعيّة، فإنّه ليس في دنيا الإسلام كسرويّة ولا قيصريّة، والناس في شريعة الإسلام سواء، وكلّ إنسان مسؤول عن عمله إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً.

كما أنّ عمر كان من أقوى العوامل وأكثرها نشاطاً وفعاليّة في تقليد الخلافة لعثمان بن عفّان عميد الأسرة الأمويّة، وصرفها عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد وضع نظام الشورى لانتخاب الخليفة من بعده، وهو نظام صوري مغلّف لا يمتّ بحال إلى نظام الشورى الواقعيّة التي يجب أن تشترك فيها جميع قطاعات الشعب في عمليّة الانتخاب.

لقد أناط عمر الشورى في ستّة أشخاص كان معظمهم ممّن له ميول مع عثمان ، إمّا من ناحية القرابة ، وإمّا من ناحية الحقد والكراهية للإمام ، وبذلك فقد تقلّد عثمان الخلافة بتصميم من عمر بن الخطّاب .

حكومة عثمان

تسلّم عثمان قيادة الدولة بدعم من عمر ، وحينما باشر في عمله أسند جميع مهام الدولة إلى الأمويّين وآل بني معيط ، ولم يجعل فيها نصيباً لغيرهم من الأوس والخزرج ، ولا من الأسرة النبويّة ، ولم تكن للأمويّين أيّة دراية في أنظمة الحكم والإدارة ، فقد نشأوا نشأة جاهليّة اتّسمت بالميل إلى اللهو والمجون والبذخ والترف ، فحوّلوا اقتصاد الدولة إلى جيوبهم ينفقونه على شهواتهم ودعارتهم في حين أنّ الفقر قد أخذ بخناق المواطنين ، وعمّ البؤس في كثير من الأوساط الشعبيّة .

وكان من معالم سياسة عثمان التنكيل بمن لا يقرّ سياسته ، فقد نكّل بأعلام الصحابة أمثال الصحابي العظيم أبي ذرّ الغفاري ، لأنّه أنكر عليه سياسته الماليّة المبنيّة على الأثرة والاستغلال ، أنكر عليه تسليمه جهاز الدولة إلى الفسقة من الأمويّين ، فنفاه إلى الربذة التي انعدمت فيها جميع وسائل الحياة فمات هذا الصحابي جوعاً غريباً في حين أنّ أموال المسلمين قد تكدّست عند فتيان الأمويّين الذين هم من بقايا الجاهليّة .

وحرّم على الصحابي عبدالله بن مسعود عطاءه ، فأخذ يعاني الفقر والحرمان ، فمرض فعاده عثمان وعرض عليه عطاءه الذي حرمه منه ، فأبى وقال : « حرمتني منه وكنت جائعاً ، وأعطيتني إيّاه وأنا ملاق لله عزّ وجلّ » ، وأوصى أن لا يصلّي على جنازته عثمان .

كذلك نكّل بالصحابي العظيم عمّار بن ياسر ، لأنّه أنكر عليه أخذه للقلادة الذهبيّة التي كانت في بيت المال وأعطاها لبعض نسائه ، وهو تصرّف غير مشروع ، فثار

عثمان وأمر جلاوزته بضربه ، فضُرب ضرباً عنيفاً ، وأراد أن ينفيه كما نفى صاحبه أبا ذرّ ، إلّا أنّه اضطرّ إلى العدول عن رأيه لضغط الصحابة عليه .

وقد نقم خيار المسلمين على عثمان لتصرّفاته المجافية للإسلام ، فطالبوه بالاستقامة وتغيير سياسته ، فاستجاب إلّا أنّه عدل عن ذلك لضغط الأمويّين ، ولمّا يئس المصلحون من إصلاحه بادر محمّد بن أبي بكر إلى الإجهاز عليه ، وتوالت عليه الضربات حتّى لفظ أنفاسه الأخيرة ، ثمّ سحبوا جنازته فألقوها في مكان غير لائق مبالغين في الاستهانة به ، كما لم يسمحوا بمواراته حتّى توسّط الإمام في شأنه فأجابوه ودفن في حشّ كوكب وهو مقبرة لليهود .

وعلى أي حال ، فقد ربح الأمويّون بحكومة عميدهم فكنزوا لأنفسهم الأموال الهائلة التي ادّخروها لمقاومة حكومة الإمام ، فقد أصبح الأمويّون يملكون أموالاً هائلة حتّى أصبح من العسير مقاومتهم .

رأي زيد عليه السلام في مقتل عثمان

وكان رأي زيد في مقتل عثمان منسجماً تماماً مع آراء المؤرّخين والرواة في أنّ السبب في قتله يعود إلى فشل سياسته الداعمة للأمويّين وآل بني معيط ، ولنستمع إلى حديثه مع خالد المنقري الذي قال له : إنّ الذي قتل عثمان قوم ليسوا من المهاجرين والأنصار .

فردّ عليه زيد بعد حديث قائلاً : مال عثمان إلى الطلقاء وأبناء الطلقاء ـ ويعني بهم الأمويّين ـ فاستنزلوه ، فنكث على نفسه ، فاجتمع في أمره المهاجرون والأنصار فاستعتبوه فأبى إلّا تمادياً فيما لا يوافق الكتاب والسنّه ـ التي اجتمعوا عليها ـ فقتلوه .

فقال له خالد : أكلّ المسلمين قتلوه يابن رسول الله ؟

فأجاب زيد : لا ، لكن بعض قَتَلَ ، وبعض خَذَلَ ، والقاتل والخاذل سواء ، فمكث ملقى لا تدفن جثّته أيّاماً ثلاثة .

وانبرى خالد قائلاً: ما منعهم من دفنه يابن رسول الله ؟

لو أنّهم أرادوا دَفْنَهُ لم يروا قَتْلَهُ ، فأقام ثلاثة أيّام على المزبلة ، وكان الصبيان يمشون على بطنه ، وينشدون شعراً لم نذكره(١).

حكومة الإمام عليه السلام

استقبل الأمويّون حكومة الإمام بمزيد من القلق والاضطراب لأنّها امتداد لحكومة النبيّ صلى الله عليه وآله التي حاربوها بجميع طاقاتهم ، وفعلاً فقد قام الإمام فور تسلّمه اسلطة بإصدار القرارات التالية :

عزل ولاة عثمان

أمر الإمام بعزل ولاة عثمان عن جميع مناصبهم ، وكان معظمهم من الأمويّين ، لأنّهم عاثوا في الأرض فساداً ، ولم يستثن أحداً منهم ، واستهدف بالذات معاوية بن أبي سفيان الذئب الجاهلي عن ولاية الشام ، وأشار عليه المغيرة بن شعبة بإبقائه فترة من الزمن ثمّ يعزله ، فأبى لأنّ بقائه في السلطة ـ ولو لحظة ـ إقرار للظلم والفساد .

مصادرة أموال عثمان

وأصدر الإمام أوامره بمصادرة جميع أموال عثمان المنقولة وغيرها ، لأنّها اختلعت من بيت المال ، وأُخذت بغير حقّ ، وقد أثارت هذه الاجراءات العادلة غضب الأمويّين والرأسماليّين من القرشيّين من ولاة عثمان فراحوا يعملون بنشاط واسع لإسقاط حكومة الإمام ، وإفشال مخطّطاته الإسلاميّة .

وقد رصدوا الأموال التي نهبوها أيّام حكومة عثمان وبذلوها بسخاء لتشكيل قاعدة شعبيّة مناهضة لحكومة الإمام ، وإلى شراء الأسلحة والمعدّات الحربيّة حين

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٢٨٢ .

إعلان الثورة على الإمام عليه السلام.

وكان معاوية زعيم الأمويّين يضع المخطّطات لإسقاط حكم الإمام، فقد كاتب الزبير وطلحة كلّاً على انفراد بإسناد رئاسة الدولة له بعد الاطاحة بسلطة الإمام، وقد استجابا له، فزحفا إلى مكّة للالتحاق بعائشة بنت أبي بكر التي كانت حاقدة على الإمام ومبغضة له بغضاً عارماً، فوجدا عندها تجاوباً كاملاً لإعلان الحرب على الإمام، وقد اتّخذ هذا المثلث شعاراً لهم ومبرّراً لتمرّدهم، وهو المطالبة بدم عثمان، وقد كانت عائشة قد أفتت بكفره وإباحة دمه، فقالت: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر».

وعلى أي حال، فقد أمدّ الأمويّون جيش عائشة بجميع نفقات الحرب، وزحف لاحتلال البصرة واتّخاذها قاعدة عسكريّة لاحتلال المناطق الخاضعة لحكم الإمام، ولمّا علم الإمام بهذا التمرّد خرج بجيوشه للقضاء عليه، وبعد معارك رهيبة جرت بين الفريقين استطاع الإمام سحق جيش عائشة وإلقاء القبض عليها، وقتل طلحة والزبير، وبذلك انتهت هذه المعركة التي سمّاها المؤرّخون بواقعة الجمل، وقد أعقبت متاركاً فظيعة امتحن بها الإمام امتحاناً عسيراً، فقد فتحت باب الحرب بين المسلمين، ودمّرت وحدتهم، ومكّنت الذئب الجاهلي معاوية أن يعلن الحرب على الإمام، وقد اتّخذ دم عثمان بن عفّان ورقة رابحة للمطالبة بدمه وإعلان العصيان المسلّح على الإمام.

حديث الإمام زيد عليه السلام عن طلحة والزبير

تحدّث الإمام الشهيد زيد عن السبب في خلاف الزبير وطلحة للإمام أمير المؤمنين، وأنّه كان مادّياً، كما تحدّث عن مصرعهما بقوله:

«ثمّ انطلق المسلمون - أي بعد قتل عثمان - من المهاجرين والأنصار فتشاوروا، فبايعوا عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه طائعين غير مكرهين، راضين غير

ساخطين، كلّهم من المهاجرين والأنصار، والذين اتّبعوهم بإحسان، حتّى نكث بيعته رجال من المهاجرين من غير حدث، ما نقموا منه غير العدل في القضيّة، والقسم بالسويّة، وذلك أنّ طلحة والزبير أتيا ومعهما موليان لهما، وحضرا العطاء فأعطاهما أمير المؤمنين صلوات الله عليه وأعطى الموليين كما أعطاهما، فغضب طلحة والزبير فنكثا البيعة، وأنشئا الحرب له، فجدّ في قتالهما حتّى نصره الله تعالى فقتلا ناكثين.

أمّا طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم أصابه عند أصل الساق، فنزفه الدم حتّى مات، وفي ذلك يقول مروان بن الحكم:

شَفَيتُ غَليلاً كانَ في الصَّدرِ كَالشَّجا ... بِقَتْلِيَ قَتّالَ ابْنِ عَفّانَ عُثْمانا
وَما أَنْ أُبالي بَعدَ قَتْلِيَ طَلحَةً ... قَتَلتُ بِعُثمانَ بْنِ عَفّانَ إِنْسانا

وأمّا الزبير بن العوّام فإنّه قتله رجل من تميم يقال له عمرو بن جرموز نظر إليه فارّاً حتّى قتله، وفي ذلك يقول عمرو:

أَتَيتُ عَلِيّاً بِرَأسِ الزُّبَيرِ ... وَقَدْ كُنتُ أَرجو بِهِ الزُّلْفَة
فَبَشَّرَ بِالنّارِ قَبلَ العِيانِ ... فَبِئسَ التَّحِيَّةُ وَالتُّحْفَة
لِقَتلِ الزُّبَيرِ وَمِثلِ الزُّبَيرِ ... كَضَرْطَةِ عَنْزٍ بِذي الجُحْفَة(١)

وقد حكى هذا الحديث السبب في تمرّد طلحة والزبير على حكومة الإمام، وأنّ السبب في ذلك هو مساواة الإمام بينهما وبين موليهما في العطاء، فلم يخرجا على الإمام من أجل الصالح العامّ، وإنّما مصالحهما الضيّقة التي هي بعيدة عن هدي الإسلام، وهكذا كان السبب في حرب معاوية على الإمام هو سياسته العادلة التي هي من صميم الإسلام والتي لم يعوها ولم يؤمنوا بها.

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد: ٢٨٤.

ولا نريد أن نطيل الحديث عن حرب معاوية للإمام ، فقد استوعبنا الحديث عنها في موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وإنّما نشير إليه .

لقد استمرّت الحرب بين الإمام وبين معاوية ما يزيد على سنتين ، وأخيراً انتصر الجيش العراقي وهمّ معاوية بالفرار ، ولم يبق من الانتصار عليه سوى حلبة شاة فيما يقول المؤرّخون ، إلّا أنّ ابن العاص باتّفاق مع بعض قادة الجيش العراقي وعلى رأسهم الأشعث بن قيس قد اتّفقوا على رفع المصاحف ، والرجوع إلى حكم القرآن ، وحينما سمع العراقيّون استجابوا لهذا النداء ، ومني جيش الإمام بانقلاب عسكري مدمّر ، فأحاطوا بالإمام ، وأجبروه على قبول التحكيم وهدّدوه بالقتل فاستجاب لهم ، ومنذ ذلك الوقت انتصرت الوثنيّة القرشيّة التي يمثّلها معاوية وبنو أُميّة ، وقد أعقب هذا الانتصار ما يلي :

١ ـ تفلّل جيش الإمام عليه السلام

ومني جيش الإمام بالتمرّد والعصيان في جميع فرقه ، فقد أصبح يدعوهم الإمام فلا يستجيبون له ، قد خلدوا إلى الراحة والسأم من الحرب ، وقد نخرت أفكار الخوارج وحدتهم وطاعتهم .

٢ ـ شهادة الإمام عليه السلام

اغتيل رائد الحقّ والعدل على يد باغٍ أثيم ، وهو المجرم عبدالرحمن بن ملجم اغتال الإمام وهو واقف بين يدي الله تعالى والصلاة بين شفتيه ، وبذلك فقد انتهت حكومة الإمام التي هي حكومة البؤساء والمحرومين .

خلافة الإمام الحسن عليه السلام

تسلّم سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحنته الإمام الحسن عليه السلام بعد مواراته لجثمان أبيه قيادة الدولة الإسلاميّة ، وقد تسلّمها في أحرج الظروف ، ومن أشدّها بلاء ومحنة ،

فقد منيت قوّاته المسلّحة بالتمرّد والانحلال ولم تعد فيها قوّة عسكريّة ولا قيادة عامّة فنصف لزعيمها بالولاء والإخلاص.

وعلى أي حال، فإنّه لم يمض قليل من الوقت حتّى وافته رسل معاوية تطلب منه فتح باب الحرب حتّى يتخلّص منه معاوية، وينفرد بالحكم أو هو يتخلّص من معاوية، وعرض ذلك على جيشه، فكان كالصاعقة عليهم، فقد ساد فيه الوجوم، ولم يعلنوا الطاعة والولاء لزعيمهم، وقد دفع هذا التخاذل المفضوح إلى إنكار الزعيم عديّ بن حاتم، وإعلانه الطاعة، وخروجه إلى المعسكر وحده، وقد أدّت الأحداث المروّعة التي مني بها الإمام الزكيّ إلى الالتجاء إلى كارثة الصلح، كما دعت أبوه من قبل إلى إيقاف الحرب حينما أشرفت قوّاته على الفتح في معركة صفّين[١].

إرغام الإمام الحسن عليه السلام على الصلح

وأُرغم الإمام الحسن عليه السلام على التنازل عن الخلافة لأنّ معاوية بكفره وغدره ونفاقه قد استطاع أن يجلب إليه قادة الفرق بما بذله لهم من الأموال وبإغرائهم بالزواج من إحدى بناته، فاستجابوا له، وضمنوا له اغتيال الإمام الحسن أو أسره وبعثه إليه مكتوفاً، وقد اعتدوا على الإمام فطعنوه في فخذه وحكموا بكفره، فاضطرّ الإمام الحسن إلى الصلح على ما فيه من قذى في العين وشجا في الحلق، وقد أعطى معاوية الحسن شروطاً ولكنّه لم يف بشيء منها، فقد أعلن بعد الصلح أنّها تحت قدمه لا يفي بشيء منها.

لقد ندم معاوية على الصلح لأنّ الإمام الحسن كان تحت قبضته، وأراد أن يملي

---

(١) يراجع في تفصيل هذه الأحداث المؤسفة الجزء الثاني من حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام.

عليه شروطاً ، إلّا أنّ الإمام قد سبقه وتغلّب عليه .

حكومة معاوية

وحينما صفا الملك إلى معاوية أخذ في سحق الإسلام وتدميره ، وإعادة الحياة الجاهليّة إلى مسرح الحياة ، فقد قام بما يلي :

أوّلاً: سبّ أهل البيت عليهم السلام

وفرض معاوية سبّ أهل البيت على منابر المسلمين في أيّام الجمعة والأعياد ، وجعل ذلك جزءً من العقيدة الإسلاميّة ، كما أوعز بذلك إلى معاهد التربية والتعليم ، فأخذ الولاة يتقرّبون إليه بسبّ عملاق هذه الأُمّة ورائد حضارتها العلميّة ، والذي لولاه لما كان لهذا الدين من ضوء في عالم الحياة .

ثانياً: لجان الوضع

أقام معاوية لجاناً لوضع الحديث وافتعاله ونسبته إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكان المنهج الذي رسم لوضع الحديث هو ما يلي :

١ ـ فضائل الصحابة

وأنّهم خيار المسلمين ، وبأيّهم اقتديتم اهتديتم ، وفي الصحابة من مردوا على النفاق ، وتسلّحوا بالغدر أمثال معاوية وأبيه .

٢ ـ ذمّ أهل البيت عليهم السلام

وأنّهم ليسوا بأولياء للرسول صلى الله عليه وآله ، وأنّ أولياءه بنو أُميّة وآل بني معيط وأمثالهم من الخونة واللصوص .

٣- مدح بني أُميّة

ووضعت الأحاديث في مدح الأمويّين، خصوصاً في فضل عثمان بن عفّان ومعاوية بن أبي سفيان.

٤- تشويه الإسلام

من الأخبار الموضوعة الحطّ من قيم الإسلام وتشويه واقعة المشرق.

لجنة الوضع

أمّا اللجنة التي وضعها معاوية لوضع الحديث فتتألّف من الجماعة الآتية، وهم:

١- أبو هريرة الدوسي شيخ المضيرة.

٢- عمرو بن العاص الصحابي المنافق.

٣- سمرة بن جندب من سقطة المجتمع ومن أعلام المنافقين.

هؤلاء بعض الوضّاعين، وشاع الوضع وانتشرت الأحاديث المزيّفة، ومن المؤسف أنّها دوّنت في الصحاح والسنن، وأخذ بها المسلمون على أنّها جزء من عقيدتهم، وقد انبرى علم الأعلام الشيخ محمود أبو رية إلى بيان ذلك في كتابه (أضواء على السنّة المحمّديّة) وفي كتابه (شيخ المضيرة).

وكذلك انبرى سماحة الإمام شرف الدين إلى تفنيد روايات أبي هريرة الدوسي في كتابه (أبو هريرة).

ثالثاً: إبادة المصلحين

وجهد معاوية إلى تصفية المصلحين في الإسلام دعماً لحكمه القائم على الظلم والجور، وكان منهم:

١ ـ الإمام الحسن عليه السلام

اغتاله بالسمّ على يد زوجته جعدة بنت الأشعث، ليصفو لابنه الملك.

٢ ـ حجر بن عدي

أعدم الصحابي العظيم حجر بن عدي وجماعته المؤمنين الأخيار، الذين أنكروا على الرجس الخبيث زياد بن أبيه سبّه لإمام المتّقين وسيّد الموحّدين الإمام عليّ عليه السلام، فقد قال له حجر: إنّ الذي تذمّونه ـ وهو الإمام ـ أوْلى بالمدح، ومن تمدحونه ـ وهو معاوية ـ أوْلى بالذمّ، اعتقله الطاغية وبعث به إلى معاوية، فأمر بإعدامه مع إخوانه.

وقد ذكرنا تفصيل هذه الحادثة المروّعة في كتابنا (حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام).

٣ ـ عمرو بن الحمق

أعدمه معاوية وأمر بحزّ رأسه والطواف به في الشام، وهو أوّل رأس مسلم طيف به، كما أمر بإلقائه في حجر زوجته التي كانت في سجنه، فأُلقي في حجرها، فكادت تموت من الفزع.

٤ ـ أوفى بن حصن

ألقى زياد عليه القبض وأعدمه لولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ ـ جويرية بن مسهر

ألقى زياد عليه القبض وأمر بقطع يده ورجله وصلبه على جذع قصير، وذلك لإخلاصه في المودّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ـ رشيد الهجري

أعدمه الخبيث الدنس ابن زياد لولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٧ـ عبدالله الحضرمي وجماعته

أعدمهم الرجس الخبيث زياد بن أبيه لولائهم لسيّد المتّقين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

هؤلاء بعض أعلام الإسلام وحماته الذين أعدمهم معاوية كسرى العرب[١].

رابعاً: اضطهاد الشيعة

جهد الطاغية الفاجر معاوية في ظلم الشيعة والاعتداء عليهم، فقد كتب إلى عمّاله وولاته هذه الوثيقة:

«انظروا إلى مَن قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه».

وشفع ذلك برسالة اُخرى جاء فيها: «مَن اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به، واهدموا داره».

أرأيتم هذا الجور الذي حلّ بشيعة أهل البيت عليهم السلام الذين يمثّلون الإسلام بسلوكهم وإيمانهم بحقّ العترة الطاهرة التي أمر الله تعالى بمودّتهم. قال تعالى: ﴿ **قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾[٢].

وتحدّث الإمام الباقر عليه السلام عمّا جرى على شيعتهم من صنوف التنكيل والارهاق بقوله: « **وَقُتِلَتْ شيعَتُنا بِكُلِّ بَلْدَةٍ، وَقُطِعَتِ الْأَيْدي وَالْأَرْجُلُ عَلَى الظِّنَّةِ، وَكانَ مَنْ يُذْكَرُ**

---

(١) يرجع في تراجمهم إلى حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ٢: ٢٥٠.

(٢) الشورى ٤٢: ٢٣.

بِحُبِّنا وَالْإِنْقِطاعِ إِلَيْنا سُجِنَ ، أَوْ نُهِبَ مالُهُ ، أَوْ هُدِمَتْ دارُهُ »[١] .

١ ـ عدم قبول شهادة الشيعي

ومن الإجراءات الظالمة التي اتّخذها كسرى العرب ضدّ شيعة أهل البيت عليهم السلام عدم قبول شهادة الشيعة في مجالس القضاء[٢] ، وقد ردّت شهادتهم في القضاء وغيره .

ومن الجدير بالذكر أنّ محمّد بن مسلم فقيه الشيعة شهد عند قاضي الكوفة في واقعة ، فقال له القاضي : لا تقبل شهادتك لأنّك شيعي ، فبكى محمّد .

فقال له القاضي : لِمَ تبكي لأنّي رددت شهادتك ؟

فقال له محمّد : أبكي لأنّك ظلمت الشيعة بنسبتي إليهم ، وهذه الطائفة لا ينتمي إليها إلّا الأنبياء وأوصياء الأنبياء .

فبهر القاضي وقال : هكذا فلتكن الرجال[٣] .

٢ ـ هدم دور الشيعة

من الاجراءات القاسية التي اتّخذها معاوية ضدّ الشيعة أنّه أوعز إلى ولاته بهدم دورهم ، والتنكيل بهم ، وإبعادهم عن أوطانهم . هذه بعض الاجراءات القاسية التي اتّخذها هذا الصعلوك النذل ضدّ شيعة أهل البيت عليهم السلام ، الذين يمثّلون جوهر الإسلام ، ويحكون هدي الأئمّة في ورعهم وتحرّجهم في الدين ، وسيعلم من مكّن معاوية من رقاب المسلمين يوم عرض العباد على الله .

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١١ : ٤٣ .

(٢) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام : ٢ : ٣٧٨ .

(٣) أعيان الشيعة : ١٠ : ٢٧٣ .

خامساً: البيعة ليزيد

من موبقات معاوية وجرائمه أنّه أخذ البيعة بالخلافة من بعده لولده يزيد، وهو يعلم فسقه ومروقه من الدين، وأنّه لا يملك أيّة نزعة شريفة تؤهّله لقيادة الأُمّة، فقد نشأ نشأة جاهليّة، وتربّى في أحضان أُمّه البدويّة المطلقة التي كانت تعتنق المسيحيّة، ففي كنفها قطع دور الطفولة حتّى أشرف على ميعة الشباب، وقد تربّى بعادات أخواله فشرب الخمر وتعاطى المنكرات. ولمّا ولي الحكم سار بسيرة جدّه أبي سفيان وبسيرة أبيه كسرى العرب الذي ملأ حياة المسلمين ظلماً وجوراً.

وبهذا نطوي الحديث عن معاوية لنستقبل حكومة ولده الفاسق الفاجر يزيد.

نزعات يزيد

أمّا نزعات يزيد، فقد كانت قاتمة شديدة الظلام، لا بصيص فيها من النور، وهذه بعضها:

١ـ الإلحاد

كان يزيد كأبيه وجدّه في اعتناق الإلحاد وعدم الإيمان بالله تعالى، ولمّا ولي الحكم أباد عترة رسول الله ﷺ وأخذ يترنّم بهذه الأبيات:

لَيتَ أَشياخِي بِبَدرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزرَجِ مِن وَقعِ الأَسَلْ
لَأَهَلُّوا وَاستَهَلُّوا فَرَحاً ... ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلْ
قَدْ قَتَلنا القَرمَ مِن ساداتِهِمْ ... وَعَدَلناهُ بِبَدرٍ فَاعتَدَلْ
لَعِبتْ هاشِمُ بِالمُلكِ فَلَا ... خَبَرٌ جاءَ وَلَا وَحيٌ نَزَلْ
لَستُ مِن خِندِفَ إن لَم أَنتَقِم ... مِن بَنِي أَحْمَدَ مَا كانَ فَعَلْ (١)

---

(١) الأمالي / الصدوق: ٢٢٩ ـ ٢٣١. اللهوف: ١٠٥ ـ ١٠٦. روضة الواعظين: ١٩١. ⇐

الويل ليزيد ولأتباعه من بهائم البشر الذين عميت قلوبهم وبصائرهم ، فراحوا يمجّدونه ، وأكبر الظنّ إنّما بجّلوه لأنّه قد انتقم من النبيّ صلى الله عليه وآله بإبادته لعترته عليهم السلام .

٢ـ إدمانه على الخمر

وظاهرة من صفاته وموبقاته ، وهي الادمان على الخمر ، وقد أسرف فيه إلى حدّ كبير ، فكان في معظم أوقاته ثملاً لا يعي من السكر ، وله شعر كثير في وصف الخمر ،كان منه :

إسقِنِي شُربَةً تُروِّي مُشاشِي ثُمَّ مِلْ فاسِقِ مِثلَها ابنَ زِيادِ
صاحِبُ السِّرِّ وَالأَمانَةِ عِندِي وَلِتَسدِيدِ مَغنَمِي وَجِهادِي[1]

حكى هذا الشعر ولاءه العارم للارهابي المجرم ابن زياد الذي اقترف بأمره أعظم جريمة في الأرض ، وهي قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله .

٣ـ ولعه بالقرود

كان يزيد ولعاً بالقرود ، فهي تشبهه وتحكيه ، وكان له قرد كنّاه بأبي قيس يسقيه فضل كأسه من الخمر ويسكر معه ، ويقول فيه : « هذا شيخ بني إسرائيل أصابته خطيئة فمسخ » ، ومن شدّة أنسه به كان يجلسه على أتان وحشيّة ، ويرسله مع الخيل في حلبة السباق ، وقد سبق الخيل مرّة ، فقال :

تَمسَّكْ أبا قَيسٍ بِفَضلِ زِمامِها فَلَيسَ عَلَيها إنْ سَقَطْتَ ضَمانُ

⇦ مقاتل الطالبيّين : ١١٩ . تذكرة الخواص : ٢٣٥ . البداية والنهاية : ٨ : ١٩٤ .

(١) مروج الذهب : ٣ : ٦٧ .

وفي أنساب الأشراف : ٥ : ٣١١ ، هكذا :

إسقِنِي مُزَّةً تُروِّي مُشاشِي وَأَدِرْ مِثلَها عَلَى ابنِ زِيادِ
مَوضِعُ السِّرِّ وَالأَمانَةِ عِندِي وَعَلَى ثَغرِ مَغنَمِي وَجِهادي

فَقَدْ سَبَقَتْ خَيلَ الجَماعَةِ كُلَّها وَخَيلُ أَمِيرِالمُؤمِنِينَ أَتـانُ(١)

وأرسله مرّة في حلبة السباق فطرحته الريح ، فمات ، فحزن عليه حزناً شديداً ، وأمر بتكفينه ودفنه في مقابر المسلمين ، وأوعز إلى رعيّته أن تعزّيه بفقيده العظيم ، وقد رثاه بهذه الأبيات :

كَـمْ مِـن كِـرامٍ وَقَـومٌ ذُو مُحافَظَةٍ جـاءُوا لَـنا لِيُعَزُّوا فِـي أَبِـي قَـيسِ
شَـيخُ العَشِـيرةِ أَمْضاها وَأَجـمَلُها عَلَى الرُّؤوسِ وَفِي الأَعناقِ وَالرِّيسِ
لَا يُـــبْعِدُ اللهُ قَـبراً أَنتَ سـاكِـنُهُ فِـيهِ جَـمالٌ وَفِـيهِ لِـحيَةُ التَّيسِ(٢)

وشاع بين الناس شغفه بالقرود ، فهجاه رجل من تنوخ بهذين البيتين :

يَزيدٌ صَدِيقُ القِرْدِ مَلَّ جِوارَنـا فَـحنَّ إِلىٰ أَرضِ القُـرُودِ يَـزِيدُ
فَتَبّاً لِـمَنْ أَمسَـىٰ عَـلَينا خَـلِيفَةً صَحابَتُهُ الأَدنَونَ مِـنهُ قُـرُودُ(٣)

أمثل هذا الفاسق المستهتر بجميع القيم الإنسانيّة يكون حاكماً على المسلمين ووليّاً لأمورهم .

٤ـ إبادته لعترة النبيّ صلى الله عليه وآله

من الجرائم الكبرى التي اهتزّ لهولها الضمير العالمي إبادة هذا اللقيط لعترة رسول الله صلى الله عليه وآله في صعيد كربلاء ، وإنزال جميع النكبات والخطوب بهم ، فلم تبق كارثة من كوارث الدنيا إلّا صبّها على سيّد شباب أهل الجنّة في الآخرة وأبي الأحرار في هذه الدنيا ، سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام ، فقد أحاطت به جيوش الأمويّين وشيعة آل أبي سفيان ، فحرموه وأهل بيته وأطفاله وأصحابه من الارتواء بالماء ،

(١) الأخبار الموفقيّات : ٣٤٦. أنساب الأشراف : ٥ : ٣٠٠. مروج الذهب : ٣ : ٦٨.

(٢) جواهر المطالب : ٢ : ٣٠٤.

(٣) أنساب الأشراف : ٥ : ٣٠٠.

وقد أخذ العطش من الأطفال وحرائر النبوّة مأخذاً عظيماً حتّى أشرفوا على الموت ، والإمام الممتحن يسمع صراخ أطفاله من شدّة الظمأ فيذوب قلبه أسى وحزناً عليهم ، وقد بلغ من وحشيّة أُولئك الممسوخين أن سدّدوا سهماً لطفل الإمام الذي حمله إليهم ليستدرّ عواطفهم فيسقوه جرعة من الماء ، فأصاب السهم ـ يا لله ـ رقبة الطفل وهو على ذراع أبيه ، فجعل يرفرف على صدره كالطير المذبوح حتّى فارق الحياة .

كما انثال الفسقة المجرمون على أصحاب الإمام الممجّدين والكوكبة المشرقة من ذرّيّة رسول الله ﷺ ، فحصدوهم بسيوفهم ، ومزّقوا أجسامهم برماحهم ، ثمّ أحاطوا بالإمام من كلّ جانب وهم يوسعونه ضرباً بسيوفهم وطعناً برماحهم ، ورمياً بسهامهم ، وهو يتألّم لمصيرهم الأسود ، وتأخذه الشفقة عليهم فتنهل دموعه لأنّ مصيرهم سيكون إلى النار .

حقّاً لقد كان أبو الأحرار الوحيد في هذه الدنيا في سموّ ذاته ورحمته .

وبادر رجس من أرجاس وخدم الأمويّين فاحتزّ رأس الإمام الذي هو تاج هذه الدنيا في جميع الأحقاب والآباد ، لقد قدّم الإمام روحه لأجل أن يقيم في هذا الشرق حكومة القرآن وينقذ المسلمين من جور الأمويّين وعسفهم وجبروتهم ، ويسعد الفقراء والمحرومون ، وينفي عنهم الحاجة والبؤس .

لقد قدّم الإمام العظيم روحه ثمناً لكلّ ما تسمو به الإنسانيّة من شرف وعزّ وإباء ، وكان هذا الثمن غالياً وعظيماً ، فقد قتل غريباً مظلوماً عطشاناً ، ومثلت أمامه تلك الكواكب المشرقة من أبناء النبيّ ﷺ التي تقطّعت أوصالهم بسيوف الأمويّين .

وتمادى شرّ أُولئك الأرجاس الأنذال فأسرعوا إلى أخبية الإمام الحسين عليه‌السلام التي كانت تضمّ عقائل الوحي ومخدّرات الرسالة ، فأشعلوا فيها النار ، التي كانت امتداداً لتلك النار التي أشعلت من قبل باب دار سيّدة نساء العالمين زهراء الرسول عليها‌السلام ، وقد رفع الأشرار أصواتهم قائلين : « احرقوا بيوت الظالمين » .

بيوت آل النبيّ بيوت الظلم في عرف أُولئك الممسوخين، وبيوت الدعارة والفسق والظلم من الأمويّين بيوت العدالة.

وانثالوا على الجسد الطاهر فسحقوه بخيولهم امتداداً لوحشيّتهم وجرائمهم، ثمّ عمدوا إلى دفن جيف قتلاهم، وتركوا الأجسام الطاهرة التي أضاءت بها سماء العدالة ملقاة في صعيد كربلاء لم يواروها، وانبرى إليها فريق من العرب لم يتلوّثوا بتلك الجرائم فواروها حيث هي الآن بأسمى مكان تحت الشمس.

وحملوا ودائع النبوّة سبايا إلى الكوفة، فمثلن أمام الارهابي الخبيث ابن مرجانة وهو جذلان بإبادته لعترة رسول الله ﷺ، وتقرّباً لنسبه اللصيق ببني أُميّة، ثمّ أُرسلت السبايا إلى الشام ومعها الرؤوس المشرقة، فعرضت على حفيد أبي سفيان، فأخذ ينكت رأس أبي الشهداء بمخصرته مظهراً الفرحة الكبرى بأخذه الثأر من ابن فاتح مكّة.

لقد كان جزاء النبيّ ﷺ الذي برّ بدين العرب ودنياهم، وأقام لهم دولة من أعزّ دول العالم كان جزاؤه منهم أن عمدوا إلى استئصال عترته وسبي عقائله، وممّا لا شبهة فيه أنّ هذه الرزايا التي حلّت بالعترة الطاهرة كانت امتداداً لأحداث السقيفة والشورى التي عمد أعضاؤها على الغضّ من شأنها رافعين عقيرتهم: «أبت قريش أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد».

ورحم الله حكيم المعرّة إذ قال:

أَلَيسَ قُرَيشُكُمْ قَتَلَتْ حُسَيْناً ... وَكانَ عَلىٰ خِلافَتِكُمْ يَزيدُ

إنّ ما حلّ بسيّد شباب أهل الجنّة من الرزايا والخطوب قد تركت بصماتها في نفس زيد وأبيه، فكان دوماً يذكر مصائب جدّه بأسى بالغ وحزن عميق، وقد كره الحياة وسئم من المجتمع الذي عاش فيه، فقد غدر بجدّه، ولم يحفظوا فيه وصيّة رسول الله ﷺ.

واقعة الحرّة

من جرائم يزيد وموبقاته انتهاكه لحرمة عاصمة الرسول ﷺ وإباحتها لجنده بما فيها من رجال وأموال وأعراض، فعاثوا فيها، واقترفوا كلّ ما حرّم الله تعالى.

إنّ ثورة المدينة وتمرّدها على حكومة يزيد كان من أسبابها ما جرى على عترة رسول الله ﷺ من القتل والسبي لعقائل النبوّة، فقد كانت سيّدة نساء العالمين زينب الكبرى تحرّض المسلمين على الأخذ بثأر أخيها، وبالإضافة لذلك خروج السيّدات العلويّات بمظاهرات نسويّة تجوب شوارع المدينة، وتتزعّمهنّ السيّدة زينب بنت عقيل وهي تخاطب المسلمين بهذه الأبيات الرقيقة:

مَاذا تَقُولُونَ إِنْ قالَ النَّبِيُّ لَكُمْ ... مـاذا فَعَلْتُمْ وأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ

بِأَهلِ بَيتِي وَأَنصَارِي أَمَا لَكُمُ ... عَهْدٌ كَرِيمٌ أَمَا تُوفُونَ بالذِّمَمِ

ذُرِّيَّتِي وَبَنُو عَمِّي بِمَضيعَةٍ ... مِنهُم أُسَارَى وَقَتلَى ضُرِّجُوا بِدَمِ

مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحتُ لَكُم ... أن تَخلُفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي (١)

أجل، ماذا يقول المسلمون وبماذا يعتذرون إلى النبيّ ﷺ في إبادة عترته وسبي عقائله ؟

لقد رأى زيد التوجّع على جدّه الحسين فقد ملئت القلوب أسى وحزناً عليه.

كما إنّ من أسباب ثورة المدينة فسق يزيد واستهتاره، ورأى الأخيار من بقيّة الصحابة الخروج على يزيد واجباً شرعيّاً، فقد قال عبدالله بن حنظلة وهو من زعماء الأنصار: « والله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنّه

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٤٢٠. تاريخ مدينة دمشق: ٦٩: ١٧٨ ـ ١٧٩. تذكرة الخواص: ٢٤٠. وقد ورد الشعر في الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢٤، وروضة الواعظين: ١٦٣، أنّه لأُم لقمان بنت عقيل. وفي بعض المصادر نسبه لامرأة من بني عبدالمطلب ولم يسمّها.

رجل ينكح الأُمّهات والبنات ، ويشرب الخمر ، ويدع الصلاة ، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً »(١).

وقال المنذر بن الزبير : « إنّه ـ أي يزيد ـ قد أجازني بمائة ألف ، ولا يمنعني ما صنع بي أن أُخبركم خبره ، والله إنّه ليشرب الخمر ، والله إنّه ليسكر حتّى يدع الصلاة »(٢).

طرد حاكم المدينة

وقام الثوّار بطرد حاكم المدينة وإقصائه عن منصبه ، وطرد سائر الأمويّين ، وشكّلوا حكومة مؤقّتة ، وكان الحاكم على المدينة عثمان بن محمّد بن أبي سفيان ، وكان فتىً مغروراً ، ولمّا أقصوه جعلوا يقذفونه بالحجارة(٣).

التجاء مروان للإمام عليه السلام

فزع مروان من الثورة ، وخاف على نساء الأمويّين أن تنتهك ، فأسرع إلى عبدالله ابن عمر مستجيراً به ، فرفض إجابته ، فالتجأ إلى معدن الشرف والكرامة الإمام زين العابدين عليه السلام ، فأجابه الإمام إلى ذلك ، وبادر مروان فأخرج نساء الأمويّين وضمّهنّ إلى بيت الإمام ، فخرج الإمام بهنّ إلى ينبع للحفاظ عليهنّ ، وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفّان زوجة مروان ، وهي خائفة مضطربة ، فمرّت بالإمام زين العابدين عليه السلام ، فخاف عليها ، فأرسل معها ولده عبدالله محافظاً عليها ، وبقي معها حتّى انتهت الواقعة ، فقفل راجعاً معها إلى المدينة ، وكان عدد النساء اللّاتي التجأن إلى الإمام أربعمائة امرأة ومعهنّ أولادهنّ وحشمهنّ ، وبقين في رعايته حتّى انتهت

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ٢ : ٣٧٠.

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٣٦٨.

(٣) الطبقات الكبرى / ابن سعد : ٥ : ٤٧.

الواقعة ، وأقسمت إحداهنّ أنّها ما رأت في دار أبيها من الرحمة والعيش الهني مثل ما رأته في دار زين العابدين(١).

ومن الغريب أنّ مسلم بن عقبة القائد العامّ لجيش يزيد لمّا احتلّ المدينة وجيء بالإمام زين العابدين عليه السلام إليه كان مروان إلى جانبه ، فأخذته الدهشة من هيبة الإمام ، فقال له مروان : أتعرفه إنّه عليّ بن الحسين ، اقتله واحسم الداء ، ولا تبق لهم بقيّة ، هكذا كان جزاء الإمام من هذا الخبيث النذل الذي لا يعرف الشرف ولا المعروف(٢).

انتداب مسلم بن عقبة للحرب

ندب الطاغية يزيد لحرب المدنيّين أخطر ارهابي عرفه التاريخ ، وهو مسلم بن عقبة ، ويحدّثنا المؤرخون عن صفاته القذرة ، فقد وصفه الفخري أنّه أحد جبابرة العرب ، وكان شيخاً كبيراً لما ندبه يزيد للحرب(٣).

ووصفه صاحب العقد أنّه كان أعور ، أفغر ، ثائر الرأس ، كأنّما يقلع رجليه عن وحل إذا مشى(٤).

يقول المستشرق دوزي أنّه كان لا يؤمن بالله تعالى ولا بالإسلام ، وكان مريضاً ، فلمّا أسند إليه يزيد قيادة الجيش غمره السرور ، وقال له يزيد : إن شئت أن أعفيك فإنّي أراك دنفاً منهوكاً.

وتضرّع إليه الخبيث قائلاً : نشدتك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله تعالى لي(٥).

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ٢ : ٣٧٩.

(٢) المختار الثقفي : ١٨١.

(٣) و (٤) المختار الثقفي : ١٨٢.

(٥) معاوية بن أبي سفيان / عمر أبو النصر : ٢٦٦.

وصيّة يزيد لابن عقبة

زوّد يزيد ابن عقبة بهذه الوصيّة الجهنّميّة التي تحكي جرائمه، جاء فيها: «إذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك حرباً فالسيف السيف، ولا تبق عليهم، وانهبها ثلاثاً، واجهز على جريحهم، واقتل مدبرهم»(١).

حكت هذه الوصيّة نزعات الطاغية التي تحمل الخبث والشرّ لجميع المسلمين.

زحف الجيوش للحرب

وزحفت جيوش الكفر والضلال إلى احتلال مدينة الرسول ﷺ، وقد اجتازت على يزيد وهو واقف على نشز من الأرض تؤدّي لها التحيّة، وهو مزهوّ فرح بقوّة جيشه، وأنشأ يقول:

أَبْـلِغْ أَبـا بَكـرٍ إذا الأَمْـرُ انْـبَرى ... وَانْحَطَّتِ الرّايـاتُ مِـنْ وادي القُـرىٰ
أَجَـمْعُ سَكْـرانٍ مِـنَ القَـومِ تَـرى ... أَمْ جَمْعُ يَقْظانٍ نَفىٰ عَنْهُ الْكَرىٰ ؟(٢)

ومعنى هذا الشعر أنّ هذه الجيوش التي ساقها للحرب هل هي منبعثة عن سكران أم عن يقظان نفى عنه الكرى، أنّها انبعثت عن فاسق، فاجر، مدمن على الخمر، لا يرى لله تعالى حرمة.

محاصرة المدينة

وانتهت جيوش حفيد أبي سفيان، وهي جيوش الكفر إلى المدينة، ففرضت عليها حصاراً وطوقتها من جميع جهاتها، وقام المدنيّون بحفر خندق وهو الخندق

---

(١) التنبيه والأشراف: ٢٦٦.

(٢) المختار الثقفي: ١٨٣.

الذي حفره رسول الله ﷺ في واقعة الأحزاب ، وانبرى شاعر المدينة قائلاً:

إنَّ بِـالخَنْدَقِ المُكَـلَّلِ بِـالْمَجْـ ـدِ لَـضَرْباً يُبْدي عَـنِ النَّشَـواتِ
لَسْتَ مِـنّا ، وَلَـيْسَ خـالُكَ مِـنّا يـا مُـضيعَ الصَّـلاةِ بِـالشَّهَواتِ
فَـإِذا مـا قَـتَلْتَنا فَـتَنَصَّر وَاشْرَبِ الْخَمْرَ وَاتْرُكِ الْجُمُعاتِ[١]

احتلال المدينة

وعجزت جيوش الكفر من احتلال المدينة ، إلّا أنّ عبدالملك بن مروان بـايعاز من أبيه خفّ مسرعاً إلى مسلم بن عقبة ، فدلّه على عورات البلد ، وفعلاً فقد نفذ منها جيش العدوّ ، فالتحم مع المدنيّين في معركة رهيبة استشهد فيها البطل المجاهد عبدالله بن حنظلة مع أبنائه وكوكبة من أبناء المهاجرين والأنصار ، وقد فقد ثمانون رجلاً من أصحاب النبيّ ﷺ ، كما فقد سبعمائة من قريش والأنصار وعشرة آلاف من سائر الناس[٢].

المجازر البشعة

واقترف الجيش الأموي أفظع الجرائم وأشدّها وحشيّة وقسوة في مدينة النبيّ ﷺ ، فقد أباحها مسلم بن عقبة لجيشه عملاً بوصيّة يزيد ، وراح الجيش يمعن في قتل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ ، وهتك الأعراض ، وأخذ البيعة لمن بقي منهم أنّهم خول وعبيد ليزيد[٣] يفعل بهم ما شاء.

---

(١) التنبيه والأشراف : ٢٦٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٧: ٥ ـ ١٢.

(٣) تاريخ أبي الفداء : ١: ٢٠٦. البداية والنهاية : ١: ٢٠٦.

الرؤوس بين يدي يزيد

وأمر الطاغية ابن عقبة بحزّ رؤوس الشهداء وإرسالها هديّة إلى سيّده الطاغية يزيد ، فلمّا وضعت بين يديه فرح وأخذ يترنّم بأبيات ابن الزبعرى :

لَيتَ أَشْيَاخِي بِبَدرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزرَجِ مِن وَقعِ الأَسَلْ
لأَهَلُّوا وَاستَهَلُّوا فَرَحاً ... ثُمَّ قَالُوا يَا يَزيدُ لَا تُشَلْ
قَدْ قَتَلنَا القَرمَ مِن سَادَاتِهِم ... وَعَدَلنَاهُ بِبَدرٍ فَاعتَدَلْ
لَعِبتْ هَاشِمٌ بِالمُلكِ فَلَا ... خَبَرٌ جَاءَ وَلَا وَحيٌ نَزَلْ
لَستُ مِن خِندِفَ إِنْ لَم أَنتَقِمْ ... مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ (١)

وقديماً تمثّل بهذا الشعر حينما وضع رأس ريحانة رسول الله ﷺ بين يديه .

إنّ زيداً لم يكن مخلوقاً أيّام هذه المأساة التي حلّت بمدينة جدّه رسول الله ﷺ ، لكنّه قد وعاها ودرس أبعادها بعد ولادته ونشأته لأنّها من الأحداث الجسام ، فحفّزته إلى الثورة والعمل الجادّ للإطاحة بحكومة الأمويّين .

وقد أعلن زيد أنّ ثورته العملاقة كان من أسبابها انتهاك الأمويّين لحرمة مدينة جدّه ، حيث قال : إنّما خرجت على الذين أغاروا على المدينة يوم الحرّة ثمّ رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار (٢) .

---

(١) الأمالي / الصدوق : ٢٢٩ ـ ٢٣١ . اللهوف : ١٠٥ و ١٠٦ . روضة الواعظين : ١٩١ . مقاتل الطالبيّين : ١١٩ . تذكرة الخواص : ٢٣٥ . البداية والنهاية : ٨ : ١٩٤ . المختار الثقفي : ١٨٥ .

(٢) الفرق بين الفِرق : ٢٥ .

عَصْرُ زَيْدٍ

لم يعد البحث عن دراسة العصر الذي نشأ فيه الشهيد الخالد زيد لوناً من ألوان الترف أو الفضول ، وإنّما هو من صميم الموضوع حسب الدراسات الحديثة ، فهو يصوّر لنا الحياة السياسيّة والعلميّة والاجتماعيّة التي عاش في ظلالها زيد والتي لها الأثر في اندفاعه بشوق إلى التضحية لمكافحة الظلم والطغيان ، وهذا ما سنتحدّث عنه في البحوث الآتية ، وهذا عرض لمكوّنات عصر زيد :

الخطّ السياسي للأمويّين

أمّا الخطّ السياسي للأمويّين في جميع أيّام حكمهم ، فقد كان طابعه العامّ الظلم والجور والاستبداد ، وهذه لمحات منه :

احتقار الشعوب

والشيء البارز في السياسة الأمويّة هو احتقار الشعوب الإسلاميّة والاستخفاف بها ، وقد حكى ذلك الوليد بن يزيد الأموي بقوله :

فَدَعْ عَنكَ ادِّكـارَكَ آلَ سُـعْدىٰ ... فَنَحْنُ الأَكْـثَرونَ حَـصىً وَمـالا

وَنَـحنُ المـالِكونَ النـاسَ قَسْـراً ... نَسـومُهُمُ المَـذَلَّةَ وَالنَّكـالا (١)

---

(١) وردت في الأصل : « والهوانا » .

وَنورِدُهُمْ حِياضَ الخَسْفِ ذُلّاً   وَمــا نَــألوهُمْ إلّا خَـبالا [١]

حكى هذا الشعر مدى الاستهتار والطغيان والتجبّر على الأمّة ، فإنّهم قد ملكوها بالقهر وفرضوا عليها سلطانهم ، يسومونها الذلّ والهوان والاحتقار .

وقال الطاغية عبدالملك بن مروان في خطابه الذي ألقاه في المدينة أمام أبناء المهاجرين والأنصار : « ألا وإنّي لا أُداوي هذه الأمّة إلّا بالسيف حتّى تستقيم لي قناتكم ، وإنّكم تحفظون أعمال المهاجرين الأوّلين ، ولا تعملون مثل عملهم ، وإنّكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم ، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربت عنقه »[٢] .

وهل هناك استهتار أفحش من هذا الاستهتار ، إنّه لا يداوي أمر الأمّة بالعدل ، وإنّما يداويها بالقتل والدمار .

ويقول ابن العاص ـ وهو من أجهزة الحكم الأموي ـ : « إنّما السواد بستان قريش » ، ومعنى هذا أنّ السواد ملك للسادة القرشيّين ليس لأهله حرمة ولا كرامة ، هذا هو منطق الأمويّين في جميع مراحل حكمهم .

اضطهاد الذمّيّين

الإسلام واضح في تشريعه بالنسبة إلى بقيّة الأديان والمذاهب ، فقد ضمن لهم جميع حقوقهم وكرامتهم ما داموا داخلين في ذمّة الإسلام ، فإنّه ليس من الإسلام أن يضطهد أي إنسان مهما كانت معتقداته ما لم يحدث فتنة أو فساداً في الأرض .

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **« النّاسُ صِنْفانِ ، إمّا أَخٌ لَكَ في الدِّينِ ، أَوْ شَبيهٌ لَكَ في الْخَلْقِ »** .

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٣٠٧.

(٢) الذهب المسبوك : ٢٩.

إنّ الإسلام تبنّى بصورة إيجابيّة الحقوق التالية لجميع الناس ، وهي :

١ ـ العدالة .

٢ ـ المساواة .

٣ ـ الحريّة .

لكنّ السياسة الأمويّة كانت مخطّطاتها ظلم الذمّيّين واضطهادهم ، فقد روى المؤرّخون أنّ أُسامة بن زيد التنوخي القائم بأمر الخراج في عهد يزيد بن عبدالملك قد أوقع بالذمّيّين فأرهقهم ، وأخذ أموالهم ، ووسم أيديهم[(١)] .

وفرض عبدالعزيز بن مروان الجزية على الرهبان ، وهي أوّل جزية أُخذت منهم[(٢)] .

إنّ ظلم الأمويّين وجورهم لم ينصبّ على المسلمين ، وإنّما كان شاملاً لغيرهم .

ظلم الموالي

إنّ السياسة الأمويّة في جميع مراحل حكم ملوكها كانت ذات طابع خاصّ ، وهي ظلم الموالي وحرمانهم من جميع حقوقهم مع دخولهم في حضيرة الإسلام ، وأنّ كوكبة منهم كانوا من أعلام الإسلام .

كما اشترك الكثيرون منهم في الفتوحات الإسلاميّة ، وأوّل من فتح عليهم باب الظلم معاوية كسرى العرب ، فقد رام تصفيتهم ، وسفك دمائهم ، فقد دعا الأحنف بن قيس التميمي وسمرة بن جندب الصحابي الكذّاب ، وقال لهما : إنّي رأيت هذه الحمر ـ أي الموالي من الفرس ـ قد كثرت ، وأراها قد قطعت على السلف ، وكأنّي أنظر وثبة منهم على العرب والسلطان ، فقد رأيت أن أقتل شطراً منهم لإقامة السوق وعمارة الطريق ، فما ترون ؟

---

(١) و (٢) خطط المقريزي : ٤ : ٣٩٥.

فأيّده سمرة وعارضه الأحنف وأقنعه بالترك[١].

وكان من نتائج هذه السياسة الخرقاء نقمة الموالي على الأمويّين، وانضمامهم لكلّ ثورة مناهضة لحكمهم.

يقول الجاحظ في كتابه (العرب والموالي): «إنّ الحجّاج بن يوسف لمّا خرج عليه عبدالرحمن بن الأشعث، ولقي ما لقي من قرّاء أهل العراق، كان أكثر من قاتله الموالي من أهل البصرة، فجمعهم بعد إطفائه تلك الثورة، وقال لهم: إنّما أنتم علوج وعجم، وقرّاؤكم أوْلى بكم، ثمّ فرّقهم حيث شاء في البلاد النائية، ونقش على يد كلّ رجل منهم اسم البلدة التي وجّهه إليها.

وبلغ من تعصّب الأمويّين ضدّ الموالي أنّهم كانوا لا يرونهم أكفاء لهم، فكانوا ينادونهم بأسمائهم وألقابهم لا بالكنية لما فيها من الشعور بالتكريم، كما لم يسمحوا لهم بالسير أمامهم أو معهم إلّا من ورائهم، ولا يجعلون منهم قائداً على جيش عربي، كما لا يجيزون أن يصلّي أحد منهم على جنازة عربي.

ومن إهانتهم للموالي أنّه إذا أقبل عربي من السوق وهو حامل لشيء فعلى المولى حمله عنه، إلى غير ذلك من صنوف التحقير والإهانة».

وقد سبّبت هذه الاجراءات القاسية شيوع الأحقاد بين المسلمين، كما سبّبت انضمام الموالي إلى الثورة التي أطاحت بالحكم الأموي.

الحياة الاقتصاديّة

أمّا الاقتصاد العامّ في عموم الأقاليم الإسلاميّة فقد كان مشلولاً قد استولى الأمويّون على معظم مناطق الزراعة وغيرها من موارد الاقتصاد العامّ، وقد طالبهم عمر بن عبدالعزيز بإرجاع المناطق الزراعيّة التي نهبوها من أهلها، فأبوا عليه،

---

(١) ضحى الإسلام: ٢: ٢٧١.

وهذا عرض لما عليه الناس من البؤس والحرمان في أيّام حكمهم.

ظلم الجباة والولاة

جهد الأمويّون على اختيار الجفاة والقساة ولاة وعمّالاً لهم أمثال المجرم زياد بن أبيه والفاجر المغيرة بن شعبة وسمرة بن أبي أرطاة وسمرة بن جندب وخالد القسري والحجّاج بن يوسف الثقفي، من الذين تربّوا على الجريمة وسفك الدماء، ولم يكن لهم أي عهد بالرحمة والرأفة، ولا بأي صفة كريمة يمتاز بها الإنسان عن الحيوان السائم.

لقد سلّط الأمويّون هؤلاء الأرجاس على رقاب المسلمين، فأمعنوا في ظلمهم، وانتهاك حرماتهم، وسلب أموالهم، وقد أعرب النمري في قصيدة له ما عاناه قومه من الفقر والحرمان حتّى هربوا في البيداء تصحبهم إبل مهزولة، يقول مخاطباً عبدالملك:

أَخليفَةَ الرَّحمنِ إنّا مَعشَرٌ ... حُنَفاءُ نَسجُدُ بُكْرَةً وَأَصيلا
إنَّ السُّعاةَ عَصَوكَ يَوْمَ أَمَرتَهُمْ ... وأَتَوا دَواهِيَ لَوْ عَلِمْتَ وَغُولا
أَخَذوا العريفَ فَقَطَّعوا حَيزومَهُ ... بِالأَصْبَحيَّةِ قائِماً مَغْلُولا (١)
حَتّى إذا لَمْ يَترُكُوا لِعظامِهِ ... لَحْماً وَلَا لِفُؤادِهِ مَعْقولا (٢)
جاءوا بِصَكِّهِمُ وَأَحْدَبَ أَسْأَرَتْ ... مِنْهُ السِّياطُ يَراعَةً إجْفيلا (٣)
أَخَذوا حُمُولَتَهُ فَأَصْبَحَ قاعِداً ... لَا يَسْتَطيعُ عَنِ الدِّيار حَويلا

---

(١) **الحيزوم**: وسط الظهر.
الأصبحيّة: جمع أصبح: السياط، كما أنّ الحيزوم وسط الظهر.
(٢) **المعقول**: الإدراك.
(٣) **أسأرت**: أي بقيت في الإناء بقيّة. **الإجفيل**: الخائف.

يَـــدْعو أَمـيرَ الْـمُؤْمِنينَ ودونَـهُ ... خَـرْقٌ تَـجُرُّ بِـهِ الريـاحُ ذُيُولا (١)
كَـهَداهِـدٍ كَسَـرَ الرُّمـاةُ جَـناحَهُ ... تَـدعو بِـقارعَةِ الطَّـريقِ هَـدِيلا
أَخَـليفَةَ الرَّحـمنِ إِنَّ عَشـيرتي ... أَمْسَـى سَـوامُهُمْ عُـزِينَ فُـلُولا (٢)
قَـومٌ عَـلى الإِسلامِ لَـمّا يَـتْرُكـوا ... مـاعُونَهُم ويُـضَيِّعوا الـتَّهْلِيلا (٣)
قَـطَعوا اليَـمامةَ يَـطْرُدون كَـأَنَّهُمْ ... قَـومٌ أصـابوا ظَـالِمينَ قَـتِيلا
شَـهْرَي رَبِـيعٍ مـا تَـذُوقُ لَـبُونَهُمْ ... إِلَّا حُـمُوضاً وَخْـمَةً وَذَبِـيلا (٤)
وأَتـاهُمُ يَـحيى فَشَـدَّ عَـلَيْهِمُ ... عِـقْداً يَـراهُ الْـمُسلِمُونَ ثَـقِيلا (٥)
كُـتُباً تَـرَكْـنَ غَـنِيَّهُم ذا عَـيلَةٍ ... بَـعْدَ الغِـنَى وَفَـقيرَهُمْ مَـهْزُولا
فَتَرَكْتُ قَوْمِي لَا يَقْسِمُون أُمورَهُمْ ... إليكَ أَمْ يَـتَرَبَّصونَ قَـلِيلا (٦)

أرأيتم ما صوّره النمري بهذا الشعر من المظالم الفظيعة التي صبّها على قومه جباة الضرائب والولاة ، حتّى تركوهم بأقصى مكان من الذلّ والفقر والهوان .

واستمرّ هذا الظلم حتّى في دور عمر بن عبدالعزيز الذي هو أنبل ملوك الأمويّين ، فإنّ عمّاله لم يألوا جهداً في نهب أموال الرعيّة . يقول كعب الأشعري :

إِنْ كُنتَ تَحفَظُ ما يَليكَ فَإِنَّما ... عُـمّالُ أَرضِكَ بِـالبِلادِ ذِئـابُ

---

(١) **الخرق** : الصحراء الواسعة .
(٢) **عزين** : الجماعات .
(٣) **الماعون** : الزكاة .
(٤) **الحموض** : المرّ المالح من النبات .
(٥) **يحيى** : هو أحد الجباة الظالمين .
(٦) طبقات فحول الشعراء : ٤٣٩ . جمهرة أشعار العرب : ٣٤١ . حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : ١ : ٣٠٤ .

لَنْ يَستَجيبُوا لِلَّذي تَدعُو لَهُ حَتّىٰ تُجَلَّلَ بالسُّيوفِ رِقابُ
بِأَكُفِّ مُنْصَلِتِينَ أهلِ بَصائرٍ في وَقْعِهِنَّ مَزاجِرٌ وعِقابُ[(١)]

وكان عمر يخطب فقطع رجل عليه خطابه قائلاً:

إنَّ الَّذينَ بَعَثْتَ في أَقْطارِها نَبذُوا كِتابَكَ وَاسْتُحِلَّ الْمَحْرَمُ
طِلْسُ الثِّيابِ[(٢)] عَلىٰ مَنابِرِ أرْضِنا كُلٌّ يَجورُ وَكُلُّهُمْ يَتَظَلَّمُ
وَأرَدْتَ أنْ يَلِيَ الأَمانَةَ مِنْهُمُ عَدْلٌ وَهيهاتَ الأَمينُ المُسلِمُ[(٣)]

ومن المؤكّد أنّ الجباة لم ينهبوا أموال الناس إلّا بايعاز من ملوك الأمويّين، فهم كانوا يدفعونهم إلى النهب ويقاسمونهم إيّاه.

يقول فان فلوتن: «ويدل أن يتّخذ الخلفاء ـ أي خلفاء الأمويّين ـ التدابير لمحاسبة الولاة ومنعهم من الظلم، نجدهم يقاسمونهم في فوائدهم من الأموال التي جمعوها بتلك الطرق المفضوحة، وهذا معناه رضى الخلفاء بسوء تصرّف العمّال مع أهل البلاد، بالإضافة إلى أنّ الدليل على أنّ بعضهم كان يهمّه مصالح الخزينة المركزيّة بالدرجة الأولى»[(٤)].

إنّ ملوك الأمويّين هم الذين يدفعون ولاتهم إلى سلب أموال الناس، فقد فزع والي مصر إلى العاهل الأموي سليمان بن عبدالملك شاكياً ما يعانيه المصريّون من الاضطهاد والثقل من الضرائب التي فرضت عليهم قائلاً: «يا أمير المؤمنين، إنّي ما جئتك حتّى أُنهكت الرعيّة وجهدت، فإن رأيت أن ترفق بها وتخفّف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها، وصلاح معاشها، فافعل، فإنّه يستدرك ذلك في

---

(١) البيان والتبيين: ٣: ٣٥٨. حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٣٠٥.
(٢) **طلس الثياب**: هي الثياب الوسخة.
(٣) البيان والتبيين: ٣: ٣٥٩.
(٤) السيادة العربيّة: ٢٨.

العام المقبل ».

وهذا منطق حقّ وعدل، إلّا أنّ الطاغية لم يع ذلك، وردّ عليه قائلاً: « هبلتك أُمّك، احلب الدرّ، فإذا انقطع فاحلب الدم والنجا »(١).

أي استهتار في حقوق الإنسان وكرامته يماثل هذا الاستهتار، إنّه الحكم بالدمار الشامل على الشعب المصري وسلب جميع مقوّماته.

ولمّا شاع هذا الظلم الفاحش عند ملوك الأمويّين أخذ ولاتهم يتقرّبون لهم بذلك، فقد أراد صاحب الخراج على مصر أن يتقرّب إلى هشام بن عبدالملك، فكتب إليه أنّ أرض مصر تحتمل الزيادة، فأمره أن يزيد في كلّ دينار قيراطاً(٢).

وهكذا أخذت البلاد الإسلاميّة ترزح تحت كابوس مظلم من الفقر والجوع قد سلبت جميع مقوّماتها الاقتصاديّة، وصارت بأيدي اللصوص والخونة من ملوك الأمويّين وولاتهم.

ضرائب إضافيّة

وفرضت السلطات الأمويّة ضرائباً لم يألفها المسلمون ولم يقرّها الدين، كان منها:

١ ـ الرسوم على الصناعات والحرف(٣).

٢ ـ الرسوم على مَن أراد الزواج(٤).

٣ ـ الرسوم على مَن يكتب عريضة(٥).

---

(١) الوزراء والكتّاب / الجهشياري: ٥١ و ٥٢.

(٢) و (٣) تاريخ الحركات الفكريّة في الإسلام: ٤٢.

(٤) تاريخ الأمم والملوك: ٨: ١٢٩. الكامل في التاريخ: ٥: ٢٣.

(٥) الوزراء والكتّاب: ٢٤.

٤ ـ الرسوم على أُجور البيوت[١].

٥ ـ ضريبة النيروز، وأوّل من سنّها معاوية بن أبي سفيان، وقد بلغت في عهده عشرة ملايين درهم[٢].

٦ ـ الضريبة على مَن أسلم[٣]، والسبب في ذلك شلّ الحركة الإسلاميّة.

ولم تكن هذه الضرائب وغيرها محدودة، وإنّما كان أمرها بيد الولاة والجباة، فهم الذين يقدّرونها حسب رغباتهم وميولهم.

يقول بندلي جوزه: «إنّها ـ أي الضرائب الإضافيّة ـ كانت أشدّ وطأة من الخراج والجزية، لأنّها لم تكن محدودة، ولا مستندة إلى قاعدة مقبولة، بل كان مقدارها يتوقّف على رغبة العمّال»[٤].

وكان ممّا ذكره المؤرّخون أنّ صاحب اخنا سأل عمرو بن العاص أن يخبره بمقدار ما عليه من الجزية، فأجابه: «لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك إنّما أنتم خزانة لنا إن كثر علينا كثرنا عليكم وإن خفّف عنّا خفّفنا عنكم»[٥].

وليس من مفاهيم الظلم مثل هذا الظلم ولا أكثر وطأة وأشدّ نقمة منه، فالشعوب خزانة لهؤلاء الحاكمين أو بستان لهم على حدّ تعبير ابن العاص.

قال معاوية: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزاً لي»[٦].

إنّ هذه السياسة النكراء قد أثارت سخط زيد وأمثاله من الأحرار، فهبّوا إلى

---

(١) تاريخ التمدّن الإسلامي: ٢: ٢٢.

(٢) و (٣) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٣٠٠.

(٤) تاريخ الحركات الفكريّة في الإسلام: ٤٢.

(٥) تاريخ التمدّن الإسلامي: ٢: ٧٩ و ٨٠.

(٦) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ١: ٣٠١.

مناهضتها ومقاومتها.

مصادرة الأموال

ومن بين الوسائل التي اتّخذها الأمويّون لإشاعة الفقر مصادرة أموال الناس بغير حقّ، فقد كتب معاوية إلى زياد بن أبيه عامله على العراق أن يصطفي له الذهب والفضّة، فأوعز زياد إلى جلاوزته بذلك، وأن لا يقسموا بين المسلمين ذهباً ولا فضّة[١].

كما كتب معاوية إلى وردان عامله على مصر أن يزيد على كلّ امرئ من القبط، فردّ عليه: كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم[٢].

لقد اتّخذ الأمويّون مال الله تعالى دولاً، وعباده خولاً، ومن مظالمهم أنّ إخوة الحجّاج صادروا أملاك الأهالي ببلاد اليمن.

وقد أثارت هذه السياسة السوداء سخط الأحرار ونقمتهم، وكان في طليعتهم الشهيد الخالد زيد بن عليّ، فقد ثار على الأمويّين من أجل كرامة الناس وحقوقهم.

تخلّي الناس عن أملاكهم

ونظراً لفداحة الضرائب وثقلها، فقد عمد المزارعون إلى التخلّي عن أملاكهم، كما سجّل بعضهم أرضه باسم إحدى شخصيّات العرب أو باسم أحد رجال الدولة فراراً من الضرائب، وكانوا يدفعون عوض هذا التسجيل قسماً من الحاصلات الزراعيّة[٣].

وبقي هذا الحال مستمرّاً حتّى دور النبيل عمر بن عبدالعزيز، فألغى ذلك،

---

(١) تاريخ التمدّن الإسلامي: ٤: ٧٩.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ١: ٣٠٢.

(٣) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ١: ٣٠٣.

ولمّا انتهى دوره وولي الأمر يزيد بن عبدالملك عادت تلك الضرائب ، وكتب إلى عمّاله مذكّرة جاء فيها : « أمّا بعد ، فإنّ عمر كان مغروراً ، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده ، وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى ، أخصبوا أم أجدبوا ، أحبّوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا » .

ولمّا انتهى هذا المرسوم إلى العمّال أخذوا بخناق الناس وشدّدوا عليهم ، وأعادوا الضرائب إلى حالتها الأولى(١) .

إنّ الأمويّين بجميع أدوارهم مالوا عن العدل ، وحكموا الناس بالظلم والجور ، وهذا هو السبب في انحراف المسلمين عنهم وقيامهم بثورات مسلّحة ضدّهم .

لقد ثار زيد من أجل أن يقيم حكومة القرآن ، وينقذ الناس من ظلم الأمويّين ، واستبدادهم ، ويعيد للمسلمين كرامتهم .

الحياة العلميّة

وكان من أهمّ القيم والمبادئ التي تبنّاها الإسلام وجعلها شعاراً له ، نشر العلم وإشاعته بين المسلمين ، لأنّه لا يمكن بأي حال أن تنهض أُمّة وتحتلّ لها مركزاً كريماً تحت الشمس ما لم تتسلّح بالعلم وتتحلّى به ، فقد جعل الرسول ﷺ طلبه فريضة ـ لا واجباً ـ على كلّ مسلم ومسلمة ، وقال : « **اطْلُبوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ** » ، وقد نصب ﷺ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده لأنّه كان أعلم أُمّته ، وقال ﷺ : « **أنا مَدينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها** » .

وفي أيّام الحكم الأموي ساد الجهل في جميع الأوساط ، وكان ذلك متعمّداً من قبل الأمويّين لأنّ فيه دعماً لحكمهم المبنيّ على الظلم والجور والجهل ، فلو عرف المجتمع حقيقة الأمويّين لنبذوهم وناهضوهم ، وقد كان زيد أهمّ

---

(١) الإمامة والسياسة : ١ : ١٤١ . الفتوح : ٨ : ٢٣٨ .

عنصر مخيف لهم لأنّه يتمتّع بطاقات هائلة من العلم، فخافوا منه، وفرضوا عليه الرقابة الشديدة، وجهدوا على الحطّ من شأنه، كما سنعرض لذلك في البحوث الآتية.

وعلى أي حال، فلم يكن في العصر الأموي أي ظلّ للعلم، ولم تكن هناك مدرسة تعنى بنشر القيم الإسلاميّة سوى مدرستين وهما:

مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أمّا مدرسة أهل البيت فكان لها دور متميّز في الحفاظ على الفقه الإسلامي وتدوينه، خصوصاً في عهد الإمام الباقر عليه السلام، فقد احتفّ به الفقهاء وهم يسجّلون أحاديثه وما يفتي به، وما أسّسه من القواعد الأصوليّة كالاستصحاب والبراءة وغيرهما.

مضافاً إلى القواعد الفقهيّة كقاعدة الفراغ وقاعدة التجاوز التي يفتي فقهاء الإماميّة على ضوئها، وكان زيد من أبرز الفقهاء الذين يحضرون بحوث أخيه الإمام الباقر عليه السلام، وتخرّجوا من مدرسته، كما كان يلقي في بهو الجامع النبوي بعض المحاضرات في الفقه والحديث وعلم الكلام وغير ذلك من العلوم التي تلقّاها من أخيه باقر علم الأوّلين والآخرين.

إنّ مدرسة الإمام الباقر عليه السلام هي المدرسة الوحيدة التي تبنّت أحاديث أهل البيت عليهم السلام وفقههم، وقد ضمّت أساطين الفقهاء كمحمّد بن مسلم، وزرارة بن أعين، وهشام بن الحكم، وأمثالهم من الفقهاء، ومن الجدير بالذكر، أنّ الإمام الباقر أوصى ولده الإمام الصادق عليه السلام بتعهّد الفقهاء من تلامذته بعد وفاته حتّى يتفرّغوا للدراسة والاستفتاء، وقد ذكرنا دورهم الايجابي في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام بما دوّنوه من أحاديثهم في الأُصول الأربعمائة التي جمعت في الكتب الأربعة، التي يرجع إليها الفقهاء فيما يفتون به من الأحكام.

لقد قام الإمام الباقر عليه السلام بدور مشرق في نشر الفقه وبيان أحكام الدين في ذلك العصر الذي جهدت فيه الحكومة الأمويّة على إماتة الوعي الديني ، وإهمال الشؤون الدينيّة حتّى خفيت معظم أحكام الإسلام على المسلمين ، فقد خطب ابن عبّاس في آخر شهر رمضان على منبر البصرة ، فقال : « اخرجوا صدقة صومكم » ، ولم يعرف الناس ما هي تلك الصدقة ، فالتفت إلى الحاضرين من أهل المدينة ، وقال لهم : علّموا إخوانكم زكاة الفطرة ، فإنّهم لا يعلمونها [١] .

كما كان جمع كبير من أهل الشام لا يعرفون عدد الصلوات المفروضة فراحوا يسألون الصحابة عنها [٢] .

وعلى أي حال ، فقد كان الإمام محمّد الباقر رئيس مدرسة أهل البيت التي أخذت على عاتقها نشر أحكام الدين .

مدرسة التابعين

من مظاهر نشاط الحركة الفقهيّة في المدينة هي مدرسة التابعين ، أمّا أعضاؤها فقد نظم أسماءهم بعض الشعراء بقوله :

إذا قيلَ مَنْ في العِلْمِ سَبعَةُ أَبْحُرٍ ... رِوايَتُهُمْ لَيْسَتْ عَنِ العِلْمِ خارِجَة
فَقُلْ : هُمْ عُبَيْدُاللهِ عُروَةُ قاسِمٌ ... سَعيدٌ أَبو بَكْرٍ سُلَيْمانُ خارِجَة [٣]

وقال شاعر آخر :

أَلا كُلُّ مَنْ لا يَقْتَدي بِأَئِمَّةٍ ... فَقِسْمَتُهُ ضِيزى عَنِ العِلْمِ خارِجَة

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام : ٢ : ١٣ .

(٢) نظرة عامّة في تاريخ الفقه الإسلامي : ١١٠ .

(٣) الفقه الإسلامي تأسيسه .. أصالته .. مداركه : ٦٧ .

فَـخُذْهُمْ : عُـبَيْدُاللهِ ، عُـروَةُ ، قـاسِمٌ سَعيدٌ ، سُلَيْمانٌ ، أَبوبَكْرٍ ، خارِجَة[١]

ونتحدّث بإيجاز عن هؤلاء الأعلام الذين كان لهم الفضل في نشر القيم الإسلاميّة ، كما أنّ معظمهم قد تخرّجوا من مدرسة الإمام أبي جعفر عليه السلام ، وهم :

١ ـ سعيد بن المسيّب

ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، وتدرّج في طلب العلم حتّى صار من عيون العلماء ، وقد روى محمّد بن إسحاق عن مكحول ، قال : « طفت الأرض كلّها في طلب العلم فما لقيت أعلم منه »[٢].

وقال ابن المديني : « لا أعلم في التابعين أوسع علماً من سعيد بن المسيّب »[٣].

وأُثرت كلمات من أعلام عصره في فضله وسعة علمه ، وهو من تلاميذ الإمام زين العابدين عليه السلام .

وثاقته

اختلف المترجمون له بين مادح وقادح ، ومال السيّد الخوئي إلى التوقّف في أمره ، وذلك لعدم حجّيّة المادحين والقادحين له[٤].

وممّا قدح به ما رواه عمرو بن ميمون ، عن أبيه ، قال : « قدمت المدينة فسألت عن أعلم من فيها ، فدفعت ـ أي من قِبل السلطة ـ إلى سعيد بن المسيّب » ، ومن المؤكّد أنّ تبنّي السلطة له ممّا يقدح في وثاقته لو صحّت هذه الرواية[٥].

---

(١) البداية والنهاية : ٩ : ١٣٥ . الوافي بالوفيات : ١٠ : ١٤٩ . وفيات الأعيان : ١ : ٢٨٣ . تاريخ أبي الفداء : ١ : ٢٠٢ .

(٢) و (٣) تهذيب الأحكام : ٤ : ٨٧ .

(٤) معجم رجال الحديث : ٨ : ١٤٠ .

(٥) تهذيب التهذيب : ٤ : ٨٤ .

وفاته

توفّي بالمدينة سنة ٩٤هـ في خلافة الوليد، وكان عمره خمساً وسبعين سنة[١].

٢ـ عروة بن الزبير

من فقهاء المدينة السبعة، وكان أعلم الناس بحديث خالته عائشة بنت أبي بكر، وقد وعى جميع أخبارها وأحاديثها[٢].

وقد حضر مع أبيه الزبير في حرب الجمل ضدّ وصيّ رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه، وكان عمره ١٣ سنة[٣].

وكان صديقاً حميماً لعبدالملك بن مروان، قال فيه: «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى عروة بن الزبير»[٤].

وكفى بهذه الشهادة على وثاقته وعدالته، فقد صدرت من عبدالملك صاحب الأحداث والموبقات في الإسلام.

توفّي عروة سنة ٩١هـ[٥].

٣ـ عبيدالله بن عبدالله

الهذلي. قال العجلي: «كان أعمى، وكان أحد فقهاء المدينة، تابعي، ثقة، رجل صالح، جامع للعلم، كان معلّماً لعمر بن عبدالعزيز»[٦].

تغزّل في امرأة من هذيل قدمت مكّة فقال فيها:

---

(١) تهذيب التهذيب: ٤: ٨٤.

(٢) و (٣) تهذيب التهذيب: ٧: ١٨٢.

(٤) و (٥) شذرات الذهب: ٧: ١٨٣.

(٦) تهذيب التهذيب: ٧: ١٨٤.

أُحِبُّكِ حُبّاً لَوْ عَلِمتِ بِبَعضِهِ لَجُدتِ وَلَمْ يَصعَبْ عَلَيكِ شَديدُ
وَحَسبُكِ يا أُمَّ الصَّبِيِّ مُدَلَّهي شَهيدي أَبو بَكرٍ فَذاكَ شَهيدُ
وَيَعلَمُ وَجْدي القاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعُروَةُ ما أَلْقَىٰ بِكُمْ وَسَعيدُ
وَيَعلَمُ ما أَضفى سُلَيمانُ عِلْمَهُ وَخارِجَةٌ يُبدِي لَنا وَيُعيدُ
مَتىٰ تَسأَلي عَمّا أَقولُ فَتُخبَري فَلِلحُبِّ عِندي طارِقٌ وَتَليدُ

وبلغت هذه الأبيات سعيد بن المسيّب ، فقال : « والله لقد أمن أن تسألنا ، وعلم لو أنّها استشهدت بنا لم نشهد لها بالباطل »(١).

توفّي سنة ٩٩هـ(٢).

٤ ـ عبدالرحمن

ابن الحارث المخزومي . روى عن جماعة منهم الشهيد زيد والحسن البصري . قال النسائي : « ليس بالقويّ » ، ولكن ابن سعد قال : « إنّه ثقة » ، وقال أحمد : « متروك » ، وضعّفه عليّ بن المديني .

توفّي في حكم أبي جعفر المنصور(٣).

٥ ـ سليمان بن يسار

الهمداني . كان مكاتباً للسيّدة أُمّ سلمة . روى عنها وعن عائشة ، وكان من العلماء . توفّي سنة ١٠٧هـ وهو ابن ٧٣ سنة(٤).

---

(١) الأغاني : ٨: ١٦٠.

(٢) تهذيب التهذيب : ٧: ٢٤.

(٣) و (٤) تهذيب التهذيب : ٦: ١٥٥.

٦ـ خارجة بن زيد

النجّاري ، المدني . روى عن جماعة ، وروى عنه جماعة آخرون . قال ابن سعد : «كان ثقة ، كثير الحديث »[(١)].

٧ـ القاسم

ابن محمّد بن أبي بكر . روى عن أبيه ، وعن عمّته عائشة ، وروى عنه جماعة آخرون . قال البخاري : « قتل أبوه وبقي في حجر عائشة »[(٢)].

وقال أبو الزياد : « ما رأيت أحداً أعلم بالسنّة منه ، ولا أحدّ ذهناً »[(٣)].

تزوّج الإمام محمّد الباقر عليه‌السلام بابنته أمّ فروة ، فأولدت سيّد الدنيا وإمام المسلمين جعفر الصادق عليه‌السلام . عدّه الشيخ من أصحاب السجّاد عليه‌السلام ، ومن أصحاب الباقر[(٤)].

توفّي سنة ١٠٢هـ ، وكانت وفاته بعد عمر بن عبدالعزيز[(٥)].

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن الحياة العلميّة في عصر زيد ، وقد كانت متّسمة بالخمول والركود؛ لأنّ السلطة الأمويّة قد أمعنت في نشر الجهل بين الناس مخافة أن يسود الوعي ، وتنتفض الجماهير ضدّهم .

الفرق الدينيّة

من المؤكّد أنّ الفرق والمذاهب التي نشأت بين المسلمين كانت ناجمة عن

---

(١) تهذيب التهذيب : ٦ : ١٥٥ .

(٢) صحيح البخاري : ٢ : ١٩٥ . تاريخ مدينة دمشق : ٤٩ : ١٦٤ .

(٣) تذكرة الحفّاظ : ١ : ٩٧ .

(٤) معجم رجال الحديث : ١٥ : ٤٨ .

(٥) تهذيب التهذيب : ٨ : ٢٣٥ . تهذيب الكمال : ٢ : ١٩ .

الأحداث السياسيّة التي حدثت بعد وفاة النبيّ ﷺ والتي مزقّت وحدة المسلمين وتركتهم شيعاً وأحزاباً.

إنّ أهمّ ما كان يصبو إليه النبيّ ﷺ وحدة أُمّته وتماسكها، فوضع لها المنهاج الذي تسعد به في جميع مراحل حياتها الصاعدة، وهو التمسّك بكتاب الله تعالى وعترته، فردّوا عليه: «حسبنا كتاب الله»، ومعناه يكفينا الكتاب ويغنينا عن العترة، وهم لا يفهمون الكتاب ولا يتدبّرون آياته، وبعد وفاته رفعوا شعارهم «أبت قريش أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد»، وكان من نتائج هذا التمرّد اختلاف المسلمين وشيوع المذاهب بينهم والتي منها:

المعتزلة

أمّا المعتزلة فهي من أقدم الفرق الإسلاميّة، وقد لعبت دوراً خطيراً في تاريخ الحياة الفكريّة في العصر الذي نشأ فيه الشهيد زيد، وكان له دور متميّز مع قادة الاعتزال كما كان لأخيه الإمام محمّد الباقر عليه السلام، ونعرض بإيجاز إلى تأسيس الاعتزال، وبعض قيمه ومكوّناته:

تأسيس الاعتزال

تأسّس الاعتزال حينما بويع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فاعتزل جماعة بيعته، كان منهم سعد بن أبي وقّاص، وعبدالله بن عمر، وأُسامة بن زيد، ومحمّد بن مسلمة الأنصاري، فأُطلق عليهم اسم المعتزلة، كما اعتزلوا معركة الجمل وصفّين، ويرى زهدي جار الله أنّ الاعتزال تأسّس في بداية القرن الثاني الهجري في مدينة البصرة التي كانت مجمعاً للعلم والأدب في الدولة الإسلاميّة[١].

---

(١) المعتزلة: ١.

إنّ الاعتزال كمدرسة كلاميّة لها منهجها الخاصّ في علم الكلام ، ولها بحوثها الخاصّة في العقيدة الإسلاميّة ، فإنّها ظهرت في أواخر القرن الأوّل الهجري[١].

الاعتزال في خدمة السلطة

وبالرغم من سلامة بعض معتقدات المعتزلة الكلاميّة ، إلّا أنّ أقطابه كانوا في خدمة السلطة ، فقد ذهبوا إلى إمامة المفضول وتقديمها على إمامة الفاضل ، وذلك لمشروعيّة حكومة الأمويّين وغيرهم من الذين تسلّموا السلطة مع وجود من هو أفضل منهم وأكثر دراية في أنظمة الحكم والإدارة وغير ذلك من الصفات والنزعات الكريمة التي اتّصفوا بها .

وقد أقرّوا مشروعيّة الخلفاء الذين سبقوا الإمام أمير المؤمنين الذي هو أفضلهم في عبقريّاته ومواهبه وإيمانه وقربه من النبيّ ﷺ ، وهذا الرأي يجافي المنطق ويخالف شريعة الإسلام ، فقد قال الله تعالى في كتابه : ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[٢].

إنّ تقديم المفضول على الفاضل أو مساواته له هدم للقيم وتدمير لحكومة العقل ، وظلم للاُمّة ، واعتداء على كرامتها ، وقد واجه المسلمون الكثير من الأزمات بتقديم المفضول ومن لا دراية له على غيره من ذوي المواهب والكفاءات ، وفي العصر الأموي والعبّاسي تسلّم الفسقة ومن لا حريجة له في الدين قيادة الاُمّة ، فعاثوا في الأرض فساداً .

وعلى أي حال ، فقد نال علماء المعتزلة التأييد والدعم الكامل من الأمويّين والعبّاسيّين ، لأنّهم كانوا من أجهزتهم والمؤيّدين لهم ، فالمنصور الدوانيقي الذي كان

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ٧٠.

(٢) الزمر ٣٩ : ٩.

من أراذل الملوك في خسّة طبعه ومعاداته للعلم والعلماء كان يكبر عمرو بن عبيد الزعيم الروحي للمعتزلة ، كما إنّ أحمد بن أبي دؤاد الزعيم الآخر للمعتزلة قد حظي بالاحترام البالغ من ملوك العبّاسيّين ، فقد قال فيه المعتصم : « هذا والله الذي يتزيّن بمثله ، ويبتهج بقربه ، ويعدل الوفا من جنسه »[١].

ومرض أحمد فعاده المعتصم ، وكان لا يعود أحداً من إخوته ، وأجلاء أهله ، ولمّا قيل له في ذلك أجاب : « كيف لا أعود رجلاً ما وقعت عيني عليه قطّ إلّا ساق لي أجراً ، وأوجب لي شكراً ، وأفادني فائدة تنفعني في ديني ودنياي »[٢].

ومال المستشرق الايطالي نلينو ، والمستشرق وينسبوج إلى أنّ منشأ الاعتزال كان من أصل سياسي[٣] لا ديني .

على أي حال ، فإنّ الاعتزال قد حظي بدعم كامل وتكريم من حكّام الأمويّين والعبّاسيّين ، ولو كان الاعتزال بمعزل عن السياسة لما ظفر قادته بمثل ذلك التكريم والتبجيل .

إنّ زعماء المعتزلة كانوا القوّة المساندة للأمويّين والعبّاسيّين والمبرّرة لما صدر منهم من أعمال مجافية للإسلام .

الأُصول الاعتقاديّة

أمّا الأُصول الاعتقاديّة التي تدين بها المعتزلة فهي خمسة ، فمن زاد عليها فقد فارق الاعتزال[٤] ، وهي :

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه‌السلام : ٢ : ٧٢.

(٢) تاريخ بغداد : ٤ : ١٤٨ ـ ١٥٠.

(٣) دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة : ١٠٦.

(٤) الفصل : ٢ : ١١٣.

١ ـ التوحيد

أمّا توحيد الله تعالى ، فقد فسّره المعتزلة بأنّه تعالى منزّه عن مشابهة المخلوقين ، فهو ليس جسماً ولا عرضاً ولا جوهراً ولا يحويه زمان ولا مكان ، وردّوا كلّ من يعارض ذلك ، كما ذهبوا إلى أنّ صفات الله تعالى عين ذاته ، وأنكروا من يذهب إلى خلاف ذلك[١] .

وأوّلوا الآيات التي تدلّ بظاهرها على التجسيم ، مثل قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[٢] ، واستدلّوا على ما ذهبوا إليه بأوثق الأدلّة .

٢ ـ العدل

العدل الإلهي ، وقد فسّروه بأنّ الله تعالى ليس بظلّام للعبيد ، ولا جائر عليهم .

وقد تشعّبت بحوثهم عن عدل الله تعالى إلى جهات كلاميّة متعدّدة ، وهي :

١ ـ نفي القدر .

٢ ـ حريّة الإنسان وحريّة إرادته واختياره .

٣ ـ الإنسان هو الذي يوجد أفعاله بمقتضى حرّيّته ، وذلك نتيجة لعدالة الله تعالى ونزاهته عن الظلم ، فإنّ الله تعالى لا يعاقب إنساناً على فعل أجبره عليه .

٤ ـ الثواب والعقاب تابعان للعمل وليسا خاضعين لشيء آخر .

٥ ـ البحث عن الحسن والقبح العقليّين ، وذلك لارتباطهما بالعدالة ، فقد ذهبوا إلى أنّ الله تعالى لا يفعل ولا يأمر إلّا ما فيه الخير العامّ لعباده ، فهل أنّ الأعمال التي أمر الله بها حسنة لذاتها أو أنّها اكتسبت حسناً بأمر الشارع وتوجيهه ، أم أنّ حسن

---

(١) الملل والنحل : ١ : ٥٨ .

(٢) الفتح ٤٨ : ١٠ .

الأشياء ذاتي وليس مكتسباً ، وأنّ الشارع إنّما يأمر بشيءٍ لحسنه وينهى عن الشيء لقبحه . وقد مجّدوا العقل ، وفتحوا الطريق أمام تنميته ونضوجه[١] .

٣ـ الوعد والوعيد

هذا هو الأصل الثالث من أُصولهم العقائديّة ويراد به ما وعد الله تعالى عباده المتّقين من الفوز بالجنّة ، وما توعّد به الظالمين من الخلود في الجحيم ، ورتّبوا على ذلك إنكار الشفاعة لأي أحد يوم القيامة[٢] ، وتجاهلوا الآيات والأخبار الصحيحة التي دلّت على الشفاعة لأحبّ خلق الله تعالى وأقربهم إليه .

٤ـ المنزلة بين المنزلتين

المراد منها هو أنّ مرتكب الكبيرة من الذنوب لا مؤمن ولا كافر ، بل هو فاسق ، والفسق مرتبة ثالثة بين الإيمان والكفر ، وهو وسط بينهما ، وقد قرّر ذلك واصل بن عطاء ، بقوله : « إنّ الإيمان عبارة عن خصال خيرٍ إذا اجتمعت سمّي المرء مؤمناً ، وهو اسم مدح ، والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحقّ اسم المدح ، فلا يسمّى مؤمناً ، وليس هو بكافر لأنّ الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة لا وجه لإنكارها ، لكنّه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالد فيها »[٣] .

وتابع عمرو بن عبيد مقالة واصل كما أنّ الحسن البصري أقرّ ذلك بعد أن كان مصرّاً على أنّ مرتكب الكبيرة مؤمن فاسق[٤] .

---

(١) الفرق الإسلاميّة في العصر الأموي : ٣١٢.

(٢) المعتزلة : ٥١ و ٥٢.

(٣) الملل والنحل : ١ : ٥٩.

(٤) أمالي المرتضى : ١ : ١١٥.

٥ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذا هو الأصل الخامس من الأصول الاعتقاديّة عند المعتزلة ، فقد ذهبوا إلى أنّ الواجب على كلّ مسلم إقامة المعروف ، وتحطيم المنكر ، فإن استطاعوا بالسيف فهو ، ويسمّى جهاداً ، وإن لم يستطيعوا به فبما دونه ، ولا فرق عندهم بين مقاومة الكافرين والفاسقين(١) .

ولكنّهم لم يطبّقوا هذا المبدأ في أيّام الحكم الأموي الذي نشأ فيه المنكر مع مفاهيمه وصوره ، وإنّما كانوا مسالمين لهم ، وكذلك أيّام الحكم العبّاسي ، فلم يؤثر عن أحد منهم أنّه قاوم المنكر بسيفه أو بلسانه .

هذه هي الأصول العامّة عند المعتزلة ، ويتفرّع عليها فروع كثيرة ذات أهميّة بالغة ذكرت في كتبهم الكلاميّة .

الشيعة والمعتزلة

ذهب بعض المستشرقين إلى أنّ الشيعة اقتبست الكثير من بحوثها الكلاميّة من المعتزلة ، وإنّهما معاً يشتركان في قاسم واحد وهو وحدة العقيدة ووحدة الفكر ، أدلى بذلك كولد زيهر ، قال : « استقرّ الاعتزال في مؤلّفات الشيعة حتّى في يومنا هذا ، ولذا فإنّ من الخطأ الجسيم ، سواء من ناحية التاريخ الدّيني أو التاريخ الأدبي ، أن نزعم بأنّه لم يبق للاعتزال أثر محسوس بعد الفوز الحاسم الذي نالته العقائد الأشعريّة ، وعند الشيعة مؤلّفات اعتقاديّة كثيرة يرجعون إليها ، وينسجون على منوالها ، وهي حجّة قائمة تدحض هذا الزعم وتفنّده ، ويمكن أن تعتبر كتب العقائد الشيعيّة كلّها مؤلّفات المعتزلة »(٢) .

---

(١) المقالات : ١ : ٢٢٧ .

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام : ٢٢٣ .

وهذا الرأي ليس بسديد ، فإنّ للشيعة آراءهم الخاصّة وفي بعض العقائد تباين آراؤهم ما ذهبت إليه المعتزلة ـ كما سنذكر ذلك ـ.

ويرى آدم متز أنّ الشيعة ورثة المعتزلة في عقائدهم ، قال : « إنّ الشيعة في القرن الرابع الهجري لم يكن لهم مذهب كلامي خاصّ بهم ، فاقتبسوا من المعتزلة أُصول الكلام وأساليبه ، حتّى أنّ ابن بابويه القمّي أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري اتّبع في كتابه (علل الشرائع) طريقة المعتزلة الذين كانوا يبحثون عن علل كلّ شيء .. إنّ الشيعة من حيث العقيدة والمذهب هم ورثة المعتزلة »[١].

وهذا الرأي سطحي ليس له ما يدعمه من الأدلّة العلميّة ، إنّ الشيعة لها أصالتها واستقلالها وليست عيالاً على أيّة فرقة من الفرق الإسلاميّة ، فقد أمدّها أئمّة أهل البيت عليهم السلام بطاقات وأرصدة من البحوث الفقهيّة والكلاميّة ، وهم أوّل من فتق علم الكلام ، كما أنّهم الروّاد الأوائل في بحوث التوحيد ، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا (التوحيد في مدرسة أهل البيت).

وقد حفلت خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومناظراته بالكثير من المسائل الكلاميّة ، كما كانت أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام ثريّة في البحوث الكلاميّة ، فقد عرضت لصفات الخالق وتنزيهه عن صفات المخلوقين ، فكيف تكون الشيعة عيالاً على المعتزلة ؟

يقول الشيخ المفيد : « ليس تعرف الشيعة فقيهاً متكلّماً قد أخذ الكلام من المعتزلة »[٢].

يقول الدكتور عرفان عبدالحميد : « أمّا علماء الشيعة ، قديماً وحديثاً ، فقد أنكروا دعوى الاقتباس والتقليد ، وردّوا على القائلين به ، وذلك في نظرنا أمر طبيعي

---

(١) دراسات في الفِرق والعقائد الإسلاميّة : ١١٥.

(٢) المسائل الصاغانيّة : ٤١.

منطقي لا بدّ منه ممّن يعتنق مذهب الإماميّة القاضي بأنّ الهيكل العامّ للتعاليم الشيعيّة إنّما قام على ما روي من أحاديث وأخبار عن الإمام المعصوم. فمنطوق المذهب يقضي يطرد كلّ احتمال للتأثير الخارجي، لا بل وإنكاره باعتبار أنّ المذهب الشيعي وحدة فكريّة قائمة بذاتها مستمدّة من تعاليم الإمام »[١].

إنّ مذهب أهل البيت عليهم السلام قائم بنفسه ومستقلّ بذاته بجميع شرائحه وبنوده، فمنه اقتبس زعماء المذاهب الإسلاميّة ما يتعلّق في البحوث الكلاميّة وغيرها من المناهج العلميّة.

مسائل متّفق عليها

اتّفقت الشيعة مع المعتزلة في بعض المسائل الاعتقاديّة، كالعدل الإلهي. يقول الإمام كاشف الغطاء: « والذي يجمعها ـ أي المعتزلة ـ مع الشيعة قولهم: بأنّ من صفاته تعالى العدل الذي ينكره الأشاعرة، وعلى هذا تبتني مسألة الحسن والقبح العقليّين التي تقول بها الإماميّة والمعتزلة، وتنكرها الأشاعرة أيضاً، وبهذا الملاك يطلق على الفريقين ـ أي الشيعة والمعتزلة ـ اسم العدليّة »[٢].

كما أنّ من المسائل المتّفق عليها بين الشيعة والمعتزلة الوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّه واجب إسلامي عند الشيعة، وأصل من أصول الدين عند المعتزلة.

المسائل الخلافيّة

اختلفت الشيعة والمعتزلة اختلافاً جوهريّاً في كثير من المسائل الكلاميّة والتي منها:

---

(١) دراسات في الفِرق والعقائد الإسلاميّة: ١١٥.

(٢) جنّة المأوى: ٢٣٢.

١ ـ إمامة المفضول

ذهبت المعتزلة إلى جواز إمامة المفضول وتقديمه على الفاضل. يقول ابن أبي الحديد: « الحمد لله الذي قدّم المفضول على الفاضل »، وتنكر الشيعة ذلك أشدّ الانكار وتراه ضرباً من ضروب التأخّر والانحطاط الفكري، وأنّه يتصادم مع القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدّم.

٢ ـ الشفاعة

أنكرت المعتزلة الشفاعة لأي أحد من أولياء الله عزّ اسمه وأنّ الإنسان يجازى بأعماله إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً، ولا تنفعه شفاعة أي أحد مهما كانت منزلته عند الله تعالى، وأنكرت الشيعة ذلك، وذهبت بغير تردّد إلى أنّ أولياء الله تعالى لهم المكانة المرموقة والمنزلة الرفيعة عند الله تعالى، وفي طليعتهم أئمّة الهدى ومصابيح الإسلام، وأنّ الله تعالى يظهر فضلهم يوم يجمع عباده في حشرهم ونشرهم، ويبيّن للناس مدى أهمّيّتهم ومنزلتهم عنده، فهم يشفعون لمن ارتضى من عباده بالموالاة والمودّة لهم، وإذا لم تكن لهم الشفاعة فما هي الميزة لهم على غيرهم في ذلك اليوم؟

هذه بعض الفوارق بين الشيعة والمعتزلة حسبما ذكرناه في الجزء الثاني من كتابنا (حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام).

الإمام الباقر عليه السلام مع علماء الاعتزال

وانبرى الإمام الأعظم محمّد الباقر عليه السلام إلى إبطال شبه المعتزلة وتفنيد ما ذهبوا إليه في بعض المسائل، ومن المؤكّد أنّ أخاه زيداً عالم آل محمّد صلى الله عليه وآله قد شاركه في هذا الجهاد، وهذه بعض مناظرات الإمام الباقر عليه السلام مع قادة الاعتزال:

١ـ مع الحسن البصري

الحسن البصري من كبار قادة الاعتزال، وقد حظي بمقابلة الإمام عليه السلام، وانبرى قائلاً: جئت لأسألك عن أشياء من كتاب الله تعالى.

فرمقه الإمام بطرفه وقال له: **أَلَسْتَ فَقيهَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ؟**

- قد يقال ذلك.

- **هَلْ بِالْبَصْرَةِ أَحَدٌ تَأْخُذُ عَنْهُ؟**

- لا.

- **جَميعُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَأْخُذونَ عَنْكَ؟**

- نعم.

- **لَقَدْ تَقَلَّدْتَ عَظيماً مِنَ الْأَمْرِ، بَلَغَني عَنْكَ أَمْرٌ، فَما أَدْري أَكَذاكَ أَنْتَ أَمْ يُكْذَبُ عَلَيْكَ؟**

- ما هو؟

- **زَعَموا أَنَّكَ تَقولُ: إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْعِبادَ، فَفَوَّضَ إِلَيْهِمْ أُمورَهُمْ.**

وأطرق البصري برأسه إلى الأرض وبقي ساكتاً لا يدري ما يقول.

فبادره الإمام قائلاً: **أَرَأَيْتَ مَنْ قالَ لَهُ اللهُ في كِتابِهِ: إِنَّكَ آمِنٌ، هَلْ عَلَيْهِ خَوْفٌ بَعْدَ هٰذَا الْقَوْلِ مِنْهُ؟**

- لا.

- **إِنّي أَعْرِضُ عَلَيْكَ آيَةً، وَأُنْهي إِلَيْكَ خِطاباً، وَلا أَحْسَبُكَ إِلّا وَقَدْ فَسَّرْتَهُ عَلىٰ غَيْرِ وَجْهِهِ، فَإِنْ كُنْتَ فَعَلْتَ ذٰلِكَ فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ.**

- ما هو؟

- **أَرَأَيْتَ حَيْثُ يَقولُ اللهُ: ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتي بارَكْنا فيها قُرىً ظاهِرَةً**

وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾(١) **بلغني أنّك أفتيت الناس فقلت: هِيَ مَكَّةُ.**

- بلى.

وأخذ الإمام يدلي بتفسير الآية ويفنّد ما ذهب إليه البصري، وحار في الجواب، ثمّ نهاه الإمام عن التفويض وبيّن فساده(٢).

ومن مآخذ الإمام على الحسن البصري أنّ عثمان الأعمى عرض رأياً للبصري فأنكره وقال: فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلم إلّا هاهنا، وأومأ إلى صدره الشريف الذي هو خزانة علوم الأنبياء(٣).

٢ - مع عمرو بن عبيد

أمّا عمرو بن عبيد فهو شيخ المعتزلة وزعيمها الروحي الأعلى، وقد حظى بإكبار الدوانيقي الذي هو أظلم إرهابي من حكّام بني العبّاس، وقد مرّ على قبره فصلّى عليه ودعا له، وأنشد:

صَلَّى الإلٰهُ عَلَيكَ مِنْ مُتَوَسِّدٍ ... قَبْراً مَرَرْتُ بِهِ عَلىٰ مَرّانِ
قَبْراً تَضَمَّنَ مُؤْمِناً مُتَخَشِّعاً ... عَبَدَ الإلٰهَ وَدانَ بِالْقُرْآنِ
وَإِذا الرِّجالُ تَنازَعوا في شُبْهَةٍ ... فَصَلَ الحَديثَ بِحُجَّةٍ وَبَيانِ
وَلو أَنَّ هٰذَا الدَّهرَ أَبْقَىٰ صالِحاً ... أَبْقى لَنا عَمراً أَبا عُثْمانِ

يقول ابن خلّكان: «إنّه لم يسمع بخليفة يرثي من دونه سواه»(٤).

---

(١) سبأ ٣٤: ١٨.

(٢) الاحتجاج: ٢: ٦٢ و٦٣. حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ٨٢.

(٣) التفسير والمفسّرون: ٢: ٣٣.

(٤) وفيات الأعيان: ٣: ٤٦٢.

حكى هذا الشعر إكبار المنصور له ، لأنّه كان من أقوى الأجهزة التي اعتمد عليها الدوانيقي في دعم سلطانه وظلمه .

وعلى أي حال ، فقد التقى عمرو بالإمام أبي جعفر عليه‌السلام قاصداً امتحانه فقال له : جعلت فداك ، ما معنى قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا** ﴾[١] .

وفسّر الإمام له الآية قائلاً: **كانَتِ السَّماءُ رَتْقاً لَا تُنْزِلُ الْقَطْرَ ، وَكانَتِ الْأَرْضَ فَتْقاً لَا تُخْرِجُ النَّباتَ** .

وحار عمرو ولم يقل شيئاً ، وخرج من المجلس ، إلّا أنّه لم يلبث إلّا قليلاً حتّى عاد وقال للإمام عليه‌السلام : جعلت فداك ، أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ** ﴾[٢] ، ما معنى غضب الله ؟

فأجاب الإمام عليه‌السلام : **غَضَبُ اللهِ عِقابُهُ ، وَمَنْ قالَ : إِنَّ اللهَ يُغَيِّرُهُ شَيْءٌ فَقَدْ كَفَرَ**[٣] .

إنّ موقف الإمام محمّد الباقر عليه‌السلام مع بعض قادة المعتزلة كان هو النقد لما يذهبون إليه في بحوثهم الكلاميّة ، ولا شكّ أنّ أخاه زيداً الذي هو من مشاهير علماء آل البيت عليهم‌السلام قد شارك أخاه في التصدّي لعقائد المعتزلة بالنقد .

المرجئة

من المذاهب التي ظهرت على الصعيد الإسلامي في عصر زيد هي المرجئة ، وكانت سنداً لتبرير سياسة ملوك الأمويّين والعبّاسيّين التي لا تتّفق مع الإسلام .

والمرجئة هم الذين يرجئون أمر الذين اختلفوا وتنازعوا في الخلافة إلى يوم

---

(١) الأنبياء ٢١ : ٣٠.

(٢) طه ٢٠ : ٨١.

(٣) روضة الواعظين : ١ : ١٤٤. حياة الإمام محمّد الباقر عليه‌السلام : ٢ : ٨٣.

القيامة ولا يقضون بحكم على أحد منهم[١].

يقول المأمون: «الإرجاء دين الملوك»[٢].

إنّ أعلام المرجئة وقادتهم كانوا أداة بأيدي الملوك، سواء أكانوا من الأمويّين أم من العبّاسيّين، ويرى خدابخش: «أنّ أصل المرجئة يرجع إلى ما كان من ضرورة استنباط وسيلة للعيش في وفاق مع الحكم الأموي»[٣].

إنّ المرجئة كانت أجهزة الحكم في ذلك العصر، ولم تقم بأي دور في مكافحة الظلم، وإنّما كانت تطلب العيش الرغيد في ظلّ الحكم القائم.

عداوة المرجئة للشيعة

كانت المرجئة تبغض الشيعة بغضاً عارماً، لأنّها ترى الحكم الأموي غير شرعي، وكذلك الحكم العبّاسي، أمّا المرجئة فكانت تضفي الشرعيّة عليهما، وكان بينهما صراع حادّ وعنيف، فكانت الشيعة تغيظ المرجئة بالثناء على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتبجيله.

وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

إِذا الْـمُرجِـيُّ سَرَّكَ أَنْ تـراهُ ... يَموتُ بِدائِهِ مِـنْ قَـبْلِ مَـوْتِهِ
فَـجَدِّدْ عِـنْدَهُ ذِكـرى عَـلِيٍّ ... وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِ بَيْتِهِ[٤]

وقد نقمت الشيعة على المرجئة بتقديمهم الخلفاء على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الفرق الإسلاميّة في العصر الأموي: ٢٦٤.

(٢) تاريخ بغداد: ٥١. تاريخ مدينة دمشق: ٢٣: ٣٠١. البداية والنهاية: ١٠: ٣٠٣.

(٣) مقدّمة الحضارة الإسلاميّة /كريمر: ١٩.

(٤) البيان والتبيين: ٢: ١٤٩.

يقول منصور النمري شاعر الشيعة في هجائه لمحارب الذي هو من المرجئة :

يَـوَدُّ مُحاربٌ لَوْ قَدْ رآهـا　　وَأَبْـصَرَهُمْ حَـوالَـيها جِثِيّا
وَأَنَّ لِسـانَهُ مِـنْ نـابِ أَفْـعى　　وَما أَرْجـىٰ أَبـا حَسَـنٍ عَـلِيّا
وَأَنَّ عَجوزَهُ مُصِعَتْ بِكَلبٍ　　وَكـانَ دِمـاءُ سـاقَيها جَـرِيّا
مَتى تُرْجِئْ أَبا حَسَـنٍ عَـلِيّاً　　فَقَدْ أَرْجَيْتَ يا لُكَعٌ نَـبِيّا[1]

أرأيتم هذا الهجاء المرّ لمحارب الذي اعتنق مذهب المرجئة من دون وعي وإيمان.

ومن شعراء الشيعة الذين عابوا على المرجئة السيّد الحميري يقول :

خَـليلَيَّ لَا تُـرْجِيا[2] وَاعْـلَما　　بِـأَنَّ الهُـدىٰ غَـيرُ مـا تَـزْعَمانِ
وَأَنَّ عَـمَى الشَّكُّ بَـعدَ اليَـقينِ　　وَضَـعفَ البَـصيرةِ بَـعدَ العِيانِ
ضَـلالٌ فَـلا تَـلْجَجا فـيهِما　　فَـبِئْسَتْ لَـعَمرُكُـما الخِـصلَتانِ
أَيُـرجـىٰ عَـلِيٌّ إِمـامُ الهُـدىٰ　　وَعُـثمانُ مـا أَعـنَدَ المُـرْجِيانِ
وَيُـرْجىٰ ابـنُ حَـربٍ وَأَشْياعُهُ　　وَهُـوجُ الخَـوارِجِ بِـالنَّهرَوانِ
يَكُـونُ إِمـامُهُمُ فـي المَعـادِ　　خَبيثَ الهَوىٰ مُؤمِنَ الشَّيصَبانِ[3]

من مبادئ المرجئة

ودانت المرجئة بأنّ الإيمان هو التصديق بالقلب ولا عبرة بالإقرار بالكلام ولا بالعمل، فمن آمن بقلبه فهو مؤمن ولا يتوقّف ذلك على صلاته وصومه وحجّه،

---

(١) الأغاني : ٧ : ١٠ ـ ١١.

(٢) **لا تُرْجيا** : لا تذهبا مذهب المرجئة.

(٣) الأغاني : ٧ : ١٥. ديوان السيّد الحميري : ١٧٨. **الشَّيصبان** : رئيس من رؤساء الجنّ.

وغيرها من الطقوس الدينيّة ، وقد سالموا النصارى واليهود مراعاة لهم ومجاراة لعواطفهم[١] .

أبو حنيفة والارجاء

أعلنت بعض المصادر أنّ أبا حنيفة كان يعتنق الارجاء[٢] .

وقال محمّد بن عمرو : « سمعت أبا مسهر يقول : كان أبو حنيفة رأس المرجئة » .

وقال عمر بن سعيد : « سمعت جدّي يقول : قلت لأبي يوسف : أكان أبو حنيفة مرجئاً ؟

قال : نعم .

- أكان جهمياً ؟

- نعم .

- فأين أنت منه ؟

- إنّما كان أبو حنيفة مدرّساً ، فما كان من قوله حسناً قبلناه ، وما كان من قوله قبيحاً تركناه »[٣] .

وقد سبّبت هذه التهمة الكثير من الطعون عليه ، وشنّت عليه بعض الأوساط حملات لاذعة ، ولكن لم يتبيّن لنا بصورة مؤكّدة صحّتها .

الإمام الباقر عليه‌السلام مع عمر الماصر

ودان عمر بن قيس الماصر بالإرجاء ، وقد قصد مع صديق له الإمام الباقر عليه‌السلام ،

---

(١) الفرق الإسلاميّة في العصر الأموي : ٣٠٥ .

(٢) الملل والنحل : ١ : ٢٧٦ .

(٣) تاريخ بغداد : ١٣ : ٣٧٥ .

وانبرى قائلاً: إنّا لا نُخرج أهل دعوتنا وأهل ملّتنا من الإيمان في المعاصي والذنوب.

فردّ عليه الإمام: **يابْنَ قَيْسٍ، أَمّا رَسولُ اللهِ ﷺ فَقَدْ قالَ: لَا يَزْني الزّاني وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السّارِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَاذْهَبْ أَنْتَ وَأَصْحابُكَ حَيْثُ شِئْتَ»**[1].

إنّ ما ذهبت إليه المرجئة أنّ مرتكب الذنوب كالزنى والسرقة مؤمن منافٍ لما أُثر عن النبيّ ﷺ من أنّ اقتراف الزنى والسرقة يخرجان الشخص من اطار الإيمان الذي يصون النفس ويردعها عن ارتكاب الذنوب.

الخوارج

من الفرق التي ظهرت على مسرح الحياة السياسيّة في الإسلام هي فكرة الخوارج، فقد نشأت حينما تفلّلت قوى معاوية وهمّت بالفرار، فالتجأ إلى رفع المصاحف مطالباً بالرجوع إلى حكم القرآن، وهذه المكيدة قد تمّ الاتّفاق عليها بين ابن العاص والأشعث بن قيس وبعض قادة الفرق في جيش الإمام، وقد انخدعت زمرة من جيش الإمام الذين لا يملكون وعياً سياسيّاً، ولا رصيداً من الإيمان، فأحاطوا بالإمام طالبين منه الاستجابة لهذه الدعوة، فعرّفهم أنّها خديعة، وأنّ معاوية وابن العاص وسائر الزمرة الأمويّة لا يدينون بالكتاب، ولا يرجون لله تعالى وقاراً، فلم ينصاعوا لرأيه، وأجمعوا على خلعه وقتاله إن لم يستجب لهم، وشهروا السيوف بوجهه في حين أنّ طلائع جيشه بقيادة الزعيم الكبير مالك الأشتر قد أشرفت على الفتح، ولم يبق بينه وبين الانتصار على معاوية إلّا حلبة شاة، أو أقلّ من ذلك، حسبما يقول مالك الأشتر.

وكادت الفتنة تقع بين الإمام وجيشه، فاستجاب لإيقاف الحرب، ومنذ ذلك

---

(١) تفسير فاتحة الكتاب / الأميني: ١٦٤.

الوقت مني جيش الإمام بالتمرّد والانقلاب على الأعقاب، وكتبت وثيقة التحكيم حسبما يراه معاوية وابن العاص، فقد جرّدت الإمام من لقب أمير المؤمنين عليه السلام وبعد أحداث مرعبة جرى التحكيم الهزيل، ففاز معاوية واستبان لأولئك الوحوش الأنذال خديعة التحكيم، فطلبوا من الإمام أن يعلن التوبة، فلم يستجب لهم لأنّه لم يقترف ذنباً، وإنّما هم الذين اقترفوه، وأصرّوا على غيّهم ورفعوا شعارهم: «لا حكم إلّا لله».

ولم يكن الحكم لله وإنّما للسيف، وأخذوا ينشرون الفساد ويشيعون الخوف والارهاب، ويقتلون الأبرياء ممّا اضطرّ الإمام إلى قتالهم، وسفك دمائهم، وهم في ضلال مبين.

لقد اجتثّ الإمام أُصولهم في واقعة النهروان، إلّا أنّه فرّ منهم جماعة، فأخذوا ينشرون مبادئهم الفاسدة التي تدعو إلى العصيان المسلّح وحلّيّة إراقة دماء المسلمين.

وكان من آرائهم الحكم بتكفير مرتكب الذنوب الكبيرة وتخليده في النار، كما ذهبوا إلى أنّه لا حاجة إلى نصب إمام، وجواز أن يكون عبداً أو حرّاً، أو قبطيّاً أو غيرهم(١).

الإمام الباقر عليه السلام مع نافع

أمّا نافع الأزرق فكان من أعلام الخوارج، وقد وفد على الإمام الباقر عليه السلام وسأله عن بعض المسائل، فأجابه عنها، وبعدما انتهت مسائله قال له الإمام:

قُلْ لِهٰذِهِ الْمارِقَةِ: بِمَ اسْتَحْلَلْتُمْ فِراقَ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام وَقَدْ سَفَكْتُمْ دِماءَكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ في طاعَتِهِ، وَالْقُرْبَةِ إِلَى اللهِ في نُصْرَتِهِ؟

---

(١) الملل والنحل: ١: ١٥٨.

وَسَيقولونَ لَكَ: إِنَّهُ قَدْ حَكَّمَ في دينِ اللهِ.

فَقُلْ لَهُمْ: قَدْ حَكَّمَ اللهُ في شَريعَةِ نَبيِّهِ رَجُلَيْنِ مِنْ خَلْقِهِ، فَقالَ: ﴿فَابْعَثُوا حَكَماً مِن أَهْلِهِ وَحَكَماً مِن أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾(١)، وَحَكَّمَ رَسولُ اللهِ ﷺ سَعْدَ بْنَ مَعاذٍ في بَني قُرَيْظَةَ، فَحَكَمَ فيهِمْ بِما أَمْضاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أَوَما عَلِمْتُمْ أَنَّ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام إِنَّما أَمَرَ الْحَكَمَيْنِ أَنْ يَحْكُما بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَتَعَدَّياهُ، وَاشْتَرَطَ رَدَّ ما خالَفَ الْقُرْآنَ مِنْ أَحْكامِ الرِّجالِ، وَقالَ حينَ قالوا لَهُ: قَدْ حَكَّمْتَ عَلىٰ نَفْسِكَ مَنْ حَكَّمَ عَلَيْكَ.

فَقالَ: ما حَكَّمْتُ مَخْلوقاً، وَإِنَّما حَكَّمْتُ كِتابَ اللهِ، فَأَيْنَ تَجِدُ الْمارِقَةُ تَضْليلَ مَنْ أَمَرَ الْحَكَمَيْنِ بِالْقُرْآنِ، وَاشْتَرَطَ رَدَّ ما خالَفَهُ لَوْلا ارْتِكابُهُمْ في بِدْعَتِهِمُ الْبُهْتانَ.

وبهر نافع وراح يقول: هذا والله كلام ما مرّ بسمعي قطّ، ولا خطر ببالي، وهو الحقّ إن شاء الله»(٢).

وللإمام أبي جعفر وأخيه العالم زيد احتجاجات على الخوارج حكت غباءهم وفساد آرائهم، وأنّهم لا يملكون أي رصيد من الوعي العلمي، وأنّهم غارقون في الجهل.

---

(١) النساء ٤: ٣٥.

(٢) روضة الواعظين: ١: ٢٤٥.

الشيعة

وهي من أقدم الفرق الإسلاميّة ، وأكثرها وعياً وانفتاحاً ، وألصقها بسيرة الرسول ﷺ ، فقد نشأت في أيّام النبيّ ﷺ حسب الدراسات العلميّة البعيدة عن التيّارات الطائفيّة ، فقد وضع النبيّ ﷺ برامجها ، وأقام أُصولها ، وشيّد بناءها ، ويكفي للتدليل على ذلك أنّه قال لعليّ : « **يا عَلِيُّ ، أَنْتَ وَشيعَتُكَ تَرِدونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِواءً مَرْوِيِّينَ مُبْيَضَّةً وُجوهُكُمْ ، وَإِنَّ عَدُوَّكَ يَرِدونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ ظِماءً مُقْمَحينَ** »(١) .

وقال له : « **يا عَلِيُّ ، إِنَّكَ سَتَقْدِمُ عَلَى اللهِ وَشيعَتُكَ راضِينَ مَرْضِيِّينَ ، وَيَقْدِمُ عَلَيْكَ عَدُوَّكَ غِضاباً مُقْمَحينَ** »(٢) .

وقال له : « **أَنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ ، إِلّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدي** » ، ونصبه علماً لأُمّته ، وقائداً لمسيرتها ، وأخذ له البيعة بالخلافة من بعده في غدير خم ، ودعا له بقوله : « **اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ** » ، وأحاطه بهالة من الإكبار والتعظيم ، وأحاديثه بذلك متواترة ومشهورة لا مجال للاغضاء وطوي النظر عنها .

إنّ التشيّع للإمام ، والإقرار له بالخلافة والوصاية بعد النبيّ ﷺ جزء من رسالة الإسلام ، فمن أنكره فليس له رصيد من الفكر ، وليس في ذلك مدعاة للغلوّ أو التجنّي على غير الإمام من الصحابة ، لأنّ الأمر واضح كالشمس .

إنّ الإسلام بجميع قيمه ومكوّناته التشريعيّة لم يحط بها أحد من الصحابة سوى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي عاش في كنف النبيّ ﷺ ورعايته ، فغرس في نفسه قيم الإسلام وغذّاه بروح الإيمان ، فكان صورة مشرقة عنه ، فكيف لا يرشّحه إماماً

---

(١) مجمع الزوائد : ٩ : ١٣١ . كنوز الحقائق : ١٨٨ . الاستيعاب : ٢ : ٤٥٧ .

(٢) مجمع الزوائد : ٩ : ١٣١ .

لأمّته ومرجعاً لها في حلّ مشاكلها.

انظروا إلى ما أُثر عن الإمام عليه السلام في نهج بلاغته من الإحاطة بنظم الحكم والإدارة وقواعد السياسة، وأُصول التربية، وشؤون الاقتصاد والثقافة التي لا يعرفها أحد سواه، وها هو التاريخ بوثائقه شاهد صدق ودليل حكم على صحّة ما نقوله، فالصحابة من تولّى الخلافة وغيرهم كانوا كلّهم عيالاً على موائد الإمام القضائيّة والفقهيّة، وقد اشتهرت كلمة عمر وحفظها الناس: «لولا عليّ لهلك عمر»، وقال: «حتّى النساء أفقه منك يا عمر»، والله تعالى يقول: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

وإنّا لنتساءل: من هو عملاق هذه الأُمّة ورائد حضارتها العلميّة والفكريّة؟

مَن الذي بات على فراش النبيّ صلى الله عليه وآله حينما أحاطت به قريش لتصفيته؟

مَن هو بطل الإسلام في بدر وأُحُد والأحزاب؟

مَن هو الذي أذلّ اليهود وفتح حصونهم؟

مَن هو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله: «**أنا مَدينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها**»؟

مَن هو الذي قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله: «**عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ**»؟

إنّه الإمام أمير المؤمنين وصيّ النبيّ صلى الله عليه وآله وخليفته من بعده، والأب الروحي والزعيم الأعلى لشيعة أهل البيت عليهم السلام.

وهذه لمحات عن بعض قيم الشيعة ونماذج من أرصدتهم الفكريّة والحضاريّة:

الفكر السياسي الشيعي

إنّ الفكر السياسي الذي تبنّته الشيعة امتداد لقيم الإسلام وتجسيد لجوهره وعمقه وأصالته، وهذه شذرات منه:

١ ـ بسط العدل

من أوليّات المبادئ التي تؤمن بضرورتها الشيعة بسط العدل وإشاعته بين الناس ، وقد نشر الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام حينما تقلّد الحكم العدل السياسي والعدل الاجتماعي بين المسلمين ، وقد رأى الناس في عهد خلافته من صنوف العدل ما لم يشاهدوه في حكم غيره ، وقد حفل التاريخ الإسلامي بصور مشرقة من عدله الذي كان مثلاً أعلى لعظمة الإسلام .

٢ ـ مقاومة الظلم

والشيء البارز في تاريخ الشيعة مقاومتهم للظلم والجور والطغيان ، ومن أعلام الشيعة الذين ثاروا على الظلم هو الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري صاحب النبيّ ، وصديق المحرومين والمضطهدين ، فقد قاوم سياسة عثمان بن عفّان زعيم الأمويّين وشيخهم الذي تبنّى الأثرة والاستغلال ، وحمل الأمويّين وآل أبي معيط على رقاب المسلمين ، فأمعنوا في النهب والسلب ، وتركوا شبح الفقر جاثماً على رؤوس البؤساء والضعفاء ، وقد خضموا مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ـ كما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ـ فثار هذا البطل العظيم في وجه هذا الطغيان السافر .

وسلك هذا المنهج المشرق عيون الشيعة من أصحاب الإمام أمير المؤمنين كحجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، ورشيد الهجري ، وأمثالهم من المجاهدين الصالحين الذين أنكروا سياسة معاوية القائمة على الظلم والغدر والجور ، فصبّ عليهم الطاغية جام غضبه ، وصفّاهم جسديّاً ، إلّا أنّ سيرتهم بقيت نديّة تفوح بروح الإيمان والجهاد في سبيل الإسلام .

أمّا عدوّهم معاوية ، فقد صار جيفة نتنة تلاحقه اللعنة في جميع الأحقاب والآباد .

وفي عصر الطاغية الفاجر يزيد بن معاوية وحفيد أبي سفيان أعلن الكفر والإلحاد والفسق والفجور والاستهانة بقيم الإسلام ومكوّناته، فانبرى إليه أبو الأحرار بشموخ وصلابة مستهيناً بالقتل وهازئاً من الحياة قائلاً: **«لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعادَةً، وَالْحَياةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَماً»**[1]. فاستشهد في سبيل الإصلاح الاجتماعي، وإنقاذ الأُمّة من ويلات الأمويّين وكوارثهم، وقد فتح للمسلمين أبواب المجد والكفاح، فلم تمض إلّا حفنة من السنين حتّى ثار حفيده زيد بوجه الظلم والجور الأموي مقتدياً بجدّه سيّد الأحرار وزعيم التحرير في العالم العربي والإسلامي.

إنّ الثورة على الظلم قد تبنّتها الشيعة منذ فجر تاريخهم لإزالة الغبن الاجتماعي وإزالة ضروب الفساد والظلم من الأرض.

إنّ الشيعة من أعظم الفرق والمذاهب الاجتماعيّة انطلاقاً في ميادين الكفاح دفاعاً عن حقوق المظلومين والمضطهدين، وتحقيقاً للعدالة الاجتماعيّة بين الناس.

٣ـ المساواة

من القيم الكريمة التي تبنّاها الفكر السياسي عند الشيعة نشر المساواة بين الناس، أمّا ضروبها وأنواعها فهي:

١ ـ **المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات**، فلا يختصّ بها صنف دون صنف، ولا قوم دون آخرين.

٢ ـ **المساواة في الضرائب**، وهي عامّة في الإسلام لجميع المواطنين من دون أن يختصّ بها صنف من الناس دون صنف.

٣ ـ **المساواة أمام القانون**، من دون فرق بين الحاكم والمحكوم، وبهذا تتحقّق

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٦٨. مثير الأحزان / ابن نما: ٣٢. المعجم الكبير / الطبراني: ٣: ١١٤ ـ ١١٥. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٧ و ٢١٨.

العدالة التي ينشدها الإسلام.

٤ـ الحريّة

من مقوّمات الفكر السياسي عند أهل البيت عليهم السلام إشاعة الحريّة ونشرها بين الناس، وأنّ الدولة مسؤولة عن حماية الحريّة وصيانتها من التدخّل الخارجي والداخلي لحرمان المجتمع منها، أمّا مظاهر الحريّة فهي:

١ ـ حريّة الكلام

الناس أحرار فيما يقولون، وليس للسلطة وغيرها صدّهم ومنعهم فيما يتكلّمون به شريطة أن لا يمسّوا العقائد الدينيّة، كالتطاول على الله تعالى وعلى نبيّه وشريعته، فإنّ ذلك من الفساد الذي لا يسمح به.

٢ ـ حريّة النقد للسلطة

أمّا حرية النقد للسلطة فهي من الحقوق التي يجب حمايتها، وقد تعرّض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى النقد اللّاذع والسبّ من قِبل الخوارج، فقد قال ابن الكوّاء له وهو على المنبر: ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** ﴾[1].

فردّ عليه الإمام: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** ﴾[2].

وقال له ابن الكوّاء مرّة أُخرى: إنّي لا أُصلّي خلفك.

فأجابه الإمام: **ذاك إليك**، ولم يتّخذ ضدّه أي إجراء، كان يرى الناس أحراراً في نقدهم شريطة أن لا يحدثوا فساداً في الأرض فيقف ضدّهم حفظاً للأمن العامّ.

ولم يتّخذ الإمام أي موقف ضدّ الذين تخلّفوا عن بيعته كعبد الله بن عمر،

---

(١) الزمر ٣٩: ٦٥.

(٢) الروم ٣٠: ٦٠.

وسعد بن أبي وقّاص، وأُسامة بن زيد، وغيرهم من المنحرفين عن الحقّ.

٣ـ حريّة العمل

منح الإسلام حريّة العمل للمسلمين شريطة أن لا يكون العمل محرّماً، كصنع الخمور وآلات الطرب واللهو، وذلك لما يترتّب عليها من المفاسد الاجتماعيّة.

٤ـ حريّة السفر

أمّا حريّة السفر فهو حقّ لكلّ من استوطن في البلاد الإسلاميّة، وقد سمح الإمام أمير المؤمنين لطلحة والزبير بمغادرة المدينة مع علمه أنّهما يريدان الغدرة لا العمرة، وقد منع عمر بن الخطّاب الصحابة من السفر من المدينة مخافة أن يحدثوا فتنة بين المسلمين، إلّا أنّ الإمام لم يقرّ ذلك الاجراء في أيّام خلافته.

هذه بعض صور الحريّة في الفكر السياسي الشيعي.

٥ـ إلغاء التمايز العنصري

من بنود السياسة الإسلاميّة عند أهل البيت عليهم السلام إلغاء التمايز العنصري الذي يفرّق ولا يوحّد، ويشتّت ولا يجمع، وهو مجافٍ لتعاليم الإسلام التي لم تميّز عنصراً على عنصر.

يقول الرسول صلى الله عليه وآله: «**لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلىٰ أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لأَبْيَضٍ عَلىٰ أَسْوَدَ، كُلُّكُمْ لآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ**».

وقد تبنّى هذه الظاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، يقول: «**النّاسُ صِنْفانِ، إمّا أَخٌ لَكَ في الدِّيْنِ، أَوْ شَبيهٌ لَكَ في الْخَلْقِ**».

وقد طبّق الإمام عليه السلام ذلك حينما آل إليه الحكم فساوى في عطائه بين العرب والموالي، ولم يميّز العرب على العجم، ولمّا منيت حكومته بالانحلال نتيجة الأوضاع التي ألمّت بها جاء ابن عبّاس إلى الإمام مشيراً عليه أن يفضّل العرب على

العجم ، ويفضّل قريشاً على سائر العرب ، فقال عليه السلام : **يابْنَ عَبّاسٍ ، أَتُريدُ مِنّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ ، لَوْ كانَ الْمالُ لي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ بِالْعَطاءِ ، فَكَيْفَ وَالْمالُ مالُ اللهِ تَعالىٰ** .

وهذه هي السياسة الرشيدة التي تمثّل الواقع الإسلامي والتي دفعت الموالي إلى ولاء أهل البيت وتفانيهم في حبّهم بعد أن رأوا الحرمان والذلّ في عهد الحكّام السابقين على حكومة الإمام .

٦ ـ الاحتياط في أموال الدولة

من صميم سياسة أهل البيت عليهم السلام الاحتياط التامّ في أموال الدولة ، وإنفاقها على ما هو مقرّر في الاقتصاد الإسلامي من مكافحة الفقر وبسط الرخاء والإنفاق على المشاريع العامّة التي تتطوّر بها البلاد ، ولا يحقّ لرئيس الدولة وغيره من أجهزة الحكم أن ينفقوا أي شيء منها في غير الصالح العامّ ، فقد جاء عقيل شقيق الإمام أمير المؤمنين ، وقد أملق طالباً من الإمام أن يسعفه ويوفّر له العيش الرغيد ، فأبى من إجابته ، ولمّا ألحّ عليه في الطلب أحمى له حديدة وأدناها منه ، وكاد أن يحترق من شدّة حرارتها ، فقال له الإمام : **أَتَئِنُّ مِنْ حَديدَةٍ أَحْماها إِنْسانُها لِلَعِبِهِ ، أَتَئِنُّ مِنْ أَذىً وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظىٰ** .

وقصده عبدالله بن جعفر ابن أخيه وزوج ابنته سيّدة النساء زينب عليها السلام طالباً منه السعة في المال ، فقابله بعنف وشدّة ، ولم يمنحه أي شيء من مال المسلمين ، ولو أنّه بذل المال للوجوه والأعيان وشراء الضمائر لما آل الحكم إلى غيره .

بهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض المذاهب التي سادت في عصر زيد عليه السلام .

اللهو والمجون

واتّسم العصر الذي نشأ فيه زيد بانتشار اللهو وشيوع الفسق عند ملوك الأمويّين ، فقد تهالكوا على اللذّة والمجون ، وأنفقوا خزينة الدولة على شهواتهم ولياليهم

الحمراء ، وكان من مظاهر استهتارهم في اقتراف الإثم والمنكر ما يلي :

الخلاعة

وكان معظم ملوك الأمويّين قد تهالكوا على الشهوات والتحلّل من جميع الأعراف والقيم ، فهذا الوليد بن يزيد الخليع أوّل من حمل المغنّين من البلدان ، وجالس الملهّين ، وقد عكف على شرب الخمر ، وقال في وصفها :

وَصَفراءَ في الْكَأسِ كَالزَّعْفرانِ　　سَباها لَنا التَّجْرُ مِنْ عَسْقَلانِ
تُريكَ القَذاةَ وَعَرضَ الإناءِ　　وَسَترٌ لَها دونَ مَسِّ البَنانِ
لَها حَبَبٌ كُلَّما صُفِّقَتْ　　تَراها كَلَمعَةِ بَرقٍ يَماني (١)

وكان من مجونه أنّه أراد أن يبني فوق البيت الحرام قبّة يشرب فيها الخمور ويشرف منها على الطواف (٢) ، ولكنّ الله تعالى حال بينه وبين ذلك ، فقصم ظهره ، وأخذه أخذ عزيز ذي انتقام ، فقد هجم عليه يزيد بن الوليد مع جماعة من أهل بيته فقتلوه واحتزّوا رأسه ونصبوه بدمشق (٣).

ومن خلاعة هذا الماجن أنّ ابن عائشة المغنّي غنّاه بهذه الأبيات :

إِنّي رَأَيتُ صَبيحَةَ النَّحرِ　　حُوراً نَفَينَ عَزيمَةَ الصَّبْرِ
مِثلَ الكَواكِبِ في مَطالِعِها　　عِندَ العِشاءِ أَطَفنَ بِالبَدْرِ
وَخَرَجتُ أَبْغي الأَجْرَ مُحتَسِباً　　فَرَجَعتُ مَوْقوراً مِنَ الوِزْرِ

فطرب حتّى فقد صوابه ، وقال لابن عائشة : أحسنت والله يا أميري ، أعد بحقّ

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ٢١٤ و ٢١٥.
(٢) أمالي المرتضى : ١ : ٨٩.
(٣) تاريخ اليعقوبي : ٣ : ٧٣.

عبد شمس.

فأعادها عليه، ثمّ قاله: أحسنت والله أعدها بحقّ أميّة.

فأعادها عليه وهو ثمل ثمّ أقسم عليه بحقّ آبائه الذين مثله في الخلاعة والمجون فأعادها عليه، وانكبّ عليه يقبّل أطرافه عضواً عضواً حتّى انتهى إلى عورته، فامتنع ابن عائشة من ذلك، إلّا أنّه استطاع تقبيلها، ثمّ إنّه نزع ثيابه فألقاها عليه، فبقي مجرّداً بادي العورة، وأتوه بثياب فلبسها، ومنحه ألف دينار، وحمله على بغلته، وطلب منه أن يركبها على بساطه، وودّعه قائلاً: قد تركتني على أحرّ من جمر الغضا[١].

وهذا الخليع يحكي ملوك الأمويّين في خلاعتهم، وتجرّدهم من جميع القيم، وتماديهم في اللهو والفساد.

انتشار الغناء

وشاع الغناء في العصر الأموي، وقد عمد الأمويّون إلى جعل المدينة مركزاً للغناء؛ وذلك لإسقاط مكانتها في نفوس المسلمين.

يقول أبو الفرج الاصفهاني: «إنّ الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم»[٢].

وإنّ فقيه المدينة مالك بن أنس كانت له معرفة تامّة بالغناء، فقدروى حسين بن دحمان الأشقر، قال: «كنت بالمدينة فخلا لي الطريق وسط النهار، فجعلت أغنّي:

ما بالُ أَهلِكِ يا رَبابُ   خُزْراً كَأَنَّهُمُ غِضابُ

فإذا خوخة قد فتحت، وإذا وجه قد بدا له لحية حمراء، فقال: يا فاسق، أسأت

---

(١) مروج الذهب: ٣: ٢١٥.

(٢) الأغاني: ٣: ٢٧٦.

التأدية ، ومنعت القائلة ، وأذعت الفاحشة ، ثمّ اندفع يغنّي فظننت أنّ طوياً[١] قد نشر يغني ، فقلت له : أصلحك الله ، من أين لك هذا الغناء ؟

فقال : نشأت وأنا غلام حدث أتّبع المغنّين ، وآخذ عنهم ، فقالت لي أمّي : يا بنيّ ، إنّ المغنّي إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه ، فإنّه لا يضرّ معه قبح الوجه ، ، فتركت المغنّين ، واتّبعت الفقهاء .

فقلت له : أعد جعلت فداك .

فقال : لا ولا كرامة ، أتريد أن تقول : أخذته من مالك بن أنس ، وإذا به مالك ولم أعلم »[٢] .

ومن طريف ما ينقل أنّ دحمان المغنّي شهد عند القاضي لرجل من أهل المدينة على عراقي ، فأجازه القاضي ، فقال له العراقي : إنّه دحمان .

فقال القاضي : أعرفه ، ولو لم أعرفه لسألت عنه .

فقال العراقي : إنّه يغنّي ويعلّم الجواري الغناء .

فقال القاضي : غفر الله لنا ولك وأيّنا لا يغنّي[٣] .

وهكذا تحوّلت المدينة عاصمة الإسلام إلى مركز من مراكز الغناء والعبث واللهو ، وكان ذلك بدعم من الحكومة الأمويّة ، فقد شجّعت الغناء ووهبت الثراء العريض للمغنّين ، فقد وفد على يزيد بن عبدالملك كلّاً من معبد ومالك بن أبي السمح وابن عائشة ، فرحّب بهم ، وأمر لكلّ واحد منهم بألف دينار[٤] .

أمّا الوليد بن يزيد ، فقد ضاعف جوائز المغنّين ، فأعطى معبداً اثني عشر ألف

---

(١) مغنٍّ مشهور.

(٢) الأغاني : ٤ : ٢٢٢.

(٣) الأغاني : ٦ : ٢١.

(٤) الأغاني : ٥ : ١٠٩.

دينار، كما استقدم مغنّي الحجاز فأجازهم جوائز كثيرة[١].

وكان من ولع الأمويّين بالغناء ما رواه المؤرّخون أنّ الوليد بن يزيد لمّا ولي الخلافة استدعى المغنّي عطرد من المدينة، وكان جميل الوجه، حسن الغناء، طيّب الصوت، فغنّاه، فطرب، فشقّ الوليد حلّة وشي كانت عليه، ورمى بنفسه في بركة خمر، فما زال بها حتّى أُخرج كالميّت سكراً، فلمّا أفاق قال له: كأنّي بك قد أتيت المدينة فقمت في مجالسها ومحافلها، وقلت: دعاني أمير المؤمنين، فدخلت عليه فغنّيته، وأطربته، فشقّ ثيابه وفعل، والله لئن تحرّكت شفتاك بشيء ممّا جرى فبلغني لأضربن عنقك، ثمّ اعطاه ألف دينار، فأخذها وانصرف إلى المدينة[٢].

وكثير من هذا الاستهتار والفحش قد أُثر عن ملوك الأمويّين، وهي تحكي خلاعتهم وفجورهم ومجونهم، وأنّهم عصابة من المفسدين والضالّين.

وبهذا العرض ينتهي بنا الحديث عن عصر سيّدنا الشهيد زيد.

---

(١) الأغاني: ٥: ١٦١.

(٢) الأغاني: ٣: ٣٠٧.

ثَوْرَةُ زَيْدٍ أَسْبَابُهَا وَمُكَوِّنَاتُهَا

لم يفجّر زيد الشهيد الخالد ثورته الكبرى ضدّ الحكم الأموي أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ، وإنّما كان كجدّه أبي الأحرار الذي ثار من أجل إشاعة العدل والحقّ ، وإنقاذ الفقراء والبؤساء من غائلة الفقر والحرمان .

لقد ثار زيد ليقيم في هذا الشرق حكومة القرآن التي طواها الأمويّون ، ويقضي على غطرستهم ومكرهم وظلمهم وطغيانهم ، ويعيد للإنسان المسلم كرامته وحرّيّته وعزّته التي حوّلها الأمويّون إلى العبوديّة المطلقة لهم .

إنّ ثورة زيد كانت امتداداً لثورة جدّه أبي الشهداء التي أضاءت سماء الدنيا ، ونادت بفجر جديد لشعوب العالم ، وأمم الأرض أن لا حياة لهم مع الذلّ والعبوديّة لغير الله .

إنّ الخطّ الذي سلكه زيد هو الشهادة ، فإنّها عزّ وكرامة ، وأمّا الحياة مع الظالمين فإنّها برم وذلّ ، وهيهات منهم الذلّة ، وكان هذا هو نشيد جدّه أبي الأحرار في صعيد كربلاء .

لقد قاوم زيد البطل العلويّ المدّ الجاهلي ، وتحدّى رموزه احتقاراً واستهانة بهم ، ومضى إلى طريق الشهادة مرفوع الرأس ، هازئاً من الحياة ، ساخراً من الموت ، شأنه شأن جدّه سيّد الشهداء عليه السلام ، الذي ملأ الدنيا عزّاً وفخراً للإسلام وللمسلمين ، ونعرض بايجاز لبعض شؤون ثورته المباركة التي كان لها الأثر في الاطاحة بحكم بني أميّة .

دوافع الثورة

أمّا الأسباب التي دعت زيد إلى إعلان الثورة على الحكم الأموي ، فهذه بعضها :

١ ـ مروق الأمويّين من الدين

والشيء المؤكّد أنّ الأمويّين أعداء الإسلام وخصوم النبيّ ﷺ ، وكان إسلامهم ظاهريّاً لم ينفذ إلى أعماق قلوبهم ودخائل نفوسهم ، ألم يخاطب أبو سفيان بني أُميّة أمام عميدهم وشيخهم عثمان بن عفّان قائلاً : « تلقّفوها يا بني أُميّة تلقّف الكرة بأيدي الصبيان ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنّة ولا نار » .

وهذا هو منطق الكفر والإلحاد ، ولم يتّخذ معه عثمان أي إجراء ، ولم يعنّفه ، وإنّما أعرض عنه ، وقابله بالرضا ، وبعده معاوية أليس هو الذي أشار عليه المغيرة بن شعبة بصلة بني هاشم حينما آل إليه الحكم ، فردّ عليه بعنف قائلاً : « هيهات ، هيهات » ، ثمّ عرض إلى من تولّى الحكم بعد النبيّ ﷺ ، وأنّهم لم يبق لهم ذكر ، وأعقب كلامه قائلاً : « إنّ أخا هاشم ـ يعني النبيّ ﷺ ـ يصرخ به في كلّ يوم خمس مرّات : أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، فأي عمل يبقى بعد هذا لا أُمّ لك إلّا دفناً دفناً »(١) .

أليس هذا هو الكفر والمروق من الدين ؟ أليست هذه هي الجاهليّة التي كان يدين بها هذا الذئب الجاهلي ؟ ألم يقل ولده يزيد بعد قتله لسيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه‌السلام :

لَعِبَتْ هاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبَرٌ جاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلْ

ألم يقل الوليد بن يزيد :

---

(١) الأخبار الموفقيّات : ٥٧٧ . شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٥ : ١٣٠ .

أَيُّـها السّـائِلُ عَـنْ دِيـنِنا　　نَحْنُ عَلىٰ دِينِ أَبي شاكِرِ[١]
نَشْـرَبُها صِـرْفاً وَمَـمزوجَةً　　بِالسُّخْنِ أَحْـياناً وَبِـالفاتِرِ[٢]

أليس هو الذي فتح المصحف فخرجت الآية : ﴿ **وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُـلُّ جَـبَّارٍ عَنِيدٍ** ﴾[٣] ، فغضب ورمى المصحف بالسهام ، وأنشد :

تُـهَدِّدُني بِـجَبّارٍ عَـنيدٍ　　فَـها أَنـا ذاكَ جَـبّارٌ عَـنيدُ
إِذا ما جِئتَ رَبَّكَ يَومَ حَشْرٍ　　فَقُلْ يا رَبِّ مَزَّقَني الوَليدُ[٤]

وكان رسول الله ﷺ يسبّ في مجلس هشام بن عبدالملك ، وكان زيد حـاضراً فصاح به ، فنهره هشام وقال له : مهلاً يا زيد لا تؤذ جليسنا .

وسار ولاة الأمويّين على هذا الخطّ ، فكـان الحـجّاج يـخاطب الله تـعالى أمـام الجماهير قائلاً: أرسولك أفضل أم خليفتك ؟ يعني أنّ عبدالملك بن مروان أفضل من النبيّ ﷺ ، وكان ينقم على الذين يزورون قـبر النـبيّ ﷺ قـائلاً: تـبّاً لهـم إنّـما يطوفون بأعواد ورقة بالية ، هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبدالملك ، ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله[٥] .

وقال مثل هذه المقالة أمام هشام ، وكان هشام من المارقين عن الإسلام ، فـقد دخل عليه عبدالله بن صيفي فقال له : يا أمير المؤمنين ، أخليفتك في أهلك أحبّ إليك وآثر عندك أم رسولك ؟

فقال هشام : بل خليفتي في أهلي .

---

(١) أبو شاكر كنية هشام بن عبدالملك.

(٢) الكامل في التاريخ : ٥: ٢٦٥.

(٣) إبراهيم ١٤: ١٥.

(٤) الكامل في التاريخ : ٥: ٢٩٠.

(٥) العقد الفريد : ٥: ٥١. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١٥: ٢٤٢.

فقال الأثيم له : أنت خليفة الله في أرضه ، ومحمّد رسوله إليهم ، فأنت أكرمهم على الله منه ـ يعني من النبيّ ﷺ ـ ولم ينكر عليه هشام هذه الكفرة الصلعاء[١].

وهكذا كان الجهاز الحاكم من رئيس الدولة إلى الولاة سائرين على خطّ واحد وهو الكفر بالله تعالى ، ومعاداة رسول الله ﷺ ، وهذا من العوامل التي حفّزت زيداً لإعلان الثورة على الأمويّين.

إصلاح المسلمين من دوافع الثورة العظيمة لزيد ، فقد قال : « والله لوددت أنّ يدي ملصقة بالثريّا ثمّ أقع فأتقطّع قطعة قطعة ويصلح الله تعالى بذلك أمر أمّة محمّد ﷺ »[٢].

٢ ـ معاداة أهل البيت عليهم السلام

أمّا الخطّ السياسي للأمويّين ، فهو معاداة أهل البيت عليهم السلام ، والحطّ من شأنهم ، وقد استخدموا جميع الوسائل لذلك ، كان منها :

١ ـ سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

اتّخذ معاوية سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسيلة لدعم سلطانه ، وجعل ذلك سنّة من سنن الإسلام ، فإنّه حينما رجع إلى الشام بعد الصلح قام خطيباً بين أهل الشام ، فقال : أيّها الناس ، إنّ رسول الله قال لي : إنّك ستلي الخلافة من بعدي ، فاختر الأرض المقدّسة ـ يعني الشام ـ فإنّ فيها الأبدال ، وقد اخترتكم فالعنوا أبا تراب.

فأخذ الشاميّون وغيرهم يلعنون الإمام وينتقصونه[٣].

---

(١) الأخبار الطوال : ٣٤٦.

(٢) مقاتل الطالبيّين : ١٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٤ : ٧٢.

وكان هذا الوغد الجاهلي يقول في آخر خطابه : اللّهمّ إنّ أبا تراب ألحد في دينك ، وصدّ عن سبيلك ، فالعنه لعناً وبيلاً ، وعذّبه عذاباً أليماً » .

وكان يشاد بهذه الكلمات على المنابر(١) .

وكتب إلى جميع عمّاله وولاته بلعن الإمام وسبّه ، فانبرت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون الإمام ويبرأون منه(٢) .

وقد امتنع سعيد بن العاص من سبّ الإمام ، وكان والياً له على يثرب ، فعزله ، وولّى مكانه مروان بن الحكم ، فبالغ في سبّ الإمام(٣) .

أمّا المغيرة بن شعبة واليه على العراق ، فقد بالغ في السبّ حتّى لم يحص أحد كثرة سبّه(٤) .

---

(١) النصائح الكافية : ٧٢ ، نقله عن أبي عثمان الجاحظ في كتاب الردّ على الإماميّة .

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١١ : ٢١١ .

ومن الخير أن نذكر موقف أمير المؤمنين وولده الحسن عليهما السلام من سبّ معاوية ، فقد جاء في شرح نهج البلاغة : ١ : ٤٢٠ : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيّام صفّين ، فنهرهم ونهاهم وقال لهم : **إِنّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبّابِينَ ، وَلٰكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمالَهُمْ ، وَذَكَرْتُمْ حالَهُمْ ، كانَ أَصْوَبَ في الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ في الْعُذْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكانَ سَبِّكُمْ إِيّاهُمْ : اللّٰهُمَّ احْقِنْ دِماءَنا وَدِماءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذاتَ بَيْنِنا وَبَيْنِهِمْ ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلالَتِهِمْ ، حَتّىٰ يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ** .

وأمّا موقف الإمام الحسن عليه السلام من سبّ معاوية ، فقد جاءه رسول معاوية ، فلمّا رأى الرسول هيبة الإمام وعظمته قال له : أسأل الله أن يحفظك ويهلك هؤلاء القوم .

فنهره الإمام وقال له : **رِفْقاً لا تَخُنْ مَنِ ائْتَمَنَكَ ، وَحَسْبُكَ أَنْ تُحِبَّني لِحُبِّ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَلِأَبي وَأُمّي ، وَمِنَ الْخِيانَةِ أَنْ يَثِقَ بِكَ قَوْمٌ وَأَنْتَ عَدُوٌّ لَهُمْ ، وَتَدْعو عَلَيْهِمْ** . الملاحم والفتن : ١٤٣ .

(٣) تطهير الجنان واللسان : ١٤٢ .

(٤) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٣ : ٣٦١ .

ولمّا ولي زياد بن أبيه أخذ يحرّض الناس على لعن الإمام، ومن أبى عرضه على السيف[١].

وفي عهد عبدالملك بن مروان جعل في طليعة مهامّ دولته سبّ الإمام، وعمّم ذلك على جميع الحواضر الإسلاميّة، وكان الوغد الخبيث خالد القسري[٢] يجاهر في سبّ الإمام ويقول: اللّهمّ العن عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم صهر رسول الله ﷺ على ابنته، وأبا الحسن والحسين.

ويلتفت إلى الناس فيقول لهم: هل كنّيت ؟[٣].

وذكر الحافظ السيوطي أنّه كان في أيّام بني أُميّة أكثر من سبعين ألف منبر يُلعن عليها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وذلك بما سنّه لهم معاوية.

يقول العلّامة أحمد حفظي الشافعي في أرجوزته:

وقَد حَكَى الشَّيخُ السَّيوطي أنَّه ... قَـدْ كـانَ فـيما يَـجْعَلوهُ سُـنَّه

---

(١) مروج الذهب على هامش الكامل في التاريخ: ٦: ٩٩.

(٢) **خالد بن عبدالله القسري:**

كان أمير العراقين من قِبل هشام بن عبدالملك، وكانت أُمّه نصرانيّة، فبنى لها كنيسة تتعبّد بها، وفي ذلك يقول الفرزدق في هجائه:

أَلا قَبَّحَ الرَّحمنُ ظَهرَ مَطِيَّةٍ ... أَتَتْنا تُهادي مِنْ دِمَشْقٍ بِخالِدِ
وَكَيفَ يَؤُمُّ النّاسَ مَنْ كانَتِ امُّهُ ... تُـدينُ بِـأَنَّ اللهَ لَـيسَ بِـواحِـدِ
بَـنىٰ بَـيْعَةً فـيها الصَّـليبُ لأُمِّـهِ ... وَيَهدِمُ مِنْ بُغْضٍ مَنارَ الْمَساجِدِ

وعزله هشام عن العراقين، لأنّه قد أكره امرأة مسلمة على الزنا، ثمّ قتله في أيّام الوليد. وفيات الأعيان: ٥: ١٥٢ ـ ١٦٢.

وقريب منه ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ١٠: ٢٠.

والعجب من ابن حبّان حيث عدّ هذا المجرم الأثيم من الثقات، كما ذكر ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب: ٣: ١٠١ قاتل الله العصبيّة فإنّها تلبس الباطل لباس الحقّ.

(٣) النصائح الكافية: ٨٠.

سَـبعون ألفَ مِـنْبرٍ وَعَشَـرَة   مِـنْ فَـوقِهنَّ يَـلعَنونَ حَـيدَرَه
وهــذِهِ فــي جَـنْبِها العَـظائِمُ   تَـصغرُ بَـلْ تُـوجَّهُ اللَّـوائِـمُ(١)

ولمّا رأى سواد الناس الذين يخضعون للسلطة أنّ أقوى سبب للاتّصال بها سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وانتقاصه، أخذوا يتقرّبون إليها بـذلك، فـقد أقـبل وغـد خبيث إلى الحجّاج ليتقرّب إليه قائلاً: أيّها الأمير، إنّ أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإنّي فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج.

فضحك الحجّاج وقال له: للطف ما توصّلت به، فقد ولّيتك موضع كذا(٢).

وظلّ الأمويّون مصرّين على سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حامي الإسلام، وسيّد المسلمين إلى أن جاء دور الشريف عمر بن عبدالعزيز، فألغى ذلك، وقد شكره على ذلك بعد سنين العلويّ الشريف الرضي بقوله:

يــابنَ عَـبدِالعَـزيزِ لَـوْ بَكَتِ العَـ   يــنُ فَـتىً مِـنْ أُمَـيَّةٍ لَـبَكَيْتُكْ
غَـيرَ أَنّـي أَقـولُ إنَّكَ قَـدْ طِـبْـ   ـتَ وَإنْ لَمْ يَطِبْ وَلَـمْ يَـزْكُ بَـيْتُكْ
أَنتَ نَــزَّهْتَنا عَـنِ السَّبِّ والقَـذْ   فِ فَـلَو أَمْكَـنَ الجَـزاءُ جَـزَيْتُكْ
وَلَــو أَنّـي رَأَيتُ قَـبرَكَ لَاسْـتَحْـ   ـيَـيْتُ مِـنْ أَنْ أُرىٰ وَمـا حَـيَّيْتُكْ
وقَـــليلٌ لَــوْ أَنْ بَـزَلْتُ دِمـاءَ الـ   بدنِ صِرْفاً عَـلَى الذُّرىٰ وَسَـقَيْتُكْ
دَيْرَ سَمْعانَ فـيكَ مـأْوىٰ أَبـي حَـفْـ   ـصٍ فَـبِوُدّي لَـو أَنّـني آوَيْـتُكْ
دَيْــرَ سَـمْعانَ لا أَغَـبَّكَ غَـيثٌ   خَيرُ مَيْتٍ مِنْ آلِ مَـروانَ مَـيْتُكْ(٣)

وعلى أي حال، فقد امتلأت قلوب العلويّين أسىً وحزناً على ما اقترفه الأمويّون

---

(١) النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية: ٧٩. حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ٢: ٣٤٣.
(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٤: ٥٨.
(٣) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٤: ٦٠.

من الظلم والاعتداء على سيّدهم الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، وكان الشهيد البطل زيد يتحرّق شوقاً إلى الشهادة لمناهضة الحكم الأموي الذي ناهض الإسلام وحارب قيمه وأهدافه .

٢ ـ اضطهاد الشيعة

من العوامل التي دفعت الشهيد الخالد لإعلان الثورة على الحكم الأموي هو ما عانته الشيعة من الظلم والجور والاضطهاد ، فقد قوبلوا بمنتهى الشدّة والقسوة ، يقول بعض محبّي أهل البيت لمحمّد بن الحنفيّة : « فما زال بنا الشين في حبّكم حتّى ضربت الأعناق ، وأُبطلت الشهادات ، وشرّدنا في البلاد ، وأُوذينا ، حتّى هممت أن أذهب في الأرض قفراً ، فأعبد الله حتّى ألقاه ، لولا أن يخفى عليَّ أمر آل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله ، حتّى هممت أن أخرج مع أقوام ـ يعني الخوارج ـ شهادتنا وشهادتهم واحدة على أُمرائنا فيخرجون فيقاتلون »[١] .

لقد عانت الشيعة ضروباً قاسية من المحن في جميع أيّام الحكم الأموي ، وكان من أشدّهم بلاء وأعظمهم محنة شيعة أهل الكوفة ، فقد استعمل الطاغية معاوية عليهم واليه الارهابي الخبيث زياد بن أبيه ، فأشاع فيهم القتل والإعدام ، وقتلهم تحت كلّ حجر ومدر ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل عيونهم ، وصلبهم على جذوع النخل ، وشرّدهم وطردهم[٢] .

وقد رفع ابن هند مذكّرة إلى جميع عمّاله وولاته جاء فيها : « انظروا إلى مَن قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته ، فامحوه من الديوان ، وأسقطوا عطاءه ورزقه »[٣] .

---

(١) الطبقات الكبرى : ٥ : ٩٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٢ : ١٧ .

(٣) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه‌السلام : ٢ : ٣٥٦ .

ثمّ شفع ذلك بنسخة أُخرى جاء فيها: «ومن اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره».

لقد كانت بداية الظلم على محبّي أهل البيت عليهم السلام من أيّام الخبيث معاوية بن هند، فقد قتل بسر بن أبي أرطاة أحد قادة جيشه ثلاثين ألفاً من شيعة الإمام عدا من أحرقهم بالنار(١).

وقتل سمرة بن جندب ثمانية الآف من أهل البصرة(٢)؛ لأنّهم من شيعة الإمام، وقد بلغ الخوف أقصاه في نفوس الشيعة حتّى أصبح أنّ مودّة أهل البيت كفر وإلحاد.

يقول شاعر الإسلام الأكبر الكميت:

يُشيرونَ بِالأَيْدي إِلَيَّ وقَولُهُم ... أَلا خابَ هذا وَالمُشيرونَ أَخْيَبُ
فَطائِفَةٌ قَدْ كَفَّرتْني بِحُبِّكُمْ ... وَطائِفَةٌ قالوا مُسيءٌ وَمُذنِبُ
يَعيبونَني مِنْ خبِّهِم(٣) وَضَلالِهِمْ ... عَلىٰ حُبِّكُمْ بَل يَسخَرُونَ وَأَعْجَبُ
وقالوا تُرابِيٌّ هَواهُ وَرَأْيُهُ ... بِذلِكَ أُدْعىٰ فيهِمُ وَأُلَقَّبُ
وَمالِيَ إلّا آلَ أَحمَدَ شيعَةٌ ... وَما لِيَ إلّا مَذهَبُ الحَقِّ مَذهَبُ(٤)

وسار الأمويّون في جميع أدوارهم على نهج معاوية في ظلم الشيعة وإبادتهم، خصوصاً في أيّام الارهابي المجرم الحجّاج، فقد تتبّعهم وقتل الآلاف منهم، وليس لهم ذنب سوى الولاء لأهل البيت عليهم السلام، الأمر الذي ألهب عواطف زيد وبقيّة أبناء الأُسرة العلويّة، فثاروا في ميادين الجهاد لإنقاذ شيعتهم من الظلم والجور.

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١١: ٤٥.
(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٤٦٤.
(٣) **الخب**: الخداع.
(٤) الروضة المختارة: ٢٩. خزانة الأدب: ٤: ٢٩٠.

٣ـ الثأر للإمام الحسين عليه السلام

من الأهداف الرئيسيّة لثورة الشهيد الخالد زيد هو الثأر لدم جدّه أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، فإنّ الأسرة الأمويّة هي المطلوبة بدماء العترة الطاهرة ، فقد قرّت عيونهم ، وامتلأت نفوسهم فرحاً بإبادة آل النبيّ صلى الله عليه وآله ، وإنّ الشعار الذي رفعه الشهيد زيد في ساحة المعركة هو : « يا لثارات الحسين » .

من أجل الدم المطلول في صعيد كربلاء ، ثار زيد ليأخذ بثأر جدّه المظلوم من الشجرة الملعونة ، ويطهّر الأرض من هؤلاء الأرجاس الذين عاثوا في الأرض فساداً ، وتبنّوا كلّ ما حرّم الله تعالى من إثم .

يقول زيد : « إنّما خرجت على الذين قاتلوا جدّي الحسين »[١] .

لقد ثار السيّد الشريف الزكيّ من أجل أن يقيم المُثل العليا والقيم الكريمة التي استشهد من أجلها جدّه العظيم ، ويحقّق جميع ما كان يصبو إليه من إقامة العدل ، ونشر الحقّ بين الناس .

٤ـ الإباء وعزّة النفس

من الأهداف النبيلة التي ثار من أجلها الزكيّ الشهيد زيد ، هو الإباء وعزّة النفس ، فقد جهدت الحكومة الأمويّة بقيادة الطاغية هشام بن عبدالملك على إذلاله وقهره ، وخضوعه لسلطانه ، إلّا أنّه آثر الموت تحت أظلّة السيوف والرماح ، وأن يعيش عزيزاً كريماً شأنه شأن جدّه أبيّ الضيم الذي وقف يوم الطفّ كالجبل الأشمّ ، وألقى على الدنيا كلمته الخالدة قائلاً : « **أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ ، بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ ، وَهَيْهاتَ مِنّا الذِّلَّةُ .**

يَأْبَى اللهُ لَنا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنونَ ، وَحُجورٌ طابَتْ وَطَهُرَتْ ، ونُفُوسٌ أَبِيَّةٌ ،

---

(١) الفرق بين الفِرق : ٢٥ . الإرشاد : ٢٤٧ .

وَأُنوفٌ حَمِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤثِرَ طاعَةَ اللِئامِ عَلَىٰ مَصارِعِ الكِرَامِ...»(١).

وقد عنى العلويّ السيّد حيدر رحمه الله تعالى في تصوير منعة جدّه وسموّ إبائه في كثير من روائعه التي هي من مناجم الأدب، قال:

طَمِعَتْ أَنْ تَسومَهُ القَومُ ضَيْماً ... وَأَبى اللهُ والحُسامُ الصَّنيعُ
كَيفَ يَلوي عَلى الدَّنِيَّةِ جِيداً ... لِسوى اللهِ ما لَواهُ الخُضوعُ
وَلَدَيْهِ جَأْشٌ أَرَدُّ مِنَ الدِّرعِ ... لِظَمْأى القَنا وَهُنَّ شُروعُ
وَبِهِ يَرجِعُ الحِفاظُ لِصَدرٍ ... ضاقَتِ الأَرْضُ وَهيَ فيهِ تَضيعُ
فَأَبىٰ أَنْ يَعيشَ إلّا عَزيزاً ... أَوْ تَجَلّى الكِفاحُ وَهوَ صَريعُ

وقال رحمه الله:

وَسامَتهُ يَركَبُ إِحْدى اثْنَتَيْنِ ... وَقَدْ صَرَّتِ الحَربُ أَسْنانَها
فَإمّا يُرىٰ مُذعِناً أَوْ تَموتَ ... نَفسٌ أَبى العِزُّ إِذْعانَها
فَقالَ لَها اعْتَصِمي بِالإِباءِ ... فَنَفسُ الأَبِيِّ وَما زانَها
إِذا لَمْ تَجِدْ غَيرَ لِبْسِ الهَوانِ ... فَبِالمَوتِ تَنْزِعُ جُثْمانَها
رَأى القَتلَ صَبْراً شِعارَ الكِرامِ ... وَفَخْراً يُزينُ لَها شَانَها
فَشَمَّرَ لِلحَربِ في مَعْرَكٍ ... بِهِ عَرَكَ المَوتُ فُرْسانَها

لا أعرف وصفاً رائعاً لإباء الحسين عليه السلام مثل هذا الوصف في روعته وصدقه، وقد ورث هذه الظاهرة الكريمة ولده عليّ بن الحسين الذي هو أنبل شابّ خلقه الله تعالى فقد ارتجز في حومة الحرب بقوله:

أَنَا عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ بنِ عَلِي ... نَحْنُ وَرَبِّ البَيْتِ أَولَى بِالنَّبِي

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ٩. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٧. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٩. حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام: ١: ١٢٧.

وَاللهِ لَا يَحْكُمُ فِينا ابنُ الدَّعِي (١)

لقد أنف كأبيه حكم الدعي الذي أُقيم على الذلّ والعبوديّة ، وكانت هذه الظاهرة سمتاً وخُلقاً لحفيد الإمام الحسين عليه‌السلام الشهيد زيد ، فقد قال : « ما كره قوم حرّ السيوف إلّا ذلّوا » .

ومضى في طريق العزّ والكرامة حتّى استشهد ، وقد أعلن بعد سنين أحد الأشراف من أحفاد الإمام موسى بن جعفر عليه‌السلام وهو الشريف الرضيّ هذا الميراث عن آبائه بقوله :

وَلي إباءٌ مُحَلِّقٌ بي عَنِ الضَّيمِ كَما زاغَ طائِرٌ وَحْشِيُّ

إنّ الإباء عن الضيم عنصر ذاتي من عناصر أهل البيت عليهم‌السلام أُصولاً وفروعاً .

٥ ـ حقد هشام على العلويّين

من الأسباب المهمّة التي حفّزت زيداً على إعلان الثورة على الأمويّين هو ازدراء هشام بن عبدالملك بزيد واحتقاره له ، ومضايقته له ، وقبل أن نعرض لذلك نذكر ما اتّصف به هشام من الصفات النفسيّة ، وفيما يلي ذلك :

صفات هشام

ارتدى هشام بكلّ رذيلة وسيّئة ، والتي منها :

١ ـ البخل

من أبرز صفاته البخل ، ومن شحّه كان يقول : « ضع الدرهم على الدرهم يكون مالاً »(٢) .

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠٦ . تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٦٤٢ . ينابيع المودّة ٣ : ٧٨ .

(٢) البخلاء : ١٥٠ .

وقد جمع من المال ما لم يجمعه خليفة قبله[١]. فلم ينفق أموال المسلمين على مصالحهم وتطوير حياتهم، وإنّما كنزها في قصوره، وترك البؤس مخيّماً على الناس.

ومن بخله المفرط أنّه كانت له بستان فيها فاكهة، فجعل أصحابه يأكلون منها، فأوعز إلى غلامه بقلع الأشجار منها لئلّا يأكل منها أحد[٢].

٢ ـ القسوة

وكان الطاغية شديد القسوة لا يعرف الرأفة والرحمة[٣]، وقد قابل زيداً بكلّ شدّة ممّا اضطرّه إلى الثورة عليه.

٣ ـ طول اللسان

من صفاته أنّه كان طويل اللسان[٤]، ولا يتورّع في القذف والشتم مع خصومه، وقد قابل زيداً بألفاظ بذيئة، فردّ عليه زيد بمنطقه الفيّاض حتّى لم يستطع الكلام.

٤ ـ الحقد

وظاهرة أُخرى من صفاته الحقد على ذوي الأنساب الكريمة الذين يتمتّعون بسمعة طيّبة، ومكانة رفيعة في المجتمع، وقد حقد على زيد وذلك لما له من مكانة متميّزة في المجتمع.

هذه بعض صفاته النفسيّة، أمّا صفة جسمه، فقد كان أحولاً، وفيه يقول الشاعر:

يُقَلِّبُ رَأساً لَمْ يَكُنْ رَأسَ سَيِّدٍ　　　وَعَينٌ لَـهُ حَـولاءَ بـادٍ عُـيوبُها

---

(١) حياة الحيوان: ١: ٧١. أخبار الدول: ٢: ٢٠٠.

(٢) البخلاء: ١٥٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٣٩٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٣٩٣.

مع الإمام الباقر عليه السلام

كان الطاغية حاقداً على رموز أهل البيت عليهم السلام ، وقد تميّز غيظاً وغضباً حينما كانت توافيه الأنباء بتعظيم الناس وإكبارهم للإمام الباقر عليه السلام وأخيه زيد ، وقد حجّ في سنة بيت الله الحرام ، وكان الإمام جعفر الصادق عليه السلام في مجتمع حاشد من الحجّاج ، فيهم مسلمة بن عبدالملك ، فخطب الإمام الصادق عليه السلام على الحُجّاج ، وكان من خطابه قوله : **الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً ، وَأَكْرَمَنا بِهِ ، فَنَحْنُ صَفْوَةُ اللهِ عَلىٰ خَلْقِهِ ، وَخيرَتُهُ مِنْ عِبادِهِ ، فَالسَّعيدُ مَنْ تَبِعَنا ، وَالشَّقِيُّ مَنْ عادانا وَخالَفَنا .**

وبادر مسلمة إلى أخيه هشام فأخبره بخطاب الإمام ، فورم أنفه ، ولم يتعرّض للإمامين بسوء ، إلّا أنّه لمّا قفل راجعاً إلى الشام أوعز إلى عامله على المدينة بإشخاص الإمامين إليه ، وفعلاً فقد سافرا إلى دمشق ، ولمّا انتهيا إليه حجبهما عن مقابلته ثلاثة أيّام استهانة بهما .

وفي اليوم الرابع أذن لهما ، وكان مجلسه مكتظّاً بالشاميّين ، وسائر حاشيته ، وكان قد نصب غرضاً لرميه يرميه أشياخ الأمويّين ، فالتفت هشام إلى الإمام قائلاً له : يا مُحَمَّدُ ، ارْمِ مع أشياخ قومك .

فقال له الإمام : **اعْفِني عَنِ الرَّمْيِ ، فَإِنّي قَدْ كَبُرْتُ .**

فصاح هشام بالإمام : وحقّ من أعزّنا بدينه ونبيّه محمّد صلى الله عليه وآله لا أعفيك .

وقد ظنّ أنّ الإمام لا يجيد الرمي فيخطئ فيه ، فيتّخذ ذلك وسيلة للسخرية منه ، وأومأ إلى شيخ من بني اُميّة أن يناول الإمام قوساً وسهاماً ، فأخذها الإمام ورمى به الغرض ، فأصاب وسطه ، ثمّ تناول سهماً آخر فشقّ السهم الأوّل وثبت فيه ، وتابع الإمام الرمي حتّى شقّ أسهماً بعضها في جوف بعض ، ولم يتّفق مثل ذلك إلى أي رام في العالم ، فذهل الطاغية ، ولم يملك صوابه ورفع عقيرته قائلاً : يا أبا جعفر ، أنت أرمى العرب والعجم ، وزعمت أنّك قد كبرت ، ثمّ أدركه الندم على تقريضه للإمام ،

وكان الإمام واقفاً وقد بدا عليه الغضب ، وشعر بذلك الطاغية فقام إليه وعانقه وأجلسه إلى جانبه ، وقال له : يا محمّد ، لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيها مثلك ، لله درّك من علّمك هذا الرمي ؟ وفي كم تعلّمته ؟ أيرمي جعفر مثل رميك ؟

وانبرى الإمام قائلاً: **إنّا نَحْنُ نَتَوارَثُ الْكَمالَ** .

واحمرّ وجه الطاغية وراح يقول بأسىً : ألسنا بنو عبدمناف نسبنا ونسبكم واحد ؟

فردّ عليه الإمام قائلاً: **نَحْنُ كَذلِكَ ، وَلكِنَّ اللهَ اخْتَصَّنا في مَكْنونِ سِرِّهِ ، وَخالِصِ عِلْمِهِ بِما لَمْ يَخُصَّ بِهِ أَحَداً غَيْرَنا** .

وطفق هشام قائلاً: أليس الله بعث محمّداً من شجرة عبدمناف إلى الناس كافّة ، أبيضها وأسودها وأحمرها ، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم ورسول الله مبعوث إلى الناس كافّة ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[١] ، فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمّد نبيّ ، ولا أنتم أنبياء ؟

وردّ عليه الإمام ببالغ الحجّة قائلاً: **مِنْ قَوْلِهِ تَعالىٰ لِنَبِيِّهِ : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[٢] ، فَالَّذي لَمْ يُحَرِّكْ بِهِ لِسانَهُ لِغَيْرِنا أَمَرَهُ اللهُ تَعالىٰ أَنْ يَخُصَّنا بِهِ مِنْ دونِ غَيْرِنا ، فَلِذلِكَ كانَ يُناجي أَخاهُ عَلِيّاً مِنْ دونِ أَصْحابِهِ ، وَأَنْزَلَ اللهُ بِهِ قُرْآناً في قَوْلِهِ : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[٣] ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَها أُذُنَكَ يا عَلِيُّ** .

فَلِذلِكَ قالَ عَلِيٌّ : عَلَّمَني رَسولُ اللهِ ﷺ أَلْفَ بابٍ مِنَ الْعِلْمِ ، يُفْتَحُ (لي) مِنْ كُلِّ بابٍ أَلْفُ بابٍ ، خَصَّهُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكْنونِ سِرِّهِ ، كَما خَصَّ اللهُ نَبِيَّهُ ، وَعَلَّمَهُ ما لَمْ يَخُصَّ

---

(١) آل عمران ٣: ١٨٠.

(٢) القيامة ٧٥: ١٦.

(٣) الحاقّة ٦٩: ١٢.

بِهِ أَحَداً مِنْ قَوْمِهِ حَتّىٰ صارَ إِلَيْنا فَتَوارَثْناهُ مِنْ دونِ أَهْلِنا .

وغضب هشام وراح يقول : إنّ علياً كان يدري علم الغيب ؟ والله لم يُطلع على غيبه أحداً ، فمن أين ادّعى ذلك ؟

وأخذ الإمام يجيبه ويشرح له مكانة جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند الله تعالى قائلاً : إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ عَلىٰ نَبِيِّهِ كِتاباً بَيَّنَ فيهِ ما كانَ ، وَما يَكونُ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، في قَوْلِهِ تَعالىٰ : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾(١) .

وَفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾(٢) .

وَفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾(٣) .

وفي قَوْلِهِ تَعالى : ﴿ وَمَا مِن غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(٤) .

وَأَوْحَى اللهُ إِلىٰ نَبِيِّهِ أَنْ لا يُبْقي في غَيْبِهِ وَسِرِّهِ ، وَمَكْنونِ عِلْمِهِ شَيْئاً إِلَّا يُناجي بِهِ عَلِيّاً ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَلِّفَ(٥) الْقُرآنَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَيَتَوَلّىٰ غُسْلَهُ وَتَحْنيطَهُ مِنْ دونِ قَوْمِهِ ، وَقالَ لِأَصْحابِهِ : حَرامٌ عَلىٰ أَصْحابي وَقَوْمي أَنْ يَنْظُروا إِلىٰ عَوْرَتي غَيْرِ أَخي عَلِيٍّ فَإِنَّهُ مِنّي ، وَأَنا مِنْهُ ، لَهُ ما لي ، وَعَلَيْهِ ما عَلَيَّ ، وَهُوَ قاضي دَيْني ، وَمُنْجِزُ مَوْعِدي .

ثُمَّ قالَ لِأَصْحابِهِ : عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ يُقاتِلُ عَلىٰ تَأْويلِ الْقُرْآنِ كَما قاتَلْتُ عَلىٰ تَنْزيلِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ تَأْويلُ الْقُرْآنِ بِكَمالِهِ وَعامِّهِ إِلَّا عِنْدَ عَلِيٍّ ، وَلِذلِكَ قالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : أَقْضاكُمْ عَلِيٌّ ، أَيْ هُوَ قاضيكُمْ وَقالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ : لَوْلا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ ،

---

(١) النحل ١٦ : ٨٩.

(٢) يس ٣٦ : ١٢.

(٣) الأنعام ٦ : ٣٨.

(٤) النمل ٢٧ : ٧٥.

(٥) أي يفسّره.

يَشْهَدُ لَهُ عُمَرُ، وَيَجْحَدُهُ غَيْرُهُ.

وافحم هشام ولم يجد منفذاً يسلك فيه للردّ على الإمام، فقال له: سل حاجتك.

فطلب منه الإمام أن يسمح له بالرجوع إلى أهله.

فأجابه هشام وطلب منه مغادرة الشام فوراً(١).

وذلك لئلّا تتكهرب به العواطف ويظهر زيف هشام وتجرّده من مؤهّلات الخلافة وقيادة الأُمّة.

مع زيد عليه السلام

كان زيد من علماء العلويّين ومن سادات المسلمين، وكان يتمتّع بمواهب وعبقريّات، والتي منها الاطّلاع الواسع بأحكام الدين وشؤون الشريعة، وكان يحتلّ العواطف، ويسيطر على العقول، وذلك بما يملك من الفصاحة والبلاغة وحسن الأداء والبيان، وقد نقلت مباحث الأمويّين جميع ذلك إلى الطاغية هشام، فورم أنفه، وامتلأت نفسه غيظاً وغضباً، وخاف على ملكه وسلطانه، وراح يمعن في إذلاله واحتقاره، والحطّ من شأنه، ويتربّص به الدوائر للكيد به وتصفيته والقضاء عليه، ليستريح من أقوى منافس له على الملك الذي يتمتّع بالنفوذ في الأوساط الشعبيّة.

حديث الأوقاف

يرتبط حديث الأوقاف ارتباطاً وثيقاً بثورة زيد، وذلك لوقف السلطة في يثرب وفي دمشق موقفاً متّسماً بالكراهية والبغضاء لزيد، الأمر الذي حفّزه على الثورة ومناهضة الحكم الأموي.

أمّا الأوقاف فهي مجموعة من البساتين والأراضي العامرة بالزراعة قد وقف

---

(١) دلائل الإمامة: ١٠٤ ـ ١٠٦. حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ٢: ٦١ ـ ٦٤.

بعضها النبيّ ﷺ ، وبعضها وقفها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وبعضاً منها وقفتها سيّدة نساء العالمين عليها السلام ، وهي ذات أهميّة بالغة ، فقد قدّرت وارداتها بأربعمائة ألف دينار ، وقيل بأقلّ من ذلك ، أما موقوفات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فكانت تسع نفقات بني هاشم حسب ما قال الإمام عليه السلام .

فقد أوصى بثلث وارداتها لبني هاشم ، وثلث لبني سيّدة النساء فاطمة عليها السلام ، وبني عليّ ، وثلث منها في سبيل الله تعالى ، وجعل القيّم عليها السيّد الزكيّ الإمام الحسن عليه السلام ، ومن بعده الإمام الحسين عليه السلام ، ومن بعده من يراه صالحاً للقيام عليها (١) .

وقد وقع الخلاف في التولية عليها بين السادة الحسنيّين والسادة الحسينيّين ، واشتدّ النزاع بينهما ، فكان زيد نائباً عن السادة الحسينيّين ، وجعفر بن الحسن المثنّى وكيلاً عن آل الحسن ، وتقدّما يختصمان عند والي المدينة إبراهيم بن هشام (٢) ـ وقيل إنّه خالد بن عبدالملك (٣) ـ إلّا أنّهما لم يجدا حلّاً لخصومتهما ، فأرجعاها إلى دمشق ، ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة أمام هذا الحادث المؤسف بين الأسرتين الكريمتين لنقف على أبعاده ومثيره ، وهو كما يلي :

أوّلاً : إنّ هذه المسألة ليست من المسائل الفقهيّة المعقّدة حتّى لم يتمكّن الوالي من حلّها وارجاعها إلى دمشق ، فإنّها من الوضوح بمكان ، فإنّ وثيقة الوقف تعين القائم على رعاية الوقف وكيفيّة صرفه على مستحقّيه .

ثانياً : كيف جاز للسادة العلويّين أن يتحاكموا إلى السلطة الأمويّة التي تمثّل الظلم والجور والتي لا يجوز الترافع إليها في مذهب أهل البيت عليهم السلام .

---

(١) الكافي : ١ : ١٨٨ ، الحديث ١٣ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٧ : ١٦٤ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٣ : ٨٥ .

ثالثاً: كيف يترافعون في حسم نزاعهم إلى السلطة مع وجود إمام الفقهاء، وأستاذ العلماء، الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام؟! وهو المرجع في حسم هذا النزاع وغيره.

وأكبر الظنّ أنّ هذا النزاع والترافع إلى السلطة لم يكن عفوياً، وإنّما كان وليد مؤامرة دبّرها الأمويّون لإلقاء الفتنة بين العلويّين، والتعرّف على رموزهم الذين يملكون فصل الخطاب.

هذا، وإن كان هناك وجه لنزاع العلويّين بعضهم مع بعض، فهو راجع إلى الحكومة الأمويّة التي عمدت إلى إشاعة الفقر فيهم، وحرمانهم من حقوقهم الطبيعيّة، ومعاقبة من يمدّ إليهم يد المعونة.

مكائد السلطة لزيد عليه السلام

شاعت في الأوساط الشعبيّة مكانة زيد، وتحدّثت الأندية عن فضله وسموّ ذاته، فخافت السلطة من قيامه بثورة ضدّ الحكم القائم، فأخذت تدبّر ضدّه المؤامرات للنيل منه، والتقليل من أهمّيّته، وقد قامت بما يلي:

١ - إحداث العداوة بين زيد عليه السلام والحسنيّين

وكان ممّا اتّخذته السلطة في المدينة إحداث الفتنة بين الحسنيّين والحسينيّين، وذلك لإسقاط مكانتهما اجتماعيّاً، فقد عمد خالد بن عبدالملك الوالي على المدينة إلى الجمع بينهما حتّى يحدث بينهما النزاع والتشاتم والتنافر، فقد روى المؤرّخون أنّ زيداً التفت إلى ذلك، فقال لابن عمّه عبدالله: اعتق زيد ما يملك إن خاصمتك إلى خالد أبداً.

ثمّ التفت إلى خالد قائلاً له: جمعت ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله على أمر ما كان يجمعهما أبو بكر وعمر.

والتفت الوغد الخبيث إلى الحاضرين قائلاً: أما لهذا السفيه أحد؟

فانبرى إليه شخص من عبيد السلطة قائلاً: يابن أبي تراب، وابن الحسين، أما ترى للوالي عليك حقاً ولا طاعة؟

فردّ عليه زيد قائلاً: اسكت أيّها القحطاني، فإنّا لا نجيب مثلك.

فقال له: لِمَ ترغب عنّي، فوالله إنّي لخير منك، وأبي خير من أبيك، وأُمّي خير من أُمّك.

وسخر منه زيد وقال للحاضرين: يا معشر قريش، هذا الدين قد ذهب، فذهبت الأحساب، فوالله ليذهبنّ دين القوم، وما تذهب أحسابهم.

ولم ينبر أحد لنصرته سوى عبدالله بن واقد، فقال للقحطاني: كذبت، فوالله إنّه لخير منك نفساً وأباً ومحتداً، وأخذ بيده كفّاً من الحصباء فضرب به الأرض، وقال: والله ما لنا على مثل هذا من صبر، وساء ذلك إلى الوالي(١).

حكت هذه البادرة مدى ارتباط السلطة بما حدث بين السادة العلويّين من تنافر حول الوقف.

٢ ـ اتّهام زيد (ع) بأموال لخالد القسري

وقبل الدخول في بيان تهمة زيد بأموال لخالد القسري، نعرض إلى أنّ خالداً كان والياً على المدينة، فعزله عنها هشام وولّى مكانه يوسف بن عمر الثقفي، وكانت بينهما عداوة وبغضاء، فاتّهمه يوسف باختلاس أموال الدولة، وعذّبه عذاباً شديداً تشفّياً منه، وبإيعاز من السلطة اتّهم القسري أو قيل على لسانه أنّه أودع عند زيد ستّمائة ألف درهم(٢).

وقد ذكر المؤرّخون صوراً مختلفة لهذا الحادث كان منها ما رواه اليعقوبي،

---

(١) الكامل في التاريخ: ٥: ٨٤. تاريخ الأمم والملوك: ٨: ٢٦٢.

(٢) وفي رواية أُخرى أنّه اتّهم جماعة منهم زيد بأنّه أودع عندهم أموالاً.

ونحن نقتصر على روايته، فقد ذكر أنّ زيداً وفد على هشام، فقال له: إنّ خالد بن عبدالله القسري ذكر أنّ له عندك ستّمائة ألف درهم.

فقال له زيد: ما لخالد عندي شيء[١].

وقال هشام له: لا بدّ أن تشخص إلى يوسف بن عمر حتّى يجمع بينك وبين خالد.

فقال له زيد: لا توجّه بي إلى عبيد ثقيف فيتلاعب بي.

فلم يعن به هشام، وأجبره على الشخوص إلى يوسف.

فلمّا انتهى إليه زيد قال له: لِمَ أشخصتني؟

فقال له: إنّ خالداً يزعم أنّ له عندك ستّمائة ألف درهم، وأمر باحضاره، فلمّا مثل عنده وكان مكبّلاً بالحديد قال له يوسف: هذا زيد بن عليّ، قد أنكر أن يكون لك عنده مال.

فقال خالد: والله الذي لا إلـه إلّا هو ما لي عنده مال قليل ولا كثير، فما أردتم باحضاره إلّا ظلمه[٢].

حكت هذه الرواية افتعال وديعة المال عند زيد، وإنّ الغرض منه التنكيل به، والحطّ من شأنه بجرّه إلى الدوائر الرسميّة، وافتعال إيداع المال عنده الذي هو بريء منه، وأنّ سبب ذلك دفعه إلى الثورة لتصفيته والقضاء عليه.

إشخاصه عليه السلام إلى دمشق

أوعز الطاغية إلى عامله على المدينة بإشخاص فخر هاشم زيد إلى دمشق إذلالاً له ووقوفاً على نشاطاته الفكريّة والسياسيّة، وكان زيد عالماً بقصده، وكارهاً لمفارقة

---

(١) وفي رواية أنّ زيداً قال: كيف يودعني المال وهو يشتم آبائي على منبره.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٢٩٠.

مدينة جدّه ، فقال لمن حوله : والله ما من مدينة أحبّ إليّ من مدينة تضمّنت جسد جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما كنت أحبّ أن أفارقه وقتاً واحداً ، ولكنّه سلطان طاغية ، وجبّار عنيد ، ولا عون لي عليه ، ولا مانع منه لي إلّا الله ربّ العالمين.

وداعه عليه السلام لقبر جدّه صلى الله عليه وآله

وصلّى زيد إلى جانب قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان دموعاً ، وخاطب جدّه قائلاً: السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبيّ الله ، السلام عليك يا خيرة الأنبياء وأشرف الرسل ، السلام عليك يا حبيب الله.

هذا آخر عهدي بمدينتك ، وآخر عهدي بقبرك ومنبرك ، أخرجت يا أبة كارهاً ، وسرت في البلاد أسيراً يا رسول الله ، وإنّي سائلك الشفاعة إلى الله عزّ وجلّ ، وأن يؤيّدني بثقة اليقين وعزّ التقوى ، وأن يختم لي بشهادة تلحقني بآبائي الأكرمين ، وأهلي الطاهرين.

وانصرف فخر بني هاشم وهو مثقل بالهموم والأزمات ، فقد كان على علم بما يلقاه من الظلم من طاغية الأمويّين.

دعاؤه

وأخذ الإمام الممتحن يدعو الله تعالى أن يكفيه شرّ الطاغية ، وأن يلقاه بشجاعة قائلاً: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي مكره مجبور ، مضطرّ غير مختار ، ولا مالك لنفسي. اللّهمّ اكفني كيده ، وألبسني جبّة عزّ لكيلا أخشع لسلطانه ، ولا أرهب لجنوده.

اللّهمّ وابسط لساني عليه بإعزاز الحقّ ونصرته ،كي أقول قول الحقّ ، ولا تأخذني لومة لائم ، ولا إذلال الجبّارين.

اللّهمّ واجمع قلبي على هدايتك ، وأرني من إعزازك إيّاي ما يصغر به عندي ملكه ، وتذلّ لي نخوته.

اللّهمّ فاطرح الهيبة في قلبه ، وذلّل لي نفسه ، واحبس عنّي كيده[١].

ويلمس من هذا الدعاء عزّة الإمام زيد وسموّ نفسه ، واعتصامه بالله تعالى سائلاً منه أن لا يجعل للطاغية عليه سلطاناً.

وسار موكب زيد يطوي البيداء لا يلوي على شيء حتّى انتهى إلى دمشق.

مع الطاغية هشام

ومكث أبيّ الضيم أيّاماً في دمشق لم يأذن له أحول بني أُميّة إذلالاً واحتقاراً له ، ثمّ سمح له بعد أن أوصى حضّار مجلسه بمقابلته بالجفاء والاحتقار ، وأن لا يردّوا عليه السلام ، وأن لا يتركوا له مقعداً يجلس عليه ، ودخل سليل النبوّة كالأسد ، فسلّم على الطاغية فلم يردّ عليه السلام ، والتفت إلى الحاضرين فرأى ما دُبّر له من المكيدة ، فوجّه سلاماً خاصّاً إلى الطاغية قائلاً له : السلام عليك يا أحول ، فإنّك ترى نفسك أهلاً لهذا الاسم[٢].

إنّ الطاغية ليس أهلاً ليكون أميراً على المسلمين والمؤمنين ، وإنّما هو عبد نذل لا يستحقّ أي لون من ألوان التكريم ، وكان هذا الكلام عليه كالصاعقة ، فقد احتقره زيد أمام أوغاد أهل الشام.

فصاح به : ما يصنع أخوك البقرة ؟

فردّ عليه زيد بمنطقه الفيّاض قائلاً له : سمّاه رسول الله ﷺ الباقر ، وأنت تسمّيه البقرة ، لشدّ ما اختلفتما ، فيدخل الجنّة وتدخل النار.

ولذعه هذا المنطق الرائع ، وهالته هذه الشجاعة النادرة التي احتقرت ملكه وسلطانه. فقال وهو يتميّز من الغيظ : بلغني أنّك تذكر الخلافة وتتمنّاها ، ولست أهلاً

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٩٢ و ٣٩٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٩ : ٤٩١. تاريخ الكوفة : ٣٨١.

لها لأنك ابن أمة .

فاحتقره زيد ، واستهان به وردّه ببالغ الحجّة قائلاً : إنّ الأُمّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، لقد كانت أمّ إسماعيل أمة لأمّ إسحاق ، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله تعالى نبيّاً وجعله أباً للعرب ، وأخرج من صلبه خير الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله[(١)] .

وفقد أحول بني أُميّة صوابه ، ولم يطق الردّ على زيد سوى أن أمر جلاوزته بضربه ثمانين سوطاً[(٢)] .

وخرج فخر بني هاشم ، وقد عزم على الثورة قائلاً للطاغية : أخرج ، ولا أكون إلّا بحيث تكره[(٣)] .

وأدلى بما صمّم عليه قائلاً : ما كره قوم حرّ السيوف إلّا ذلّوا .

وتميّز الطاغية غضباً ، وراح يقول : ألستم زعمتم أنّ أهل هذا البيت ـ يعني البيت العلوي ـ قد بادوا ، فلعمري ما انقرض من مثل هذا ـ يعني زيداً ـ خلفهم[(٤)] .

دعاء زيد عليه السلام

والتجأ زيد إلى الله تعالى وتضرّع إليه أن ينزل عقابه الصارم بالطاغية الأثيم قائلاً :

اللّهمّ وقد شملنا زيغ الفتن ، واستولت علينا غشوة الحيرة ، وقارعنا الذلّ والصغار ، وحكم علينا غير المأمونين على دينك ، فابتزّ أموال من نقض حكمك ، وسعى في تلف عبادك ، وعاد فيئنا دولة ، وإمامتنا غلبة ، وعهدنا ميراثاً بين الفسقة ، واشتريت الملاهي بسهم اليتيم والأرملة ، ورتع في مال الله تعالى من لا يرعى له

---

(١) تاريخ الكوفة : ٣٨١. أعيان الشيعة : ٧: ١١٥.

(٢) تذكرة الخواص : ٣٣٣. تاريخ الكوفة : ٣٨٢.

(٣) أعيان الشيعة : ٧: ١١٦.

(٤) عمدة الطالب : ٢٥٦. سرّ السلسلة العلويّة : ٥٨. تاريخ الكوفة : ٣٨٢.

حرمة ، وحكم في أبشار المؤمنين أهل الذمّة ، وتولّى القيام فاسق كلّ محلّة ، فلا ذائد يذودهم عن هلكة ، ولا رادع يردعهم عن إرادتهم المظلمة ، ولا راع ينظر إليهم بعين الرحمة ، ولا ذو شفقة يشفي ذات الكبد الحرّاء من مسغبة ، فهم هؤلاء صرعى ضيعة ، وأسرى مسكنة ، وحلفاء كآبة وذلّة .

اللّهمّ وقد استحصد زرع الباطل ، وبلغ نهايته ، واستغلظ عموده ، وخرف وليده ، واستجمع طريده ، وضرب بجرانه . اللّهمّ فاتح له من الحقّ يداً حاصدة ، تصرع قائمه ، وتهشّم سوقه ، وتحتّ سنامه ، وتخدع مرغمه .

اللّهمّ ولا تدع له دعامة إلّا قصمتها ، ولا جنّة إلّا هتكتها ، ولا كلمة مجتمعة إلّا فرقّتها ، ولا سريّة تعلو إلّا خفقتها ، ولا قائمة علم إلّا خفضتها ، ولا فائدة إلّا أبدتها .

اللّهمّ وكوّر شمسه ، وحطّ نوره ، وادمغ بالحقّ رأسه ، وفضّ جيوشه ، وأذعر قلوب أهله .

اللّهمّ لا تدعنّ منه بقيّة إلّا أفنيت ، ولا نبوّة(١) إلّا سوّيت ، ولا حلقة إلّا أكللت(٢) ، ولا حدّاً إلّا أفللت ولا كراعاً(٣) إلّا اجتحت ، ولاحامل علم إلّا نكست .

اللّهمّ وأرنا أنصاره عباديد(٤) بعد الألفة ، وشتّى بعد اجتماع الكلمة ، ومقنعي الرؤوس بعد الظهور على الأمّة .

اللّهمّ واسفر عن نهار العدل ، وأرناه سرمداً لا ليل فيه ، وأهطل علينا ناشئته ، وأدله ممّن ناواه(٥) .

---

(١) **النبوة** : الرفعة .

(٢) **أكللت** : أي أضعفت .

(٣) **الكراع** : معدّات الحرب من السلاح وغيره .

(٤) **عباديد** : الفرق .

(٥) **أدله ممّن ناواه** : أي اجعل له عليه دولة وغلبة .

اللّهمّ وأحيي به القلوب الميّتة ، واجمع به الأهواء المختلفة ، وأقسم به الحدود المعطّلة والأحكام المهملة ، وأشبع به الخماص[١] الساغبة[٢] ، وأرح به الأبدان اللاغبة من ذرّيّة محمّد ﷺ وأشياعهم وأنصارهم ومحبّيهم ، وعجّل فرجهم ، وانتياشهم[٣] بقدرتك ورحمتك آمين ربّ العالمين[٤] .

حكى هذا الدعاء ما ألمّ بهذا السيّد العظيم من المحن والأزمات وما يعانيه المسلمون من الظلم الذي صبّه عليهم الطاغية حتّى تركهم أشباحاً مبهمة قد صادر أقواتهم ، وأنفقها على الملاهي والخلاعة والمجون .

كما دعا عليه الإمام أن يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر فيجعل نصره جفاء ، ويسقيه الذلّ ، وينزل به أقسى العقوبات .

---

(١) **الخماص** : الجياع .

(٢) **الساغبة** : العاطشة والجائعة .

(٣) **الانتياش** : الرجوع والقوّة .

(٤) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٣٩٣ ـ ٣٩٥ .

إِعْلَانُ الثَّوْرَةِ

خرج سليل النبوّة من مجلس الطاغية علج بني أُميّة ، ونفسه الشريفة مترعة بالألم العميق ممّا جرى عليه من الاعتداء والتوهين بشخصيّته ، وقد صمّم بعزم وشموخ على الثورة ومناهضة الحكم الأموي في سبيل عزّته وكرامته ،كيف يلوي على الدنيّة جيداً ، وجدّه أبو الأحرار ، وسيّد الأُباة الذي رفع منار الكرامة ، وعلم شعوب العالم ، وأُمم الأرض طريق الشرف ومقاومة الظلم ، وأن لا حياة في ذلّ العبوديّة والقهر .

لقد عزم بطل الإسلام على مناهضة الحكم الجائر والإطاحة بعرش الطاغية مهما كلّفه الأمر ، وأخذ في تخطيط الثورة ، ووضع برامجها ، والتي كان منها :

السفر إلى الكوفة

اختار بطل الإسلام المجاهد زيد الكوفة مركزاً ومقرّاً لإعلان الثورة ، ومقاومة الحكم الأموي ، وإنّما اختارها دون غيرها من مناطق العالم الإسلامي لما يلي :

١ ـ إنّ الكوفة كانت موطناً لشيعة أهل البيت عليهم السلام ، ومنها انطلقت الدعوة لهم .

٢ ـ كانت الكوفة تحقد على الأمويّين وتكنّ لهم العداء والبغضاء ، لأنّهم سلّطوا عليها ولاة من أشرار الخلق أمثال المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه ، فصبّوا عليهم وابلاً من العذاب الأليم ، ولا تختصّ كراهية المواطنين للأمويّين بالشيعة ، وإنّما كانت عامّة لمعظم من كان فيها من الشيعة والخوارج وغيرهم .

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ مدينتهم كانت عاصمة الإسلام في زمان الإمام أمير

المؤمنين ، وفي العهد الأموي أصبحت كبقيّة البلدان ، وكان الأمويّون يحقدون عليها لأنّها من مراكز المعارضة لهم .

البيعة لزيد عليه‌السلام

وعمّت الفرحة الكبرى معظم الأوساط الشعبيّة في الكوفة بتشريف الإمام لمصرهم ، وازدحمت عليه الجماهير مرحبة به ، وفادية له بأرواحها ، لينقذها من عنف الأمويّين وجورهم ، ويعيد في ديارهم نعمة الإمام أمير المؤمنين رائد العدالة الكبرى في الأرض ، وانثالوا عليه بحرارة ولهفة طالبين البيعة له ، إلّا أنّه لم يطمئنّ إليهم ، فقد حذّره جماعة من المخلصين له من غدرهم ونكثهم ، فقفل راجعاً إلى المدينة ، وخفّوا مسرعين خلفه حتّى أدركوه في القادسيّة أو الثعلبيّة ، وأخذوا يتوسّلون ويتضرّعون إليه أن يرجع إلى بلادهم لينقذهم من جور الأمويّين وظلمهم ، وقالوا له : نحن أربعون ألفاً نضرب بأسيافنا دونك ، وأعطوه العهود والمواثيق أن لا يخذلوه .

فقال لهم : إنّي أخاف أن تفعلوا معي كفعلكم مع أبي وجدّي ، فأقسموا له بالأيمان المغلّظة أن يكونوا معه لا يخلعون يد الطاعة ، وأن يجاهدوا بين يديه ، فاستجاب لهم[١] ، وبايعه الكوفيّون ، وهذه صيغة البيعة :

« الدعوة إلى كتاب الله تعالى ، وسنّة نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وقسمة الفيء بين المسلمين بالسويّة ، وردّ المظالم ، ونصرة أهل البيت على من نصب لهم العداوة وجهل حقّهم » .

وكانت هذه بنود البيعة ، فإذا استجابوا لها وضع يده على من بايعه ، ثمّ يقول له : عليك عهد الله وميثاقه وذمّته وذمّة رسوله لتفين ببيعتي ، ولتقاتلنّ عدوّي ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٨ : ٢٩٤ .

ولتنصحنّ لي في السرّ والعلانيّة ، فإذا قال : نعم ، مسح يده على يده ويقول للحاضرين : اشهدوا عليه[١] .

أمّا صيغة البيعة ، فإنّها حافلة بجميع القيم التي تضمن للأُمّة سلامتها واستقلالها وكرامتها ، وهذه نظرة في بنودها :

١ ـ العمل بالكتاب والسنّة

وهما يضمنان سلامة الأُمّة واستقلالها وكرامتها .

٢ ـ جهاد الظالمين

وهم أعداء الإسلام الذين يمعنون في ظلم الناس وقهرهم وإذلالهم .

٣ ـ الدفاع عن المستضعفين

أمّا المستضعفون كالموالي ، فقد أذلّهم الأمويّون ، وسلبوهم حقوقهم ، وقد أشرنا في بحوث هذا الكتاب إلى ما عانوه من الظلم والاضطهاد .

٤ ـ قسمة الفيء بالسويّة

وقد استأثرت السلطة الأمويّة بالفيء ، فلم تقسّمه بين المسلمين بالسويّة وإنّما منحته لأذنابها وعملائها .

٥ ـ ردّ المظالم

من بنود البيعة ردّ المظالم لأهلها ، فقد استباح الأمويّون أموال الناس وحقوقهم ، وغصبوا ضياعهم وممتلكاتهم .

٦ ـ نصرة أهل البيت عليهم‌السلام

الذين ظلمتهم السلطة واستباحت دماءهم ، وأنزلت بهم أقسى العقوبات لأنّهم

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٨ : ٢٩٤ .

دعاة العدل والحقّ في الأرض .

هذه بعض البنود التي حفلت بها بيعة زيد ، وهي تحقّق للأمّة جميع ما تصبو إليه من العزّة والكرامة .

مشفقون وناصحون

وأشفق على زيد كوكبة من المحبّين له ، وحذّروه من غدر أهل الكوفة ، ونقضهم البيعة ، كان منهم :

١ ـ عبدالله المحض

وأشفق عبدالله المحض على زيد لأنّه بقيّة أهله ، فقد خاف عليه من غدر الكوفيّين ، ونقضهم لبيعته ، وقد كتب إليه بعد البسملة :

« أمّا بعد يابن عمّ ، إنّ أهل الكوفة نفخ العلانية ، خور السريرة ، هرج في الرخاء ، جزع في اللقاء ، تقدمهم ألسنتهم ، ولا تشايعهم قلوبهم ، لا يبيتون بعد في الأحداث ، ولا ينوءون بدولة مرجوّة ، ولقد تواترت إليّ كتبهم بدعوتهم ، فصَممْت عن ندائهم ، وألبست غشاوة عن ذكرهم ، يأساً منهم واطّراحاً لهم ، وما لهم مثل إلّا كما قال عليّ بن أبي طالب : **إنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ ، وَإنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ وَإنِ اجْتَمَعَ النّاسُ عَلَىٰ إمامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإنْ أُجِئْتُمْ إلَىٰ مُشاقَّةٍ نَكَصْتُمْ**[١] .

حكت هذه الرسالة الصفات السيّئة التي اتّصف بها أهل الكوفة من الغدر والخيانة ، وأنّ ألسنتهم تقدم قلوبهم ، فإذا وعدوا غدروا ، وفي المثل : الكوفي لا يوفي ، وأنّهم قد كاتبوا عبدالله المحض ليأخذ البيعة منهم ، إلّا أنّه أعارهم أذناً صمّاء ، وذلك يأساً منهم وعدم ثقته بمواعيدهم .

---

(١) نهج البلاغة : ٢ : ١٠٠ ، الخطبة ١٨٠ . تاريخ الأمم والملوك : ٥ : ٤٨٩ .

٢ـ داود بن عليّ

العبّاسي ، وكان مع زيد بالثعلبيّة ، وقد شاهد أهل الكوفة قد احتفّوا بزيد لمّا خرج عنهم ولم يستجب لهم ، فقال له ناصحاً ومشفقاً :

« لا يغررك هؤلاء من نفسك ، أليس قد خذلوا من كان أعزّ عليهم منك جدّك عليّ بن أبي طالب حتّى قتل ، والحسن من بعده بايعوه ثمّ وثبوا عليه ، فانتزعو رداءه من عنقه ، وانتهبوا فسطاطه ، وجرحوه ، أوليس قد أخرجوا جدّك الحسين وحلفوا له بأوكد الأيمان ثمّ خذلوه وأسلموه ، ثمّ لم يرضوا بذلك حتّى قتلوه ، فلا ترجع معهم » .

ووثب عليه أهل الكوفة فردّوا عليه بأعنف الكلام وأقساه قائلين له : إنّ هذا لا يريد أن تظهر أنت ، ويزعم أنّه وأهل بيته أحقّ بهذا الأمر منكم .

والتفت إليه زيد فقال له : إنّ معاوية كان يقاتل عليّاً بذهبه ، وإنّ الحسين قاتله يزيد ، والأمر عليه مقبل .

وانبرى داود محذّراً لزيد من الكوفيّين قائلاً له : إنّي لخائف إن رجعت إليهم ، ألا يكون أحد أشدّ عليك منهم .

وأحاط الكوفيّون بزيد وأرجعوه إليهم(١) .

٣ـ محمّد بن عمر

ووفد عليه محمّد بن عمر ، فقال له بحرارة وخوف عليه : أُذكّرك يا زيد لما لحقت بأهلك ، ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك ، وأنّهم لا يفون لك .

فقال له زيد : يا محمّد ، أخرجنا هشام أسرى على غير ذنب من الحجاز ، ثمّ إلى

---

(١) الكامل في التاريخ : ٥ : ٨٥. الخطط المقريزيّة : ٤ : ٣١٠.

الجزيرة ، ثمّ إلى العراق ، ثمّ إلى تيس ثقيف يلعب بنا .

وقد أعرب عن ظلم الطاغية له ، وإنزال أقسى العقوبات به ، الأمر الذي دعاه إلى الثورة عليه ، ثمّ أنشد :

فَإِنْ أُقتَلْ فَلَستُ بِذي خُلودٍ وَإِنْ أَبْقَ اشْتَفَيتُ مِنَ العَبيدِ

وأعرب هذا البيت عن تصميمه وعزمه على الثورة ، وعدم مبالاته بالحياة ، ثمّ أنشد هذه الأبيات :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني المَنونَ كَأَنَّني أَصْبَحتُ عَنْ عَرَضِ الحَياةِ بِمَعْزِلِ
فَأَجَبْتُها إِنَّ المَنيَّةَ مَنْهَلٌ لا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ المَنْهَلِ(١)
إنَّ المَنيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلي إذا نَزَلوا بِضَيقِ المَنزِلِ
فاقْني حَياءَكِ لا أَبا لَكِ وَاعْلَمي إِنّي امْرُؤٌ سَأَموتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

حكى هذا الشعر الذي تمثّل به بطل الإسلام عن تصميمه على التضحية والشهادة ، وأنّه لا يبالي بالحياة ويسخر من الموت .

٤ـ جابر الجعفي

وأشفق عليه جابر الجعفي ، وحدّثه بما سمعه من أخيه الإمام الباقر عليه السلام في شهادته ، فأجابه : يا جابر ، لا يسعني أن أسكن وقد خُولف كتاب الله تعالى ، وتُحوكِم إلى الجبت والطاغوت ، وذلك إنّي شاهدت هشاماً ورجل يهودي عنده يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت للسابّ : ويلك يا كافر ، أما إنّي لو تمكّنت منك لاختطفت روحك ، وعجّلتك إلى النار .

فقال لي هشام : مه عن جليسنا يا زيد ، فوالله لو لم يكن إلّا أنا ويحيى ابني

---

(١) الروض النضير : ١ : ٧٥. الكامل في التاريخ : ٥ : ٢٣٣. زيد بن عليّ / المقرّم : ١١٤.

لخرجت عليه وجاهدته حتّى أفنى[١].

من أجل كرامة الإسلام ، والحفاظ على قيمه ورموزه ، ثار سليل النبوّة ليرفع كلمة الله تعالى ، ويدمّر الشرك وأقطابه .

٥ـ زكريّا بن أبي زائدة

تشرّف زكريّا بمقابلة زيد فسمعه يتمثّل بهذه الأبيات :

وَمَنْ يَطلُبِ المَجدَ المُمَنَّعَ بِالقَنا ... يَعِشْ ماجِداً أَوْ تَختَرِمْهُ المَخارِمُ
مَتىٰ تَجمَعِ القَلبَ الذَّكِيَّ وَصارِماً ... وَأَنْفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ
وَكُنتُ إذا قَومٌ غَزَوْني غَزَوْتُهُمْ ... فَهَلْ أَنا في ذا يالَ هَمْدانَ ظالِمُ[٢]

وفهم زكريّا ما قصده زيد من التصميم على الثورة ، ولمّا قدم الكوفة سأله عن قدومه ، فأخبره أنّ أهل الكوفة كتبوا إليه بالقدوم إليهم ، فأشار عليه زكريّا بالانصراف ، وذلك لما عرف به الكوفيّون من الغدر والخيانة[٣].

٦ـ سلمة بن كهيل

استأذن بالدخول على زيد فأذن له ، وعرض عليه زيد الانضمام إلى دعوته ، وبعد حديث بينهما قال له سلمة : كم بايعك ؟

- أربعون ألفاً.

- كم بايع جدّك ـ يعني الإمام الحسين عليه السلام ـ ؟

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٨٤. تيسير المطالب في أمالي أبي طالب : ١٦٥.

(٢) مقاتل الطالبيّين : ١٣٢.

(٣) تاريخ دمشق : ٦: ٢١.

- ثمانون ألفاً.

- كم حصل معه؟

- ثلاثمائة.

- ناشدتك بالله، قرنك خير أم القرن الذي خرج فيه جدّك؟

- بل القرن الذي خرج فيه جدّي.

- أتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدروا بجدّك.

- بايعوني ووجبت بيعتهم في عنقي وأعناقهم.

وطلب منه سلمة أن يخرج من الكوفة لئلّا يرى غدر الكوفيّين به، فأذن له، فخرج إلى اليمامة(١).

٧- الأعمش

الأعمش من الشخصيّات العلميّة البارزة في الكوفة، وقد بعث إليه زيد عثمان بن عمير الفقيه يدعوه إلى نصرته وبيعته، فقال الأعمش له: اقرأه منّي السلام، وقل له: يقول لك الأعمش: لست أثق لك - جعلت فداك - بالناس، ولو أنّا وجدنا لك ثلاثمائة رجل أثق بهم لغيّرنا لك جوانبها(٢).

هؤلاء بعض المشفقين على زيد والمخلصين له، حذّروه من الاستجابة لأهل الكوفة الذين لا وفاء لهم، ولا عهد لهم، ولكنّ بطل الإسلام وفخر بني هاشم كان مصمّماً على التضحية والفداء للإسلام مهما كانت الظروف ملبّدة في غير صالحه، كما أقدم جدّه الإمام الحسين عليه السلام على مقارعة الأمويّين مع علمه بقلّة الناصر،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٨: ٢٦٥.

(٢) زيد بن عليّ عليه السلام ومشروعيّة الثورة عند أهل البيت عليهم السلام: ٦٧.

وخذلان من كاتبه من أهل الكوفة بالقدوم إليهم .

مبايعة الفقهاء والعلماء لزيد عليه السلام

وانبرى معظم فقهاء الكوفة وعلماؤها إلى مبايعة زيد ، وتحريض الجماهير على نصرته ودعم دعوته ، وهؤلاء بعضهم :

١ـ أبو حنيفة

كان أبو حنيفة زيدياً في عقيدته بعث إليه الإمام زيد رسولين ، وهما : زياد بن المنذر ، والفضيل بن الزبير يدعوانه إلى نصرته ، فأجاب إلى ذلك ، وكان مريضاً ، فقال لهما : هو والله صاحب الحقّ ، وهو أعلم من نعرفه في هذا الزمان .

وقدّم له ثلاثين ألف درهم ليستعين بها على حرب عدوّه ، وقال : إن شفيت من مرضي لأخرجنّ معه[١] . وكان أبو حنيفة من تلاميذ زيد .

٢ـ ابن شبرمة

فقيه العراق ، وقاضي الكوفة ، وأحد الثقات ، وهو ممّن بايع الإمام زيد وخرج معه[٢] .

٣ـ مسعر بن كدام

هو الإمام الثبت ، شيخ العراق ، بايع الإمام زيداً وخرج معه ، ودعا إلى بيعته[٣] .

---

(١) المصابيح : ٤٠٢.

(٢) المصابيح : ٤٠٢. ترجمة البخاري في تاريخه : ٥ : ١١٧ ، والذهبي في تاريخ الإسلام : ٥ : ٨٨ ، وابن حجر في تهذيب التهذيب : ٥ : ٢٥٠ و ٢٥١.

(٣) المصابيح : ٤٠٢. ترجم في : التاريخ الكبير : ٨ : ١٣ ، حلية الأولياء : ٧ : ٢٠٥ ، تذكرة ⇐

٤ـ الأعمش

هو سليمان بن مهران شيخ القرّاء والمحدّثين ، بايع زيداً ودان بإمامته[١] .

٥ـ الحسن بن عمارة

البجلي ، كان من المبايعين للإمام زيد ، تولّى القضاء في بغداد في أيّام المنصور[٢] .

٦ـ أبو الحصين

هو عثمان بن عاصم الأسدي الكوفي الإمام الحافظ ، من الفقهاء الذين بايعوا زيداً[٣] .

٧ـ قيس بن الربيع

من أعلام الكوفة وفقهائها ، بايع الإمام زيداً[٤] .

٨ـ سلمة بن كهيل

الكوفي ، من فقهاء الكوفة وأعلامها البارزين ، بايع الإمام زيداً[٥] .

⇐ الحفّاظ : ١ : ١٨٨ ، ميزان الاعتدال : ٤ : ٩٩ .

(١) المصابيح : ٤٠٢ . ترجم في الطبقات الكبرى : ٦ : ٣٤٢ ، وغيره .

(٢) المصابيح : ٤٠٢ ، ترجم في تهذيب التهذيب : ٢ : ٣٠٤ .

(٣) المصابيح : ٤٠٢ . ترجم في تاريخ الإسلام : ٥ : ١٠٧ ، وسير أعلام النبلاء : ٥ : ٤١٢ .

(٤) المصابيح : ٤٠٣ .

(٥) المصابيح : ٤٠٣ . تاريخ الإسلام : ٥ : ٨١ . وفي الطبقات الكبرى : ٦ : ٣١٦ . تهذيب التهذيب : ٤ : ١٥٥ . سير أعلام النبلاء : ٥ : ٢٩٨ .

٩ ـ هاشم بن البريد

من الفقهاء الأعلام ، بايع الإمام زيداً [١] ، ودعا إلى بيعته [٢] .

١٠ ـ الحجّاج بن دينار

بايع الإمام زيداً وهو من أعلام عصره [٣] في فضله وعلمه [٤] .

١١ ـ هارون بن سعد

بايع الإمام زيداً [٥] ، من أعلام الفقهاء ومن الثقات المعروفين في الأوساط العلميّة [٦] .

١٢ ـ محمّد بن عبدالله

ابن الحسن بن الحسن (النفس الزكيّة) [٧] ، وقد حضر معه الواقعة .

١٣ ـ عبدالله بن عليّ

ابن الحسين [٨] ، وهو أخوه .

هؤلاء بعض من بايعه من مشاهير الفقهاء وكبار القرّاء والعلماء ، ودعوا الناس إلى نصرته ومبايعته ، وحضر بعضهم في الواقعة ، ولم يحضر البعض الآخر .

---

(١) و (٣) المصابيح : ٤٠٣ .

(٢) ترجم له في تهذيب التهذيب : ١١ : ١٦ و ١٧ . التاريخ الكبير : ٨ : ٢٨٤٢ .

(٤) ترجم له في تهذيب التهذيب : ٢ : ٢٠٠ . خلاصة تهذيب الكمال : ٧٢ .

(٥) و (٧) المصابيح : ٤٠٣ .

(٦) تهذيب التهذيب : ١١ : ٦ . تهذيب الكمال : ٣٠ : ٨٧ .

(٨) ذكرنا ترجمته في البحث عن إخوان الإمام زيد .

الدعاة

وجّه بطل الإسلام أعلام أصحابه من الفقهاء إلى الدعوة له ، وأخذ البيعة له من الأوساط الشعبيّة ، وهؤلاء بعضهم :

١ ـ نصر بن معاوية

العبسي[١] ، وهو أوّل من قتل من أصحاب الإمام زيد ، وكان من أجلّ أصحابه ومن أبطال المسلمين[٢] .

٢ ـ أبو معمر

ابن خيثم العامري ، وهو من دعاة زيد[٣] ، ومن أنصار الحقّ .

٣ ـ عبدالله بن الزبير

الأسدي ، وهو من الدعاة الذين كانوا يدعون الناس إلى مبايعة زيد[٤] .

٤ ـ معاوية بن إسحاق

ابن زيد الأنصاري ، من الدعاة للبيعة لزيد[٥] ، ومن الناصرين للحقّ .

٥ ـ المنصور بن المعتمر

بعثه زيد داعياً له ، وكان غير حاضر في شهادة الإمام زيد ، فلمّا علم صام سنة كفّارة لتأخّره عن نصرته[٦] .

---

(١) المصابيح : ٣٨٩ ، وترجمه في الفتوح وغيره.

(٢ ـ ٤) المصابيح : ٣٨٩.

(٥) تاريخ الأُمم والملوك : ٥: ٤٩٢.

(٦) مقاتل الطالبيّين: ٩٩.

٦ـ يزيد بن أبي زياد

مولى لبني هاشم ، وهو من الدعاة وقد أجابه جمع من أهل الرقّة[١] .

٧ـ سالم بن أبي الحديد

من الدعاة بعثه الإمام زيد إلى زبيد بن الحارث اليامي ، وهو من ثقات التابعين يدعوه للجهاد معه[٢] .

٨ـ عبدة بن كثير الجرمي

بعثه الإمام زيد داعياً له في خراسان[٣] .

٩ـ الحسن بن سعد

الفقيه ، أرسله الإمام داعياً له في خراسان[٤] .

١٠ـ عثمان بن عمير

أبو اليقظان الفقيه الكوفي ، أرسله الإمام داعياً له إلى الأعمش .

١١ ـ كتب الإمام زيد إلى هلال بن خبّاب بن الأرت قاضي المدائن ، فأجابه وبايعه أهل المدائن[٥] .

هؤلاء بعض الدعاة إلى بيعة الإمام زيد ، وقد جهدوا في أداء رسالتهم .

وكان يقول للدعاة : لا تقولوا خرجنا غضباً لكم ، ولكن قولوا خرجنا غضباً

---

(١) و (٢) مقاتل الطالبيّين : ٩٩.

(٣) مقاتل الطالبيّين : ٩٨.

(٤) و (٥) مقاتل الطالبيّين : ٩٩.

لله ودينه[١].

إحاطة البيعة بالكتمان

أُحيط مكان البيعة بكثير من السرّيّة والكتمان ، فقد كان أبو معمر وفضيل بن الزبير يدخلان الناس على زيد وعليهم براقع ، فيأتيان بهم من مكان لا يبصرون شيئاً حتّى يدخلونه على الإمام زيد فيبايعونه[٢] لئلّا يعرف المكان الذي أُقيم فيه زيد خوفاً عليه من السلطة .

عدد المبايعين

أمّا عدد المبايعين للإمام زيد ، فقد ذكر المؤرّخون أقوالاً متعدّدة ، منها :

١ ـ خمسة وعشرون ألفاً[٣].

٢ ـ أربعون ألفاً[٤].

٣ ـ ثمانون ألفاً[٥].

٤ ـ خمسة عشر ألفاً[٦].

وهؤلاء كلّهم من أهل الكوفة ، ومضافاً إليهم فقد بايعه جمع من أهل المدائن ، والبصرة ، وواسط ، والموصل ، والجزيرة ، والريّ ، وخراسان ، وجرجان[٧].

ولم تقتصر البيعة على الرجال ، وإنّما شملت كوكبة من النساء ، كان منهنّ أُمّ عمر

---

(١) أنساب الأشراف : ٣: ٢٠٢.

(٢) المصابيح : ٣٨٩.

(٣) و (٤) زيد الشهيد : ١١٦.

(٥) الروض النضير : ١: ٧٥.

(٦) المصابيح : ٣٨٩. سرّ السلسلة العلويّة : ٢٥٨. تاريخ الأمم والملوك : ٧: ١٧١.

(٧) الفخري : ٩٦.

بنت الصلت[١] ، وأمّ خالد التي قطع يوسف يدها[٢] .

ومن المؤسف أنّهم لم يفوا ببيعتهم ، فقد تخلّف معظمهم عن الالتحاق به حتّى استشهد كما سنذكر ذلك .

تحديد وقت الثورة

وحدّد الإمام زيد مع أعضاء ثورته وقتاً خاصّاً للثورة ، وهو يوم الأربعاء أوّل ليلة من صفر سنة ١٢٢هـ[٣] .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٨: ٢٦٧.

(٢) رجال الكشّي : ٢٠٩.

(٣) أنساب الأشراف : ٣: ٢٠٢.

الشَّهَادَةُ

استقبلت الأوساط الشعبيّة في الكوفة بمزيد من الفرح والابتهاج قدوم الإمام زيد إليهم ليقيم فيهم العدل السياسي والاجتماعي ، ويوفّر لهم الأمن والرخاء ، ويعيد لبلدهم ماضيه الزاهر حينما كان عاصمة للعالم الإسلامي في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد العدالة الكبرى في الأرض ، وينقذهم من ويلات الأمويّين الذين أشاعوا فيهم الفقر والحرمان ، وحرموهم من جميع حقوقهم الطبيعيّة .

وكانت الشيعة في طليعة المرحّبين والمبايعين للإمام زيد لأنّها عانت من الأمويّين الكوارث والخطوب ، وسملت منهم العيون ، وصلب قادتهم على جذوع النخل ، واقترف الأمويّون معهم كلّ ظلم وإثم ، وقد وجدوا بالإمام زيد المنقذ والمحرّر لهم ، فبايعوه عن رضاً ورغبة ، وكذلك بايعه الخوارج الذين هم خصوم العلويّين لأنّهم وجدوا في زيد الحماية لهم من عنف الأمويّين وظلمهم .

وعلى أي حال ، فإنّا نعرض إلى مجريات الأحداث القاسية التي انتهت بمصرع القائد والمحرّر الذي كان ينتظر حكمه المسلمون بفارغ الصبر ، وفيما يلي ذلك :

فزع السلطة في دمشق

وفزع طاغية الشام هشام أشدّ ما يكون الفزع من الإمام زيد حينما كان في الكوفة ، لأنّه يعلم بكراهة العراقيّين للأمويّين ، وذلك لما أفشوه فيهم من الظلم ، وما أشاعوه فيهم من الفقر والحرمان ، بالإضافة إلى أنّه لم تكن عند الأمويّين نزعة كريمة أو صفة

شريفة تحبّبهم إلى المجتمع ، وفعلاً فقد قام هشام بما يلي :

الاتّصال بوالي العراق

وبادر هشام إلى الاتّصال بوالي العراق يوسف بن عمر الثقفي ، فرفع له مذكّرتين ، وهما :

الأُولى : « أمّا بعد ، فإنّ رجلاً من بني أُميّة كتب إليّ باجتماع أهل الكوفة على زيد ، وقد تعجّبت من غفلتك وجهلك ، وزيد غارز ذنبه بالكوفة يبايع له ، فإذا لم تستطع من إخراجه منها فقاتله » .

حكت هذه المذكّرة أنّ المخابرات الأمويّة قد رفعت إلى هشام باجتماع أهل الكوفة على زيد يبايعونه ، وأنّه ألقى بثقله في الكوفة لتجاوب أهلها معه ، وقد أمر الطاغية واليه بإخراج زيد منها ، وإذا لم يستطع فعليه أن يفتح معه باب الحرب .

الثانية : وهي ذات أهمّيّة بالغة ، وقد جاء فيها : « أمّا بعد ، فقد علمت حال أهل الكوفة ، وحبّهم أهل هذا البيت ، ووضعهم إيّاهم في غير مواضعهم ، لأنّهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم ، ووظّفوا عليهم شرائع دينهم ، ونحلوهم علم ما هو كائن ، حتّى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها إلى الخروج .

وقد قدم زيد بن عليّ على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد ، ففصل أمير المؤمنين بينهما ، ورأى رجلاً جدلاً لسناً خليقاً لتمويه الكلام ، وصوغه ، واجترار الرجال بحلاوة لسانه ، وكثرة مخارجه في حججه ، وما يدلي به عند لدد الخصام من السطوة بالقوّة الحادّة لنيل الفلج .

فعجّل إشخاصه إلى الحجاز ، ولا تخله والمقام قبلك ، فإنّه إن أعاره القوم أسماعهم فحشاها من لين لفظه ، وحلاوة منطقه مع ما يدلي به من القرابة لرسول الله ، وجدهم مُيّلاً إليه غير متّئدة قلوبهم ، ولا ساكنة أحلامهم ، ولا مصونة عندهم

أديانهم ، وبعض التحامل عليه فيه أذى له . وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع ، والحقن للدماء ، والأمن للفرقة أحبّ إليَّ من أمر فيه سفك دمائهم ، وانتشار كلمتهم ، وقطع نسلهم والجماعة حبل الله تعالى المتين ، ودين الله تعالى القويم ، وعروته الوثقى .

فادع إليك أشراف أهل المصر ، وأوعدهم العقوبة في الأبشار واصطفاء الأموال ، فإنّ من له عقد أو عهد منهم سيبطئ عنه ، ولا يخفّ معه إلّا الرعاع وأهل السواد ، ومن تنهضه الحاجة استلذاذاً للفتنة ، وأولئك ممّن يستعبد إبليس وهو يستعبدهم فبادرهم بالوعيد ، وأعضضهم بسوطك ، وجرّد فيهم سيفك ، وأخف الأشراف قبل الأوساط ، والأوساط قبل السفلة .

واعلم أنّك قائم على باب أُلفة ، وداع إلى طاعة ، وحاضر إلى جماعة ، ومشمّر لدين الله تعالى ، فلا تستوحش لكثرتهم ، واجعل معقلك الذي تأوي إليه ، وصفوك الذي تخرج منه الثقة بربّك ، والغضب لدينك ، والمحاماة عن الجماعة ، ومناصبة من أراد كسر هذا الباب الذي أمرهم الله تعالى بالدخول فيه ، والتشاحّ عليه ، فإنّ أمير المؤمنين قد أعذر إليه وقضى من ذمامه ، فليس له منزى إلّا ادّعاء حقّ هو له ظَلِمَه من نصيبه نفسه ، أو فيء أو صلة لذي قربى ، إلّا الذي خاف أمير المؤمنين من حمل بادرة السفلة على الذي عسى أن يكونوا به أشقى وأضل ، ولهم أمر ، ولأمير المؤمنين أعزّ وأسهل إلى حياطة الدين ، والذبّ عنه ، فإنّه لا يحبّ أن يرى في أُمّته حالاً متفاوتاً نكالاً لهم مغنياً فهو يستديم النظرة ، ويتأنّى الإرشاد ، ويجتنبهم على المخاوف ، ويستجرّهم إلى المراشد ، ويعدل بهم عن المهالك ، فعل الوالد الشفيق على ولده والراعي الحدب على رعيّته .

واعلم أنّ من حجّتك عليهم في استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم ، توفيتك أطماعهم ، وأعطية ذرّيّتهم ، ونهيك جندك أن ينزلوا حريمهم ودورهم ، فانتهز رضا الله فيما أنت بسبيله ، فإنّه ليس ذنب أسرع تعجيل عقوبة من بغي ، وقد أوقعهم

الشيطان فيه ، ودلّهم عليه ، والعصمة بتارك البغي أَوْلى ، فإنّ أمير المؤمنين يستعين الله عليهم ، وعلى غيرهم من رعيّته ، ويسأل إلهه ومولاه ووليّه أن يصلح ما كان فاسداً ، وأن يسرع بهم إلى النجاة والفوز ، إنّه سميع قريب »[١].

حكت البنود الأُولى من هذه الرسالة مخاوف الطاغية من الإمام زيد ، وذلك لما يتمتّع به من القابليّات الفذّة التي منها أنّه يجتذب القلوب والعواطف بقوّة بيانه ، وحلاوة حديثه ، وأنّه لا يقف أحد أمام منطقه الفيّاض .

ومضافاً إلى ذلك قربه من رسول الله ﷺ الذي يسيطر به على الموقف ، وعلى الوالي أن يقف بحزم أمامه ، فيتعامل مع الوجوه والأشراف من أتباعه بلغة خاصّة فيوعدهم بالعقوبة ، ويمنحهم الأموال ، التي يسيل لها لعاب الأبطال .

كما أنّ عليه أن يتعامل مع السواد من أتباعه بلغة خاصّة ، وهي استعمال القوّة والبطش معهم ، وهذه اللغة لغة أسلافه ، فقد نهجوا مع الرعيّة هذا المنهج .

أمّا الفصول الأخيرة من هذه الرسالة فنحن نشكّ في صدورها من الطاغية ، وفيما أحسب أنّها من الموضوعات لأنّ بها الترفّع عن سفك الدماء والاحتياط فيها ، وهذا لا يتّفق مع سياسة الأمويّين المبنيّة على القهر والعنف وعدم الاعتراف بأي حقّ للأمّة .

التفتيش عن زيد عليه السلام

ولمّا انتهت المذكّرة الأولى أو الثانية إلى يوسف بن عمر الثقفي والي العراق كتب فوراً إلى والي الكوفة بأمره بالاسراع بطلب زيد وإلقاء القبض عليه ، وفعلاً فقد قام الوالي بتفتيش دقيق في رحاب الكوفة ، ومداهمة البيوت التي يظنّ أنّ زيداً فيها ، إلّا أنّه لم يهتد لمعرفته ، فقد أحيط بكثير من الكتمان والسرّيّة ، وأخيراً استعمل الطريقة

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٥ : ٤٨٩ ـ ٤٩١ .

التي استعملها ابن مرجانة للتغلّب على الشهيد مسلم بن عقيل ، حينما بعث إليه الجاسوس معقل فتعرّف على محلّ إقامته ، ومعرفة أسرار الثورة ، وكذلك استعمل نفس هذه الطريقة .

فقد بعث مملوكاً خراسانياً وزوّده بخمسة آلاف درهم ، وأمره بالاتّصال بالشيعة ويخبرهم أنّه قدم من خراسان حبّاً لأهل البيت ، ومعه مال يريد أن يوصله لزيد ، ولم يزل يتوسّل ببعض الشيعة حتّى أوصلوه إلى زيد ، فسلّمه المال ، ثمّ خرج من عنده فأعلم الوالي بمقامه ، ودلّه على رجلين من دعاته يعرفان مقامه ، وهما عامر وطعمة ، وكلاهما من بني تميم ، فأرسل خلفهما .

ولمّا حضرا عنده سألهما عن زيد ، ومكوّنات ثورته ، فأخبراه بذلك ، واستبان له أنّهما على معرفة تامّة بشؤونه ، فأمر بضرب أعناقهما ، ولكنّه لم يهتد إلى معرفة مكانه .

مخطّطات زيد عليه السلام العسكريّة

كان زيد له إلمام تامّ بوضع المخطّطات العسكريّة ، ومعرفة تامّة بشؤون الثورة ، خصوصاً في هذه المرحلة الحسّاسة الدقيقة ، وقد اتّخذ من الاجراءات ما يلي :

١ ـ إخفاء محلّ إقامته عليه السلام

أحاط زيد محلّ إقامته بكثير من السرّيّة والكتمان ، خوفاً من إلقاء القبض عليه ، فهو ينتقل من دار إلى أخرى ، ولا يمكث في دار إلّا وقتاً يسيراً .

٢ ـ إخفاء كوادر حزبه عليه السلام

أخفى زيد أسماء كوادر حزبه وأعضاء ثورته ، خوفاً عليهم ، وقد ظهر أسماء بعضهم بعد شهادة زيد .

٣ـ شموليّة الثورة

وكان من رأيه الأصيل أنّه وضع منهجاً خاصّاً للثورة لا تختصّ بمكان ، وإنّما تكون عامّة في جميع المناطق الإسلاميّة التي له دعاة فيها ليثورون في الوقت المقرّر حتّى لا تتمكّن الدولة من إخمادها ، بالإضافة إلى إلقاء الرعب في نفوس الحاكمين ، كما إنّ الثورة تكون أقلّ خسائر ممّا إذا كانت في موطن خاصّ .

٤ـ الثورة ليلاً

رأى زيد أنّ تكون الثورة ليلاً لا في وضح النهار ، لأنّها تلقي الرعب في نفوس العدوّ ، بالإضافة إلى من لا يحب الاشتراك في العمليّات العسكريّة ، فإنّه يتّخذ من الليل جملاً للهروب من ساحة الحرب .

هذه بعض المخطّطات العسكريّة التي وضع برامجها زيد .

خروج زيد عليه السلام للساحة

اضطرّ زيد إلى الخروج في غير الموعد المقرّر ، وهو أوّل يوم من صفر سنة ١٢٢هـ لأسباب اضطرّته إلى ذلك ، فقد خاف من الاغتيال وغير ذلك ، فخرج ليلة الأربعاء لسبع بقين من المحرّم سنة ١٢٢هـ بدلاً من الاتّفاق السابق ، وقد خرج في ليلة شديدة البرد[١] .

وكان الخروج في غلس الليل له أهمّيّته البالغة في التعاليم العسكريّة ، وقد خرج على برذون أشهب ، وقد ارتدى قباءً أبيضاً ، وعليه عمامة وبين يديه مصحف مشهور[٢] .

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ٩٢.

(٢) الأخبار الطوال : ١٨٩.

ولمّا رأى زيد اللواء يخفق على رأسه قال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني، أما والله لقد كنت أستحي أن أقدم على محمّد ﷺ ولم آمر في أمّته بمعروف، ولم أنه عن منكر[١].

ثمّ وجه خطابه إلى القطعات العسكريّة قائلاً: والله لا ينصرني أحد إلّا كان في الرفيق الأعلى مع محمّد ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ونحو بنوه.

ثمّ وجّه خطابه إلى الفقهاء: يا معشر الفقهاء، ويا أهل الحجى، أنا حجّة الله عليكم، هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله تعالى، ونعمل بكتاب الله تعالى، ونقسّم بينكم فيئكم بالسويّة، فاسألوني عن معالم دينكم، فإن لم أنبّئكم بكلّ ما سألتم عنه فولّوا من شئتم ممّن علمتم أنّه أعلم منّي.

وأضاف قائلاً: والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت محرّماً منذ عرفت أنّ الله تعالى يؤاخذني به[٢].

وأعرب في آخر خطابه عن قدراته العلميّة والفقهيّة، كما أعرب عن تقواه وورعه وتحرّجه في الدين، وغير ذلك من الصفات والمميّزات التي يجب أن يتّصف بها قائد الأمّة.

خيانة الكوفيّين

نكث الكوفيّون بيعتهم للإمام زيد، وغدروا به في وقت الشدّة، كما غدروا بجدّه الإمام الحسين عليه السلام من قبل، فقد ولّوا منهزمين يصحبون معهم العار والخزي، وإذا بمعسكر زيد لم يحو إلّا كوكبة من الذين عاهدوا الله تعالى ورسوله على نصرته، فلمّا رأى زيد نكوصهم اندفع قائلاً: فعلوها حسينيّة.

---

(١) عمدة الطالب: ٢٥٦. سرّ السلسلة العلويّة: ٥٨.

(٢) المصابيح: ١٦٠.

أجل فعلوها حسينيّة بغير حياء ولا خجل ، وإذا به في ساحة الحرب وحيداً ليس معه إلّا الصفوة من أصحابه .

زيد والروافض

وكان من نفاق الكوفيّين أنّهم خفّوا مسرعين إلى زيد بعد إعلانه الحرب على الأمويّين ، فسألوه عن رأيه في الشيخين ، ولم يكن باستطاعته أن يقدح فيهما ، وأن يعلن أنّ ما لحق العترة النبويّة الطاهرة من المحن والخطوب كان بسببهما ، فاتّخذوا ذلك وسيلة للطعن فيه والفرار من جيشه ، وراحوا يقولون له : إنّك لم تطلب بدم أهل البيت إلّا ان وثبا على سلطانكم فانتزعاه من أيديكم[١] .

وفارقوه ونكثوا بيعته[٢] .

لقد فارقوه حينما زحفت جيوش الأمويّين لمحاربة زيد ، فخافوا منهم ، ومنذ ذلك الوقت نشأت فكرة الرفض .

وعلى أي حال ، فإنّ الجيش الذي بايع الإمام زيد قد تفلّل وانهزم ، ولم يبق معه سوى ثلاثمائة رجل[٣] أو يزيد على ذلك بقليل ، وبقي مع هذه القلّة المؤمنة يصارع جيوش أهل النفاق .

حبس فصائل من جيش زيد عليه السلام

كانت قوّة عسكريّة من جيش زيد قد أقامت في الجامع لتلتحق بالمعسكر وتسانده ، فبادرت السلطة إلى غلق أبواب الجامع عليهم ، ولم تسمح لهم بالخروج

---

(١) عمدة الطالب : ٢٥٦ و ٢٥٧.

(٢) الفرق بين الفِرق : ٣٤.

(٣) عمدة الطالب : ٢٥٧.

منه ، وكان زيد ينتظر بفارغ الصبر التحاقهم بمعسكره ، فأخبر أنّهم محاصرون في الجامع ، فقال : ما هذا لمن بايعنا بعذر ، فقد كان باستطاعتهم وهم قوّة ضارية الهجوم على الحرس والخروج من الجامع ، إلّا أنّ الخوف قد قيّدتهم ، فلم يقوموا بأي عمل ضدّ السلطة ، وكان الطعام يأتيهم حتّى انتهت المعركة فأُفرج عنهم .

التحام الجيشين

التحم الجيشان التحاماً رهيباً في أعنف المعارك وأشدّها ضراوة ، وقد أبدى الجيش العلوي من صنوف البسالة والصمود ما لا يوصف ، وألحقوا بالجيش الأموي أفدح الخسائر في الأرواح ، فقد أُبيد منهم ما يزيد على ألفي مقاتل ، وكانت القيادة العامّة للجيش إلى الإمام زيد ، وكان ملمّاً وعالماً بالمخطّطات العسكريّة ، فوضع أدقّ المناهج في العمليّات الحربيّة .

الشهداء من قادة جيش الإمام عليه‌السلام

استشهد كوكبة من قادة جيش الإمام زيد بعد ما أبلوا في المعركة بلاء حسناً ، وقد أبدوا من البسالة ما يفوق حدّ الوصف كان منهم :

١ ـ ربيعة بن جديد

وهو من الأبطال في شجاعته وقوّة إيمانه ، وقد خاطب الإمام زيداً بقوله : والله يا أبا الحسين لأُقاتلنّ معك عدوّك ، فإنّ عدوّك عدوّنا ، ونحن والله أشدّ عليه حنقاً وعداوة لما ارتكبوا من دمائكم ، ومنعوا من حقوقكم ، واستأثروا بالأمر دونكم ، فنحن لهم مفارقون ، ولأعمالهم مبغضون ، فانهض بنا إليهم إذا شئت ، وعلى الله تعالى فليتوكّل المتوكّلون .

ودخل ربيعة ميدان الجهاد ، وأبدى من البسالة ما بهر العدوّ وهو يرتجز :

وَاللهِ لَا أَرجِـعُ حَـتّى أُعْـذَرا أَوْ أَقتُلَ المَـرءَ اللَّـئيمَ الكـافِرا
ما كُنتُ يابْنَ الطّاهِرينَ أَغْدُرا أَوْ أَسقِيَ الصَّعدَةَ مِنّي أَحْمَرا
مِنْ شيعَةِ الكافِرِ أَرْجي الظَّفَرا وَأَنْـــصُر المُـتَوَّجَ المُـطَهَّرا
ابْـنَ رَسـولِ اللهِ ذاكَ الأَزْهَـرا أَفضَلَ مَنْ هَلَّل رَبّـي الأَكْـبَرا
حَتّىٰ أَموتَ دونَهُ وَأُقبَرا

حكى هذا الرجز تفانيه في عقيدته ، وأنّه يقاتل الكفّار الذين لا علاقة لهم بالإسلام ، وقد انبرى بشوق إلى ساحة الجهاد حتّى استشهد[١] .

٢ ـ أبو الأسود النهدي

وهو من الفرسان الذين لم يخالجهم الخوف ، وكان من كتّاب الإمام زيد ، فقد اقتحم ساحة الحرب وهو يرتجز :

إِنّي لَمِنْ نَهدٍ لَفي الذَّوائِبِ أَفْدي زَيْداً بِـأَبي وَصاحِبي
وَكُلَّ ما أَملِكُ مِنْ مَكاسبي أَضرِبُهُمْ بِذي غِرارٍ قـاضِبِ
ضَربَ هِزَبْرٍ ضَيغَمٍ مُـوائِبِ أَرْجو بِهِ الحُورَ مَعَ الكَواعِبِ

وقد انبرى بعزم شامخ إلى ميدان الجهاد حتّى استشهد[٢] .

٣ ـ عمرو بن صالح

الأشجعي ، وهو من قادة الفرسان في معسكر زيد ، وقد تفانى في ولائه له ، وكان له شعر أنشده في ساحة الحرب ، وبقي صامداً حتّى استشهد[٣] .

---

(١) مقدّمة التحقيق لمجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ٩٩.
(٢) المصدر المتقدّم : ١٠١.
(٣) مقدّمة التحقيق لمجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ١٠١.

٤ ـ معمر بن خثيم.

٥ ـ الصلت بن الحرّ.

٦ ـ سلام بن حرب.

٧ ـ عمر بن عمران الكوفي.

٨ ـ معاوية بن إسحاق.

٩ ـ عوف بن سالم العبسي.

١٠ ـ بشر بن سالم العبسي.

١١ ـ خباب بن يزيد.

وهؤلاء الأبطال من قادة جيش الإمام قد وهبوا أرواحهم لله تعالى وجاهدوا في سبيله دفاعاً عن الحقّ ونصرة لعلم من أعلام العترة الطاهرة التي تبنّت حقوق المظلومين والمضطهدين الذين استهانت بهم الحكومة الأمويّة.

استمرار القتال

واستمرّ القتال بأعنفه وأشدّه بين الفريقين يريد أصحاب زيد على قلّتهم نصرة الإمام زيد ليحقّقوا العدل السياسي والاجتماعي بين المسلمين، ويريد أصحاب هشام التقرّب إلى الأمويّين والظفر بجوائزهم وهباتهم.

وقد أثبتت القلّة من أصحاب الإمام أنّها كفؤ للجيش الأموي على كثرته ووفرة أجهزته لأنّها كانت تقاتل عن إيمان لا عن أطماع رخيصة، وكان زيد يجول في ميدان الحرب وهو يقول:

مَـهْلاً بَـنِي عَـمِّنا ظَـلامَتُنا   أَنَّ بِـنا سَـورَةً مِـنَ العَـلَقِ

لِمِثْلِكُمْ تُحمَلُ السُّيوفُ وَلَا   تُـغمَزُ أَحْسـابُنا مِـنَ الرِّفَـقِ

إنّي لأنمي إذا انـتَمَيتُ إلى   عَـزٍّ عَـزيزٍ وَمَـعشَرٍ صُـدُقِ

بـيض سِـباطٌ كَـأَنَّ أَعـيُنَهُمْ		تُكَحَّلُ يَومَ الهِـياجِ بِـالعَلَقِ

وحكى هذا الشعر شهامته ونبله وإباءه عن الضيم ، وأنّه يـنتمي إلى أعـزّ أُسـرة وأشرف قبيلة .

وكان الإمام زيد يجول في ميدان القتال وهو ينشد هذين البيتين

أَذُلُّ الحَـــياةِ وعِـــزُّ المَـماتِ		وكُـــلاًّ أَراهُ طَـــعاماً وَبِـــيلا

فَـــإنْ كـــانَ لا بُـــدَّ مِـــن واحـدٍ		فَسِيري إلى المَوْتِ سَيراً جَمِيلا

لقد اخترت الشهادة والموت تحت ظلال الأسنّة في سبيل كرامتك ، كما اختار ذلك جدّك الإمام الحسين عليه السلام الأبيّ عن الضيم ، وأخذ زيد يحرّض أصحابه عـلى الشهادة والذبّ عن حياض الإسلام قائلاً: والله لو كنت أعلم عملاً أرضى لله تعالى من قتال هؤلاء لفعلت .

ثمّ أخذ ينصح جيشه قائلاً:

وقد كنت نهيتكم ألّا تتّبعوا مدبراً ، ولا تـجهزوا عـلى جـريح ، ولا تـفتحوا بـاباً مغلقاً ، ولكنّي سمعتهم يسبّون عليّاً ، فاقتلوهم من كلّ وجه ، فوالله لا ينصرني رجل عليهم اليوم إلّا أخذت بيده وأدخلته الجنّة .

ثمّ قال :

اللهمّ إنّ هؤلاء عدوّك وعدوّ رسولك ودينك الذي ارتضيته لعبادك .

اللّهمّ اجز هؤلاء الذين يقاتلونهم ـ أي يقاتلون أعداء الله تعالى ـ أفضل ما جزيت أحداً من عبادك المؤمنين ، والله لا أعلم أنّه ما أمسى على وجه الأرض عصابة أنصح لله تعالى ولرسوله وللإسلام منكم[١] .

---

(١) زيد الشهيد : ١٣٨ و ١٣٩.

وأخذ يجول في الميادين فلم ير الناس مثله في شجاعته وقوّة بأسه ، ولم تضعف عزيمته قلّة أنصاره ، وضخامة جيش عدوّه ، فإنّه كان يحسبهم كالحشرات يحصد رؤوسهم بسيفه ، ويذيقهم كأس المذلّة والهوان .

مصرع الحقّ

وواصل الإمام الممتحن سيرته الجهاديّة ، وقد فجع بقتل دعاته وأصحابه الذين يعرفون مقامه ، وقد حمل على أعداء الله تعالى وأعداء رسوله ، فيفرّون فرار المعزى إذا شدّ فيها الأسد ، وقد قتل منهم زهاء سبعين رجلاً ، وقد هزمهم شرّ هزيمة ، وهو على أثرهم يحصد رؤوسهم بسيفه .

واستدعى العبّاس بن سعيد من يوسف بن عمر القائد العامّ للقوّات الأمويّة أن يمدّه بالرماة ، وأخذت السهام تتوالى على أصحاب زيد كالمطر ، وأصاب سهم جبين زيد الذي ما فكّر إلّا بسعادة الناس ، فسقط على أثره إلى الأرض كما تهوي النجوم ، وكان الرامي له مملوك ليوسف وقيل غيره .

وحمله أصحابه وهم يعجّون بالبكاء والنحيب ، فأدخلوه بيت حران بن كريمة ، واحتضنه ولده يحيى ، وهو يبكي أمرّ البكاء وقال له : ابشر يابن رسول الله ، ترد على رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة وخديجة والحسن والحسين ، وهم عنك راضون .

وأجابه أبوه بصوت خافت قائلاً: صدقت ، فأي شيء تصنع ؟

- يا أبة أُجاهدهم إلّا أن لا أجد ناصراً .

وابتهج زيد فقال له : يا بنيّ ، جاهدهم فوالله إنّك لعلى حقّ ، وأنّهم لعلى باطل ، وإنّ قتلاك في الجنّة ، وقتلاهم في النار(١) .

---

(١) عمدة الطالب : ٢٥٧ . سرّ السلسلة العلويّة : ٥٨ و ٥٩ .

لقد كان الإمام زيد حتّى النفس الأخير من حياته ، يرى وجوب مناهضة هؤلاء اللصوص والخونة من الأمويّين الذين لا يرجون لله وقاراً .

ودعوا طبيباً لمعالجته ، فقال له : إن نزعته منك متّ الساعة .

فقال له : الموت أهون عليّ ممّا أنا فيه .

وبادر الطبيب فانتزعه منه ، وفاضت روحه الزكيّة التي هي أسمى روح صعدت إلى الله تعالى في عصره .

لقد انتصرت الوثنيّة القرشيّة التي أبت أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد ، وأُخمدت تلك الأنوار التي أضاءت في سماء الشرق تنير العقول ، وتهذّب النفوس ، وتقيم منار العدالة ، وتقضي على الظلم والطغيان .

مواراة الجثمان المقدّس

واختلف أصحاب زيد في مواراة جثمانه المقدّس ، وهذه بعض آرائهم :

١ ـ طرحه في الماء بعد تلبسه بدرعه(١) .

٢ ـ حزّ رأسه الشريف وطرح جثّته بين القتلى حتّى لا يُعرف ولم يوافق على ذلك ولده يحيى(٢) .

٣ ـ دفنه في نهر وإجراء الماء عليه ، ووافق على ذلك الجميع ، فذهبوا إلى نهر ، وسدّوا جانبيه وحفروا له قبراً وواروا الجسد الطاهر فيه ، ورفعوا الحواجز وأجروا الماء(٣) .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٨: ٢٧٦.

(٢) خطط المقريزي : ٤: ٢١٢.

(٣) مروج الذهب : ٢: ١٨٢.

إخراج الجسد الطاهر

وراح الطاغية الفاجر يوسف بن عمر يفتّش عن جثمان سليل النبوّة ليتشفّى به تقرّباً إلى حاكم دمشق شريكه في جرائمه وآثامه ، وأخبره الطبيب الذي أخرج السهم من جبينه بمحلّ دفنه ، لأنّه كان حاضراً(١) . وقيل غيره ، فأمر بإخراجه من قبره ، وانبرى خدّام السلطة إلى القبر فأخرجوه وألقوه على باب قصر الإمارة ، فخرّ كأنّه جبل ، وأمر الخبيث بحزّ رأسه ، فاحتزّ وأرسله هديّة إلى أحول قريش ، فأظهر الفرح ، وأمر بوضعه في مجلسه ، وأمر الأرجاس من جلسائه بوضع أحذيتهم على الرأس الشريف ، الذي يمثّل الكرامة الإنسانيّة ، وراح العملاء يطأونه بأحذيتهم(٢) .

وأمر الطاغية يوسف الباغي اللئيم بصلب الجثمان المقدّس ، فصلب منكوساً(٣) ، ووضع مفرزة من الشرطة بحراسته خوفاً من أن يسرق ويدفن .

لقد كان هذا جزاء النبيّ ﷺ من اُمّته أن عمدوا إلى أبنائه فقتلوهم ، وأخرجوهم من قبورهم ثمّ صلبوهم ، وسيعلم من أوصل الأمويّين إلى مراكز الحكم ومكّنوهم من إبادة العترة الطاهرة ، وإنزال أقسى العقوبات بها .

وقد رأى الموكّل بحراسة الجثمان المقدّس النبيّ ﷺ في منامه واقفاً على الخشبة التي صلب عليها زيد وهو يقول بأسى وألم : « **هٰكذا تَصْنَعونَ بِوَلَدي مِنْ بَعْدي ، يا بُنَيَّ يا زَيْدُ ، قَتَلوكَ قَتَلَهُمُ اللهُ ، صَلَبوكَ صَلَبَهُمُ اللهُ** »(٤) .

وبقي الجثمان المقدّس مرفوعاً على خشبة زمناً غير قليل حتّى عشعشت الفاختة في جوفه ، وقد ظنّ طاغية الشام أنّ هذا التمثيل الآثم يحطّ من كرامة زيد ، ويوهن

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ١٨٢.

(٢) خطط المقريزي : ٤ : ٢١٢.

(٣) مختصر تاريخ الخلفاء : ١١٦ . تاريخ الكوفة : ٣٩٨.

(٤) الصواعق المحرقة : ١٠٠ . تاريخ مدينة دمشق : ٦ : ٢٣.

منزلته في نفوس المسلمين ، ولم يعلم أنّ ذلك رفعه إلى أعلى مستويات الصالحين الذين رفعوا كلمة الله في الأرض ، وقد بلغ من تقديس المسلمين له أنّهم كانوا يأتون الخشبة التي صلب عليها فيتعبّدون فيها في الليل[١].

أمّا الزمن الذي بقي فيه جثمان سليل النبوّة مصلوباً ، فقد اختلف المؤرّخون في تحديده ، وهذه أقوالهم :

١ ـ سنة وأشهر.

٢ ـ سنتان.

٢ ـ ثلاث سنين.

٤ ـ أربع سنين.

٥ ـ خمس سنين.

٦ ـ ستّ سنين[٢].

حرق الجثمان المقدّس

ولمّا ظهر الشهيد الخالد يحيى بن زيد في زمن الخبيث الدنس الوليد بن يزيد بن عبدالملك كتب إلى الطاغية الفاجر يوسف بن عمر : إذا أتاك كتابي فأنزل عجل أهل العراق وانسفه في اليمّ نسفاً.

وقام الأثيم بتنفيذ أوامر سيّده ، فأوعز إلى خراش بن حوشب بإنزال الجثمان المقدّس من الخشبة وإحراقه بالنار ، وقام الأثيم بتنفيذ ذلك ، فأحرق الجسد الطاهر بالنار ، ودقّ عظامه بالهواوين ، وذرّ بعضه في حوض الفرات ، وعقب ذلك بقوله : ليشربه العراقيّون.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٩ : ٤٧١.

(٢) زيد الشهيد / المقرّم : ١٤٧.

الرأس الشريف

وبعث الخبيث الدنس يوسف بن عمر برأس الإمام زيد هديّة لسيّده الفاجر أحول بني أميّة هشام ، فوضعه في مجلسه وهو فرح ، وأوعز إلى وحوش أتباعه من الشاميّين بأن يطأوه بأحذيتهم مبالغة في توهينه ، وأقبل ديك فجعل ينقر الرأس الشريف ، فقال بعض من رآه :

اطْرُدِ الدِّيكَ عَنْ ذُؤابَةِ زَيدٍ ... طَالَ ما كانَ لاقِطاً لِلدُّجاجِ[1]

ابنُ بِنتِ النَّبِيِّ أَكْرمُ خَلْـ ... قِ اللهِ زَينُ الوفودِ وَالحُجّاجِ

حَمَلوا رَأْسَهُ إلى الشّامِ رَكْضاً ... بِالسُّرَى وَالبُكُورِ وَالإدلاجِ[2]

ثمّ نصبه على باب دمشق إظهاراً لجبروته وبطشه بأبناء النبيّ صلى الله عليه وآله .

الرأس الشريف في المدينة

وبعدما قضى الطاغية إربه برأس سليل النبوّة ، بعث به إلى المدينة إظهاراً لتشفّيه من العترة النبويّة ، وقد نصب عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكان الوالي على المدينة رجس خبيث وهو محمّد بن إبراهيم المخزومي ، فكلّمه جماعة برفعه عن القبر الشريف ، فأبى تشفّياً من النبيّ بإبادته لرؤوس الأمويّين في واقعة بدر .

وقد ضجّت المدينة بالبكاء والنحيب ، فكان كيوم قتل الإمام الحسين عليه السلام ، وأمر الوالي الأثيم بجمع الناس في الجامع النبوي ، وعرض الرأس الشريف عليهم ، وأمر الخطباء بلعن الإمام أمير المؤمنين وولده الحسين عليهما السلام ، وحفيده زيد ، وكان أحفاد الشيخ عثمان بن عفّان عميد الأمويّين من أكثر الناس سروراً بمقتل زيد ،

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٢٥٢ .

(٢) النزاع والتخاصم / المقريزي : ٨ .

وانبرى خبيث من شعراء الأنصار إلى جانب الرأس الشريف ، فقال :

أَلا يـا نـاقِضَ الميثا قِ أَبْشِرْ بِالَّذي ساكا
نَقَضتَ العَهدَ وَالميثا قَ قِدْماً كانَ قِدْماكـا
لَقَدْ أَخلَفَ إِبْليسُ الَّـ ذي قَـدْ كـانَ مَـنّاكـا

فأنكر عليه جماعة وقالوا له : ألمثل زيد تقول هذا ؟

فاعتذر بأوهى الأعذار وقال : إنّ الأمير عليّ غضبان ، وأردت أن أرضيه ، وردّ عليه بعض شعراء المدينة :

أَلا يـا شـاعِرَ السُّـوءِ لَقَدْ أَصْبَحْتَ أَفّـاكـا
تَسُبُّ ابْنَ رَسولِ اللهِ وَتُرْضي مَنْ تَـوَلّاكـا
وَيَومَ الحَشْرِ لَا شَكَّ بِأَنَّ النّارَ مَثْواكـا(١)

الرأس الشريف في مصر

بعث الطاغية برأس الشهيد العظيم إلى مصر لإظهار قدرته وسعة نفوذه في قهره لعترة رسول الله ﷺ الذين يمثّلون طموح الأمّة وقضاياها المصيريّة ، وقد نصب الرأس المقدّس بالجامع ، والناس بين واجم ونائح على ما حلّ بالعترة النبويّة من عظيم الرزايا والخطوب ، وانبرى جماعة من خيار المصريّين فسرقوا الرأس الشريف ، ودفنوه في مسجد هناك ، وقيل دفنوه بالقرب من جامع ابن طولون ، وقد أُحيط المرقد بهالة من التكريم والتعظيم ويتوافد المصريّون لزيارته ، فقد احتلّ عواطفهم وقلوبهم .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٥ : ٥٠٦ . زيد الشهيد : ١٥٥ .

لوعة الشيعة

حزنت الشيعة حزناً عميقاً على ما جرى على سليل النبوّة من المآسي بعد شهادته من إخراجه من قبره وصلبه وإحراقه ، وقد بكاه شعراء الشيعة بكاءً مرّاً ، ورثوه بأشجى ألوان الرثاء ، وممّن رثاه :

الفضل بن عبدالرحمن

هو من شيوخ السادة العلويّين رثى الشهيد زيد بقصيدة أعرب فيها عن آلامه وحزنه ، قال :

أَلا يا عَيْنُ لا تَرْقَي وَجودِي ... بِدَمعِكِ لَيسَ ذا حِينُ الجُمودِ
غَداةَ ابْنُ النَّبِيِّ أَبو حُسَينٍ ... صَليبٌ بِالكُناسَةِ فَوقَ عودِ
يَظَلُّ عَلىٰ عَمودِهِمُ وَيُمْسي ... بِنَفْسي أَعْظُمٌ فَوقَ العَمودِ
تَعَدّى الكافِرُ الجَبّارُ فيهِ ... فَأَخْرَجَهُ مِنَ القَبرِ اللَّحيدِ
فَظَلُّوا يَنبِشونَ أَبا حُسَينٍ ... خَضِيباً بَينَهُمْ بِدَمٍ جَسيدِ
فَطالَ بِهِ تَلَعُّبُهُمْ عُتُوّاً ... وَما قَدَروا عَلى الرّوحِ الصَّعيدِ
وَجاوَرَ في الجِنانِ بَني أَبيهِ ... وَأَجْداداً هُمُ خَيرُ الجُدودِ
فَكَمْ مِنْ والِدٍ لأَبي حُسَينٍ ... مِنَ الشُّهَداءِ أَوْ عَمٌّ شَهيدِ
وَمِنْ أَبْناءِ أَعْمامٍ سَيَلْقىٰ ... هُمُ أَوْلىٰ بِهِ عِندَ الوُرودِ
دَعاهُ مَعْشَرٌ نَكَثوا أَباهُ ... حُسَيناً بَعدَ تَوكيدِ العُهودِ
فَسارَ إِلَيهِمُ حَتّى أَتاهُمْ ... فَما أَرْعَوا عَلىٰ تِلكَ العُقودِ
وَنَتْرُكُكُمْ بِأَرْضِ الشّامِ صَرعىٰ ... وَشَتّىٰ مِنْ قَتيلٍ أَوْ طَريدِ[1]

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ١٤٨ و ١٥٠ .

ويلمس من هذه الأبيات مدى أساه وحزنه على الشهيد العظيم الذي كان من أعمدة الأسرة العلويّة في جهاده وإيمانه.

صالح بن ذبيان

وهو ممّن روى عن الإمام، وقد رثاه بقصيدة كان منها:

أَبا الحُسَيْنِ أعارَ فَقدُكَ لَوْعَةً ... مَنْ يَلقَ ما لاقَيتَ مِنْها يُكمَدِ
فَغَدا السُّهادُ وَلَوْ سِواكَ رَمَتْ بِهِ ... الأَقْدارُ حَيثُ رَمَتْ بِهِ لَمْ يَشْهَدِ
وَنَقولُ لَا تَبعُدْ وَبُعدُكَ داؤُنا ... وَكَذاكَ مَنْ يَلقَ المَنِيَّةَ يَبْعُدِ
كُنتَ المُؤَمَّلَ لِلعَظائِمِ وَالنُّهىٰ ... تُرجىٰ لأَمرِ الأُمَّةِ المُتأَوِّدِ
فَقُتِلتَ حينَ رَضيتَ كُلَّ مُناضِلٍ ... وَصَعَدتَ في العَلياءِ كُلَّ مُصَعَّدِ
فَطَلَبتَ غايَةَ سابِقينَ فَنِلتَها ... بِاللهِ في سَيرٍ كَريمِ المَورِدِ
وَأَبىٰ إلٰهُكَ أَنْ تَموتَ وَلَمْ تَسِرْ ... فيهِمْ بِسيرَةِ صادِقٍ مُستَنْجِدِ
وَالقَتلُ في ذاتِ الإلهِ سَجِيَّةٌ ... مِنْكُمْ وَأَحْرى بِالفِعالِ الأَمْجَدِ
وَالنّاسُ قَدْ أَمِنوا وَآلُ مُحَمَّدٍ ... مِنْ بَيْنِ مَقتولٍ وَبَينِ مُشَرَّدِ
ما حُجَّةُ المُسْتَبشِرينَ بِقَتلِهِ ... بِالأَمسِ أَوْ ما عُذرُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ[١]

ورثاه جماعة آخرون قد انطوت نفوسهم على الحزن والأسى على ما حلّ بهذا القائد العظيم الذي أراد أن يحرّر المسلمين من عبوديّة الأمويّين وطغيانهم. لقد احتلّ الشهيد العظيم عواطف المسلمين، وبكوا على ما حلّ به من الرزايا أمرّ البكاء، وهاهو المرقد الذي أُقيم تذكاراً له يعجّ بآلاف الزائرين تعظيماً له وتخليداً لذكراه، وها هي شرائح من اليمن قد أقامت عشرات المؤسّسات العلميّة لإبراز

(١) مقاتل الطالبيّين: ١٥٠.

مؤلّفاته وقيمه ، أمّا خصومه الحقراء ففي مزبلة التاريخ تلاحقهم اللعنة والخزي ، وهذه عاقبة الظالمين .

امتداد الثورة

ولم يملك الأمويّون أي وعي سياسي ، فقد ظنّوا لغبائهم أنّهم باجتثاثهم لزيد قد صفا لهم الملك والسلطان ، وقضوا على كلّ تمرّد ضدّهم ، لقد خابت آمالهم ، فقد تكهربت العواطف بشهادة زيد ، وماجت الأرض بالفتن والثورات المحلّيّة ، فكانت ثورة يحيى نجل الإمام زيد التي أحدثت زلزالاً مدمّراً في أروقة الحكم الأموي ، وتشكّلت الخلايا والكوادر الحزبيّة ، وأخذت تبثّ الوعي الاجتماعي في أوساط المجتمع الإسلامي حتّى عمّت الفتن في جميع أرجاء البلاد ، الأمر الذي نجم منه سقوط الدولة الأمويّة ، ورميها في مزبلة التاريخ .

لقد وضعت شهادة الإمام زيد العبوات الناسفة في قصور الأمويّين ، وحطّمت كيانهم ، وأزالت أرصدتهم وتركتهم أثراً بعد عين .

ندم الطاغية

وندم الطاغية هشام على ما اقترفه من عظيم الإثم بقتله لزيد ، فقد روى الزهري أنّ هشاماً قال له بعد شهادة زيد : ما رأني إلّا أوبقت نفسي .

فقال له الزهري : وكيف ذلك ؟

وراح هشام يحدّثه وهو فزع قائلاً : أتاني آتٍ ، فقال لي : ما أصاب أحد من دماء آل محمّد ﷺ إلّا أوبق نفسه من رحمة الله . وخرج الزهري هو يقول : أما والله لقد أوبقت نفسك من قبل ذلك ، وأنت الآن أوبق(١) .

---

(١) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب : ١٦٦ .

وظلّ شبح زيد يراوده ونفسه غير آمنة من سخط الله تعالى وعذابه .

مصيره بعد دفنه

ولاقى الطاغية المصير العادل ، فقد نبش قبره ، وأخرجوه ، وكان محنّطاً فصلبوه ، ثمّ أحرقوه على خشبة ، وقال عبدالله العبّاسي :

حَسِبَتْ أُمَيَّةُ أَنْ سَتَرضىٰ هاشِمٌ عَنْها وَتَقتُلُ زَيدَها وَحُسَيْنَها [١]

كما انتقم الله من المجرم يوسف بن عمر ، فقد قتل في دمشق وجعل في رجله حبل من مسد ، والصبيان يجرّونه ، وقد قطع رأسه [٢] ، وكانت هذه عاقبة الظالمين .

١ـ انتقام الله تعالى من شهاب

وانتقم الله تعالى من شهاب بن حوشب الذي نبش قبر زيد وأخرجه ، فقد ألقى القبض عليه أبو العبّاس وأمر بجلده ألف سوط وشقّ بطنه وطرحها للكلاب [٣] .

٢ـ خراش بن حوشب

وهكذا انتقم الله تعالى من خراش بن حوشب الذي أحرق جثمان الشهيد زيد ، وصنع به مثل ما صنع بالذي قبله [٤] .

وبهذا نطوي الصفحات الأخيرة عن حياة هذا البطل الذي عاش للناس وعاش للحقّ ، والسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً .

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين

---

(١) المصباح : ٤٠٥ .

(٢) مقدّمة كتاب مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد : ١١٩ .

(٣) و (٤) مقدّمة تحقيق كتاب مجموع كتب زيد ورسائله : ١١٩ .

المصادر

القرآن الكريم

١ ـ **الإتحاف بحُبّ الأشراف**: الشبراويّ الشافعيّ، عبد الله بن محمّد بن عامر (ـ ١١٧٢هـ): تحقيق: سامي الغريريّ، مؤسّسة دار الكتاب الإسلاميّ ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٢ ـ **الاحتجاج على أهل اللجاج**: الطبرسي، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب (ـ ٥٦٠هـ): تحقيق: إبراهيم البهادري و محمّد هادي به، الناشر: دار أُسوة ـ ايران، الطبعة السادسة / ١٤٢٥هـ.

٣ ـ **أجوبة المسائل الصاغانيّة**: الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد ـ قم المقدّسة / ١٤١٣هـ.

٤ ـ **الإحكام في أُصول الأحكام**: الآمدي = أبو الحسن علي بن أبي علي (ـ ٦٣١هـ): نشر دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٤٠٥هـ.

٥ ـ **الأخبار الطوال**: ابن قتيبة الدينوري، أبو محمّد عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ): منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

٦ ـ **الأخبار الموفقيّات**: الزبير بن بكّار بن عبدالله القرشي الأسدي (١٧٢ ـ ٢٥٦هـ): تحقيق: د. سامي مكّي العاني، انتشارات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ.

٧ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**: الشيخ المفيد: أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): طبع وتحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٨ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: ابن عبدالبرّ = أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد النمري القرطبيّ الأندلسي (٣٦٨ ـ ٤٦٣هـ): دار الإسلام ـ عمّان / ٢٠٠٢م.

الاصيلي في أنساب الطالبيّين: ابن الطقطقي الحسني = صفيّ الدين محمّد بن عليّ: مكتبة المرعشي النجفي ـ قم المقدّسة / ١٤١٨هـ.

٩ ـ **الاعتبار وسلوة العارفين**: الجرجاني = الحسين بن إسماعيل (ـ ٤٣٠هـ)، الناشر: مؤسّسة الإمام زيد بن عليّ الثقافيّة / ٢٠٠١م.

١٠ ـ **إعلام الورى بأعلام الهدى**: الطبرسيّ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس): مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

١١ ـ **أعيان الشيعة**: الأمين العاملي، محسن (١٨٦٥ ـ ١٩٥٢م): دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت / ٢٠٠٠م.

١٢ ـ **الأغاني**: أبو الفرج الاصفهانيّ، عليّ بن حسين (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٤م.

١٣ ـ **إقبال الأعمال**: السيّد ابن طاووس = رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ): تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

١٤ ـ **اللآلي المضيئة**: الشرفي، أحمد بن محمّد:

١٥ ـ **أمالي المرتضى = غرر الفوائد ودرر القلائد**: الشريف المرتضى = علم الهدى أبي القاسم عليّ بن الحسين الموسوي (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ): دار الكتاب العربي ـ بيروت / ١٣٨٧هـ.

١٦ ـ **الأمالي**: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): تحقيق ونشر: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ.

١٧ ـ **الإمام زين العابدين**: فهمي، أحمد.

١٨ ـ **الإمامة والسياسة** : ابن قتيبة الدينوري = أبو محمّد عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ) : المكتبة الحيدريّة ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٧م .

١٩ ـ **أنساب الأشراف** : البلاذريّ ، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ـ ٢٧٩هـ) : تحقيق : د. سهيل زكار و د. رياض زكلي ، دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٧هـ .

٢٠ ـ **الأنوار البهيّة في تواريخ الحجج الإلـهيّة** : القمّيّ ، الشيخ عبّاس (١٢٥٤ ـ ١٣١٩هـ) ، تحقيق : فارس حسون كريم ، انتشارات فدك ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م .

....

٢١ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار** : العلّامة المجلسيّ = محمّدباقر بن محمّد تقي (١٠٣٧ ـ ١١١١هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م .

٢٢ ـ **البخلاء** : الجاحظ عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ) : دار مكتبة الهلال ـ بيروت ، الطبعة الثانية / ١٩٨٥م .

٢٣ ـ **البداية والنهاية في التاريخ = تاريخ ابن كثير** : ابن كثير الدمشقي ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ) : تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٣م .

٢٤ ـ **البيان والتبيين** : الجاحظ ، عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ) : مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٦٨م .

....

٢٥ ـ **تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر** : أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن عليّ بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب (٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ) : تعليق: محمود ديوب ، منشورات دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢٦ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام** : شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٤م .

٢٧ ـ **تاريخ التمدّن الإسلامي** : زيدان ، جرجي : دار مكتبة الحياة ـ بيروت / ١٩٦٤م .

٢٨ ـ **تاريخ بغداد** : الخطيب البغداديّ ، أبو بكر أحمد بن عليّ (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ) : تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢٩ ـ **تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام** : **جوزة ، بندلي** : مطبعة بيت المقدس ـ القدس / ١٩٢٨م .

٣٠ ـ **تاريخ الشام** : كرد علي ، محمّد :

٣١ ـ **تاريخ الطبري = تاريخ الأُمم والملوك** : الطبري ، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن خالد (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) : مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٣٢ ـ **تاريخ الكوفة** : البراقيّ = السيّد حسين النجفيّ (ـ ١٣٣٢هـ) : المكتبة الحيدريّة / ١٤٢٤هـ .

٣٣ ـ **تاريخ مدينة دمشق** : ابن عساكر = أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ) : دار الفكر ـ دمشق / ١٤١٩هـ .

٣٤ ـ **تاريخ اليعقوبيّ** : اليعقوبيّ ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ـ ٢٧٨هـ) : دار صادر ـ بيروت / ١٩٨٤م .

٣٥ ـ **تحف العقول عن آل الرسول** : ابن شعبة الحرّانيّ ، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين (من أعلام القرن الرابع الهجري) : دار الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤٢١هـ .

٣٦ ـ **تذكرة الحُفّاظ** : الذهبيّ ، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (ـ ٧٤٨هـ) : وضع حواشيه : زكريّا عميرات ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م (٤ أجزاء في مجلّدين) .

٣٧ ـ **تذكرة خواص الأُمّة** : سبط ابن الجوزيّ ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ) : منشورات الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

٣٨ ـ **تطهير الجنان واللسان**: ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ الشافعي (٧٣٣ ـ ٨٥٢هـ):

٣٩ ـ **تفسير فاتحة الكتاب**: العلّامة الأمينيّ، عبدالحسين (١٢٨١ ـ ١٣٤٩هـ):

٤٠ ـ **تفسير فُرات الكوفي**: فرات بن إبراهيم بن فرات (ـ ٣٥٢هـ): تحقيق: محمّد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ ـ طهران، الطبعة الأُولى / ١٤١٠هـ.

٤١ ـ **التفسير والمفسّرون**: شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): السعادة ـ القاهرة، الطبعة الأُولى.

٤٢ ـ **التنبيه والإشراف**: المسعودي = أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ـ ٣٤٥هـ): دار مكتبة الهلال ـ بيروت / ١٩٩٣م.

٤٣ ـ **تهذيب تاريخ دمشق**: ابن عساكر = أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ): تحقيق: عبدالقادر بدران، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م.

٤٤ ـ **تهذيب الأحكام**: شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ): مكتبة الصدوق ـ طهران / ١٤١٧هـ.

٤٥ ـ **تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب**: أبو الحسن العبيدلي، محمّد:

٤٦ ـ **تهذيب التهذيب**: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ بن محمّد (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ): دار الفكر ـ بيروت / ١٩٩٥م.

٤٧ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: الحافظ المزّي، جمال الدين أبي الحجّاج يوسُف (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ): مراجعة: سُهيل زكار، تحقيق: أحمد علي عبيد، وحسن أحمد آقا، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م (٢٢ مجلّداً + مجلّدا الفهارس).

٤٨ ـ **تيسير المطالب**: ابن هارون، يحيى بن الحسين: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت / ١٣٩٥هـ.

٤٩ ـ **جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد** : الأردبيليّ الحائري ، محمّد بن عليّ : دار الأضواء ـ بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٥٠ ـ **جمهرة أشعار العرب** : ابن شبّة ، أبو زيد عمر النميري البصري ، الطبعة الأميريّة / ١٣٠٨هـ.

٥١ ـ **جمهرة أنساب العرب** : ابن حزم الأندلسي =أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد الظاهري (٣٨٤ ٤٥٦هـ) : دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٦٢م .

٥٢ ـ **جنّة المأوى** : الإمام كاشف الغطاء ، محمّد حسين (١٨٧٧ ـ ١٩٥٤هـ) : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثانة / ١٩٨٨م .

٥٣ ـ **جواهر المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب** : الباعونيّ ، شمس الدين محمّد بن أحمد الدمشقي الشافعيّ (٧٨٠ ـ ٨٧١هـ) : مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة ـ قم المقدّسة / ١٤١٥هـ.

....

٥٤ ـ **الحدائق الورديّة في مناقب الزيديّة** : الشهيّد المحلى = حسام الدين حميد بن أحمد (ـ ٦٥٢هـ) : جامع النهرين ـ صنعاء / ١٤٠٢هـ.

٥٥ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** : أبو نعيم الاصفهانيّ ، الحافظ أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الخامسة / ١٩٨٧م .

٥٦ ـ **حياة الإمام الحسن بن عليّ** ٨ : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

٥٧ ـ **الإمام زين العابدين** عليه السلام : فهمي ، أحمد .

٥٨ ـ **حياة الإمام محمّد الباقر** عليه السلام : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

٥٩ ـ **حياة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٦٠ ـ **حياة الحيوان الكبرى** : الدميريّ ، كمال الدين محمّد بن موسى (٧٤٢ ـ ٨٠٨هـ) : ناصر خسرو ـ طهران (اوفسيت عن طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).

....

٦١ ـ **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب** : البغداديّ ، عبدالقادر بن عمر (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣هـ) : مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٨٣م.

٦٢ ـ **الخصال** : الشيخ الصدوق = أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : نشر وتحقيق : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين / ١٤٢٤هـ.

٦٣ ـ **خطط الشام = المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** : تقي الدين المقريزي ، أحمد بن عليّ (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ) : مشهد المقدّسة / ١٣٧٩هـ. ش.

٦٤ ـ **خلاصة تهذيب الكمال** : الخزرجيّ الأنصاريّ ، أحمد.

٦٥ ـ **دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة** : د. عبدالحميد ، عرفان : بغداد / ١٩٧٧م.

٦٦ ـ **رجال الكشّي = اختيار معرفة الرجال** : شيخ الطائفة ، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق : محمّد تقي فاضل الميبديّ والسيّد أبوالفضل الموسويان ، وزارة الثقافة والإرشاد ـ طهران ، الطبعة الأولى / ١٣٨٢هـ. ش.

٦٧ ـ **الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة** : الشاميّ العاملي ، يوسف بن حاتم (من أعلام القرن السابع الهجري) : مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

٦٨ ـ **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام** : القاضي التميميّ المغربيّ ، أبو حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور (ـ ٣٦٣هـ) : اسماعيليان ـ قم المقدّسة / ١٣٧٢هـ. ش .

٦٩ ـ **دلائل الإمامة** : ابن رستم الطبريّ ، أبو جعفر محمّد بن جرير (ـ ٣١٠هـ) : مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة / ١٤١٢هـ.

٧٠ ـ **ديوان الحميري** : الحميري ، إسماعيل بن محمّد (١٠٥ ـ ١٧٣هـ) : جمعه وحقّقه : هادي شاكر ، دار صادر ـ بيروت / ٢٠٠٥م .

٧١ ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** : آقا بزرك الطهرانيّ ، محمّد محسن (١٢٥٥ ـ ١٣٨٩هـ) : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثالثة / ١٤٠٣هـ.

٧٢ ـ **الذهب المسبوك** : تقي الدين المقريزي ، أحمد بن علاء : (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ) :

٧٣ ـ **الردّ على الإماميّة** : الجاحظ ، عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ) :

٧٤ ـ **الروض النضير فيما يتعلّق بآل بيت البشير النذير** : السجاعي المصري = شهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمّد الشافعي (ـ ١١٩٧هـ) ، القاهرة .

٧٥ ـ **الروضة المختارة** ـ شرح القصائد الهاشميّات والعلويّات للكميت بن زياد (٦٠ ـ ١٢٦هـ) : ابن أبي الحديد المعتزلي (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ) ـ: مؤسّسة النعمان ـ بيروت ، الطبعة الأولى / ١٩٧٩م .

٧٦ ـ **روضة الواعظين وبصيرة المتعلّمين** : الفتّال النيشابوري ، محمّد بن أحمد (ـ ٥٠٨هـ) : دار الشريف الرضي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٣٨٦ ش .

٧٧ ـ **زهر الآداب وثمر الألباب** : أبو إسحاق القيروانيّ ، إبراهيم بن علي الحصريّ : دار الجيل ـ بيروت / ١٩٧٣م .

٧٨ ـ **زيد بن عليّ ومشروعيّة الثورة عند أهل البيت** عليهم السلام : حاتم ، نوري :

٧٩ ـ **زيد الشهيد** : المقرّم ، عبدالرزّاق : النهضة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٩٩٥م .

. . . .

٨٠ ـ **سرّ السلسلة العلويّة** : البخاري ، أبو نصر سهل بن عبدالله بن داود (ـ ٣٤١هـ) : الشريف الرضي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٣هـ .

٨١ ـ **سعد السعود للنفوس** : السيّد ابن طاووس = رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ) :

٨٢ ـ **سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار** : الشيخ القمّيّ ، عبّاس بن محمّد رضا (١٢٥٤ ـ ١٣٥٩هـ) : دار أُسوة للطباعة والنشر ـ قم المقدّسة ، الطبعة الرابعة / ١٤٢٧هـ .

٨٣ ـ **السيادة العربيّة والشيعة والإسرائيليّات** : فلوتن ، خراوف فان (١٨٦٦ ـ ١٩٠٣م) : القاهرة / ١٩٣٤م .

٨٤ ـ **سير أعلام النبلاء** : شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤١٩هـ .

. . . .

٨٥ ـ **الشجرة المباركة في أنساب الطالبيّة** : الفخر الرازي = خطيب الريّ ، فخر الدين أبي عبدالله محمّد بن ضياء الدين عمر بن الحسن بن الحسين (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ) : تحقيق : السيّد عبدالزهرة الحسيني الخطيب ، نشر مؤسّسة الصادق عليه السلام ـ طهران / ١٤١٠هـ

٨٦ ـ **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب** : ابن عماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبدالحيّ بن أحمد (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٦٧م .

٨٧ ـ **شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار** : القاضي المغربيّ ، أبو حنيفة النعمان بن محمّد التميميّ المصري (ـ ٣٦٣هـ) : تحقيق : السيّد محمّد الحسيني الجلالي ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ .

٨٨ ـ **شرح نهج البلاغة**: ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبي حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين المدائنيّ المعتزليّ (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ)، قدّم له وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلميّ، الناشر: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

....

٨٩ ـ **صحيح البخاريّ**: البخاريّ، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفيّ (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ): ضبطه ورقّمه: الدكتور مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق. الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (٦ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٩٠ ـ **الصحيفة السجاديّة (أدعية الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام)**: تحقيق ونشر: مدرسة ومؤسّسة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف ـ قم المقدّسة ـ الطبعة الخامسة / ١٤٢٣هـ.

٩١ ـ **صفة الصفوة**: ابن الجوزيّ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد (ـ ٥٩٧هـ): دار المعرفة ـ بيروت / ١٩٧٩م.

٩٢ ـ **الصواعق المحرقة على أهل الرّفض والضلال والزّندقة**: ابن حجر الهيتميّ، أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عليّ (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ): تحقيق: عبدالرحمان التركي وكامل محمّد الخرّاط، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م (مجلّدان).

....

٩٣ ـ **ضحى الإسلام**: أمين، أحمد: دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة العاشرة.

....

٩٤ ـ **الطبقات الكبرى**: ابن سعد الواقدي = أبو عبدالله محمّد بن سعد بن منيع البصريّ الزهري (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ): تحقيق: محمّد عبد القادر عَطا، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م (٨ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٩٥ ـ **طبقات فحول الشعراء**: ابن سلام، محمّد الجمحي (ـ ٢٣٢هـ): شرح: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، المؤسّسة السعوديّة بمصر / ١٩٧٣م.

....

٩٦ ـ **العقد الفريد**: ابن عبدربّه الأندلسيّ، أبو عمر أحمد بن محمّد (٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م.

٩٧ ـ **العقيدة والشريعة في الإسلام**: جولد زيهر، أجناس: ترجمة: محمّد يوسف، دار النهضة ـ بيروت / ١٩٩٠م.

٩٨ ـ **عيون الأخبار**: ابن قتيبة الدينوريّ، عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ): دار الكتب المصريّة ـ القاهرة / ١٩٩٦م.

٩٩ ـ **عيون الأخبار وفنون الآثار**: القرشي، عماد الدين: دار التراث الفاطمي ـ بيروت / ١٩٧٢م.

١٠٠ ـ **غاية الاختصار في البيوتات العلويّة المحفوظة من الغبار**: الحسينيّ الحلبيّ، ابن زهرة، المكتبة الحيدريّة ـ النجف الأشرف / ١٣٨٢هـ.

....

١٠١ ـ **الفتوح**: ابن أعثم الكوفي = أحمد بن محمّد بن عليّ (ـ ٣١٤هـ) تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى / ١٤١١هـ.

١٠٢ ـ **الفخري في أنساب الطالبيّين**: المروزي، إسماعيل بن الحسين المروزي الأزورقاني: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

١٠٣ ـ **الفرج بعد الشدّة**: القاضي التنوخي، أبو عليّ الحسن بن القاسم (ـ ٣٨٤هـ): منشورات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية / ١٣٦٤هـ.

١٠٤ ـ **الفرق الإسلاميّة في العصر الأموي**: عطون، حسين.

١٠٥ ـ **الفرق بين الفِرق** : البغدادي ، عبدالقاهر بن طاهر بن محمّد البغدادي الاسفرائيني التميمي (٤٢٩هـ) : تحقيق : محمّد محيِ‌الدين عبدالحميد ، مكتبة دار التراث ـ القاهرة .

١٠٦ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل** : ابن حزم الأندلسي =أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد الظاهري (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ) : بولاق ـ القاهرة / ١٤٠١هـ.

١٠٧ ـ **الفصول المختارة من العيون والمحاسن** : الشيخ المفيد =أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ) : تحقيق : السيّد علي ميرشريفي ، دار المفيد ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

١٠٨ ـ **الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة** : ابن الصَّبّاغ =عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي (ـ ٨٥٥هـ) : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

١٠٩ ـ **الفقه الإسلامي تأسيسه.. أصالته.. مداركه** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) :

١١٠ ـ **فوات الوفيات** : ابن شاكر الكتبي =محمّد بن شاكر (٦٨١ ـ ٧٦٤هـ) : تحقيق : علي محمّد بن يعوض الله و عادل أحمد عبدالموجود ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ٢٠٠٠م .

١١١ ـ **فهرست ابن النديم** : ابن نديم ، محمّد بن إسحاق (ـ ٣٨٥هـ) : تعليق : الشيخ إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

١١٢ ـ **الفهرست** : شيخ الطائفة =أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق ونشر : الفقاهة ـ قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

....

١١٣ ـ **الكافي** : ثقة الإسلام الكلينيّ ، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (٣٢٨ ـ ٣٢٩هـ) : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

١١٤ ـ **الكامل في التاريخ** : ابن الأثير ، عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن محمّد بن أبي الكرم الشيبانيّ (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م .

١١٥ ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة** : الإربلي ، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (٤٦٧ـ ٥٣٨هـ) : دار الأضواء ـ بيروت / ١٩٨٥م .

١١٦ ـ **كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر** : الخزّار ، أبو القاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الرازي القمّي (ـ ٤٠٠هـ) : تحقيق : عبد اللطيف الحسيني : انتشارات بيدار ـ قم المقدّسة / ١٤٠١هـ .

١١٧ ـ **كنوز الحقائق** : عبدالرؤوف المناويّ ، محمّد الشافعي (٩٥٢ ـ ١٠٣١هـ) : المكتبة الإسلاميّة ـ القاهرة / ١٩٨٦م .

١١٨ ـ **اللهوف في قتلى الطفوف** : السيّد ابن طاووس ، رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ) : أنوار الهدى ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ .

....

١١٩ ـ **المجدي في أنساب الطالبيّين** : العلوي العمري ، نجم الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد : مكتبة آية الله العظمى المرعشي ١ ـ قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ .

١٢٠ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : الهيثميّ ، الحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر المصري الشافعي (٧٣٥ـ ٨٠٧هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٢١ ـ **مجموعة كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد** : يحيى الحمزي ، إبراهيم :

١٢٢ ـ **المختار الثقفي** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) :

١٢٣ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر** : المسعوديّ ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ـ ٣٤٦هـ) : تحقيق : عبدالأمير المهنّا ، نشر مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

١٢٤ ـ **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل** : المحدّث النوريّ ، الحاج الميرزا حسين بن محمّد تقي بن تقيّ الطبرسيّ (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠هـ) : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ .

١٢٥ ـ **مسند زيد بن عليّ**: زيد بن عليّ عليه السلام (٧٩ ـ ١٢٢هـ): مكتبة اليمن الكبرى ـ صنعاء / ١٩٨٧م.

١٢٦ ـ **مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار**: عبدالله شبّر، السيّد عبدالله بن محمّد رضا بن محمّد بن أحمد بن عليّ (١١٨٨ ـ ١٢٤٢هـ): مكتبة بصيرتي ـ قم المقدّسة.

١٢٧ ـ **مصباح المتهجّد**: شيخ الطائفة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ): مؤسّسة فقه الشيعة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

١٢٨ ـ **معالم العلماء**: ابن شهرآشوب، أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن عليّ السرويّ المازندرانيّ (٤٨٨ ـ ٥٨٨هـ): المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف / ١٣٨٠هـ.

١٢٩ ـ **معاوية بن أبي سفيان**: أبو النصر، عمر:

١٣٠ ـ **المعتزلة**: زهدي، حسن جار الله:

١٣١ ـ **المعتزلة**: أحمد بن يحيى.

١٣٢ ـ **المعجم الكبير**: الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٦م.

١٣٣ ـ **معجم البلدان**: ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبدالله الروميّ البغداديّ (ـ٦٢٦هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٩٩هـ.

١٣٤ ـ **معجم رجال الحديث**: السيّد الخوئيّ، السيّد أبوالقاسم الموسوي (ـ ١٤١٣هـ): الثقافة الإسلاميّة ـ قم المقدّسة الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

١٣٥ ـ **مقاتل الطالبيّين**: أبو الفرج الأصفهاني، عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد (ـ ٣٥٦هـ): مكتبة الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

١٣٦ ـ **مقالات**: ابن مسكويه = أبو علي أحمد بن محمّد.

١٣٧ ـ **مقتل الحسين** عليه السلام: الخوارزميّ = أخطب خوارزم، موفّق بن أحمد بن محمّد البكري الحنفي المكّي (٤٨٤ ـ ٥٦٨هـ): تحقيق: محمّد السماوي، أنوار الهدى ـ قم المقدّسة / ١٤١٨هـ.

١٣٨ ـ **مقدّمة الحضارة الإسلاميّة** : كريمر :

١٣٩ ـ **مكارم الأخلاق** : أمين الإسلام ، أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسي الطبرسي (٤٦٨ ـ ٥٤٨هـ) : دار الفقه ـ قم المقدّسة / ١٤٢٥هـ.

١٤٠ ـ **الملاحم والفتن** : السيّد ابن طاووس ، رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ) : مؤسّسة صاحب الأمر عجّل الله فرجه الشريف / ١٤١٦هـ.

١٤١ ـ **الملل والنحل** : الشهرستاني ، أبو الفتح محمّد بن عبدالكريم (٤٧٩ ـ ٥٤٨هـ) : مؤسّسة الصادق عليه‌السلام ـ طهران / ١٣٨٧هـ.

١٤٢ ـ **مناقب آل أبي طالب** : ابن شهرآشوب ، أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن عليّ السرويّ المازندرانيّ (٤٨٨ ـ ٥٨٨هـ) : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

١٤٣ ـ **منتهى الآمال** : الشيخ القمّيّ ، عبّاس بن محمّد رضا (١٢٥٤ ـ ١٣٥٩هـ) : مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الخامسة / ١٤٢٢هـ.

١٤٤ ـ **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل** : الخليل ، محمّد بن محمّد (٩٠٢ ـ ٩٥٤ق) ، دار صادر ـ بيروت / ١٩٨٠م.

١٤٥ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** : الذهبيّ = شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢٠هـ.

....

١٤٦ ـ **النزاع والتخاصم فيما بين بني أُميّة وبني هاشم** : تقي الدين المقريزي ، أحمد بن عليّ (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ) : قم المقدّسة / ١٤١٩هـ.

١٤٧ ـ **نسب قريش** : **الزبيري ، مصعب بن عبدالله** : دار التعارف ـ القاهرة.

١٤٨ ـ **النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية** : العلويّ ، محمّد بن عقيل بن عبدالله بن عمر (١٨٦٣ ـ ١٩٣١م) : مؤسّسة الفجر ـ بيروت / ١٩٩١م.

١٤٩ ـ **نظرة عامّة في تاريخ الفقه الإسلامي** : علي حسن ، عبدالقادر.

١٥٠ ـ **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار** : الشبلنجيّ ، مؤمن بن حسن بن مؤمن : تحقيق : عبد الوارث محمّد عليّ ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

....

١٥١ ـ **الوافي بالوفيات** : صلاح الدين الصفدي = خليل بن أيبك بن عبدالله (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ) : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ـ بيروت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

١٥٢ ـ **الوزراء والكتّاب** : الجهشياري ، محمّد بن عبدوس : مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ، الطبعة الأولى / ١٩٣٨م .

١٥٣ ـ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة** : الحرّ العامليّ ، محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسين (١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ) : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤١٦هـ .

١٥٤ ـ **وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل** (م) : الحضرميّ الشافعيّ ، شهاب الدين أحمد بن الفضل (١٠٤٧هـ) .

١٥٥ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : ابن خلّكان ، أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ـ ٦٨١هـ) : تحقيق : د . إحسان عباس ، منشورات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤٠٦هـ .

١٥٦ ـ **هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين** : البغدادي ، إسماعيل باشا (ـ ١٣٣٩هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٢هـ .

....

١٥٧ ـ **ينابيع المودّة لذوي القربى** : القندوزيّ ، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ـ ١٢٩٤هـ) : تحقيق : السيّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ ، الناشر : دار الأسوة للطباعة والنشر ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٦هـ .

المحتويات

تقديم ٧

أسرة زيد وولادته

١٥ ـ ٣٢

الأب ١٨

الأمّ ١٨

اسمها المبارك ١٩

رؤيا الإمام زين العابدين عليه السلام ٢٠

الوليد المبارك ٢٠

الزمان ٢٠

تفاؤل الإمام عليه السلام لولده ٢١

تسميته عليه السلام ٢١

كنيته عليه السلام ٢٢

نقش خاتمه عليه السلام ٢٢

ملامحه عليه السلام ٢٢

هيبته عليه السلام ٢٢

انطباعات عن شخصيّته عليه السلام ٢٣

١ ـ الإمام الباقر ﴿ع﴾ ٢٣
٢ ـ الإمام الصادق ﴿ع﴾ ٢٥
٣ ـ الإمام الرضا ﴿ع﴾ ٢٦
٤ ـ عمر بن عبدالعزيز ٢٧
٥ ـ يحيى بن زيد ٢٧
٦ ـ عبدالله المحض ٢٨
٧ ـ أبو حنيفة ٢٩
٨ ـ سفيان الثوري ٢٩
٩ ـ خالد بن صفوان ٣٠
١٠ ـ الطاغية هشام ٣٠
١١ ـ أبو غسّان الأزدي ٣٠
١٢ ـ الطقطقي ٣٠
١٣ ـ عمرو بن خالد ٣١
١٤ ـ الشعبي ٣١
١٥ ـ الخزّار ٣١
١٦ ـ الشيخ المفيد ٣١

في ظلال أبيه ﴿ع﴾

٣٣ ـ ٣٨

أخلاقه ﴿ع﴾ الرفيعة ٣٥
عبادته ﴿ع﴾ ٣٧
صدقاته وبرّه ﴿ع﴾ ٣٩
احتفاف القرّاء به ﴿ع﴾ ٤١

نشره عليه السلام للعلم ٤١
حثّه عليه السلام على طلب العلم ٤١
تكريمه عليه السلام لطلّاب العلوم ٤٢
عتقه عليه السلام للموالي ٤٢
وصاياه عليه السلام التربويّة لأبنائه ٤٢
أدعيته عليه السلام لولده ٤٣
حزن الإمام عليه السلام وأساه ٤٥
رحيل الإمام عليه السلام إلى الله تعالى ٤٦
تشييعه عليه السلام ٤٨

إخوته وأبناؤه

٤٩ ـ ٧٩

إخوة زيد عليه السلام ٥١
١ ـ الإمام محمّد الباقر عليه السلام ٥١
عصر الإمام عليه السلام ٥٣
تحرير النقد العربي ٥٤
وفاة الإمام الباقر عليه السلام ٥٤
٢ ـ الحسين الأصغر ٥٥
حلمه ووقاره ٥٥
تقواه وورعه ٥٥
علمه ٥٥
وفاته ٥٦
٣ ـ عبدالله الباهر ٥٦

لقبه ٥٦
علمه ٥٦
ولايته على صدقات النبيّ ﷺ ٥٧
وفاته ٥٧
٤ ـ عمر الأشرف ٥٧
كنيته ٥٧
لقبه ٥٨
علمه ٥٨
وفاته ٥٨
٥ ـ عليّ ٥٩
أبناؤه عليه السلام ٦٠
١ ـ يحيى بن زيد ٦٠
ولادته ٦٠
صفته ٦٠
١ ـ قوّة النفس ٦١
٢ ـ الشجاعة ٦١
في ميادين الجهاد ٦١
إلقاء القبض عليه ٦٢
إعلان الحرب ٦٣
خطابه في جيشه ٦٣
عتابه على العلويّين ٦٤
التحامه مع الجيش الأموي ٦٤
صلب جثّة يحيى ٦٥

إرسال رأس يحيى لأُمّه ٦٥
٢ـ عيسى بن زيد ٦٥
ولادته ٦٦
تسميته ٦٦
كنيته ٦٦
لقبه ٦٦
تقواه ٦٧
مع بني العبّاس ٦٧
ثورة الزكيّ محمّد ٦٨
زحف القوّات العبّاسيّة لقتاله ٦٩
خطاب محمّد ٦٩
التحام الجيشين ٧٠
ثورة إبراهيم ٧٠
إعلان الحرب ٧٢
التحام الجيشين ٧٢
اختفاء عيسى ٧٣
معاشه وعمله ٧٤
٣ـ الحسين بن زيد ٧٦
ولادته ٧٦
كنيته ٧٦
لقبه ٧٦
نشأته ٧٧
وفاته ٧٧

٤ـ محمّد بن زيد ٧٧
سموّ ذاته ٧٨

عناصره النفسيّة ومواهبه

٨١ـ ١٣٢

عناصره النفسيّة ٨٣
١ـ إنابته عليه السلام إلى الله تعالى ٨٣
٢ـ الإباء عن الضيم ٨٧
٣ـ الشجاعة ٨٨
٤ـ السخاء ٨٩
٥ـ الصبر ٩٠
٦ـ الأخلاق الرفيعة ٩٠
مواهبه عليه السلام ٩٠
١ـ دراسته عليه السلام ٩١
أوّلاً: أساتذته عليه السلام ٩١
ثانياً: تلامذته عليه السلام ٩٤
٢ـ علومه عليه السلام ٩٥
١ـ تفسير القرآن ٩٦
نماذج من تفسيره عليه السلام ٩٧
٢ـ الفقه ١٠٤
رواياته عليه السلام عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ١٠٥
٣ـ مؤلّفاته عليه السلام ١١١
٤ـ بلاغته وفصائحه عليه السلام ١١٥

٥ـ نماذج من تراثه عليه السلام ١١٧
١ـ مناظرته عليه السلام مع هشام ١١٧
٢ـ من وصاياه عليه السلام لولده يحيى ١١٨
٣ـ مع العلماء الصالحين ١١٨
٤ـ مع علماء السوء ١٢٠
٥ـ مناظراته عليه السلام ١٢٢
مع راهب من علماء النصارى ١٢٢
مع عالم شامي ١٢٣
٦ـ مواعظه عليه السلام ١٢٥
٧ـ نصائحه عليه السلام ١٢٧
٨ـ من كلماته عليه السلام القصار ١٢٨
٩ـ نظمه عليه السلام للشعر ١٣١

صور من الأحداث

١٣٣ ـ ١٦٩

الخلافة الإسلاميّة في منظور زيد عليه السلام ١٣٥
١ ـ اختلاف الأُمّة في تعيين الخليفة ١٣٦
٢ ـ دعوى كلّ فريق والنظر في صحّة قوله ١٣٧
٣ـ احتياج الناس إلى وال ١٣٨
٤ـ خيرة الله تعالى من خلقه ١٣٩
٥ـ تفضيل عليّ على أبي بكر ١٤١
الأمويّون في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله ١٤٣
الأمويّون في عهد أبي بكر ١٤٤

في أيّام عمر ١٤٦
حكومة عثمان ١٤٧
رأي زيد عليه السلام في مقتل عثمان ١٤٨
حكومة الإمام عليه السلام ١٤٩
عزل ولاة عثمان ١٤٩
مصادرة أموال عثمان ١٤٩
حديث الإمام زيد عليه السلام عن طلحة والزبير ١٥٠
١ - تفلّل جيش الإمام عليه السلام ١٥٢
٢ - شهادة الإمام عليه السلام ١٥٢
خلافة الإمام الحسن عليه السلام ١٥٢
إرغام الإمام الحسن عليه السلام على الصلح ١٥٣
حكومة معاوية ١٥٤
أوّلاً: سبّ أهل البيت عليهم السلام ١٥٤
ثانياً: لجان الوضع ١٥٤
١ - فضائل الصحابة ١٥٤
٢ - ذمّ أهل البيت عليهم السلام ١٥٤
٣ - مدح بني أُميّة ١٥٥
٤ - تشويه الإسلام ١٥٥
لجنة الوضع ١٥٥
ثالثاً: إبادة المصلحين ١٥٥
١ - الإمام الحسن عليه السلام ١٥٦
٢ - حجر بن عدي ١٥٦
٣ - عمرو بن الحمق ١٥٦

٤ ـ أوفى بن حصن ١٥٦
٥ ـ جويرية بن مسهر ١٥٦
٦ ـ رشيد الهجري ١٥٧
٧ ـ عبدالله الحضرمي وجماعته ١٥٧
رابعاً: اضطهاد الشيعة ١٥٧
١ ـ عدم قبول شهادة الشيعي ١٥٨
٢ ـ هدم دور الشيعة ١٥٨
خامساً: البيعة ليزيد ١٥٩
نزعات يزيد ١٥٩
١ ـ الإلحاد ١٥٩
٢ ـ إدمانه على الخمر ١٦٠
٣ ـ ولعه بالقرود ١٦٠
٤ ـ إبادته لعترة النبيّ صلى الله عليه وآله ١٦١
واقعة الحرّة ١٦٤
طرد حاكم المدينة ١٦٥
التجاء مروان للإمام عليه السلام ١٦٥
انتداب مسلم بن عقبة للحرب ١٦٦
وصيّة يزيد لابن عقبة ١٦٧
زحف الجيوش للحرب ١٦٧
محاصرة المدينة ١٦٧
احتلال المدينة ١٦٨
المجازر البشعة ١٦٨
الرؤوس بين يدي يزيد ١٦٩

عصر زيد

١٧١ ـ ٢١٨

الخطّ السياسي للأمويّين ١٧٣
احتقار الشعوب ١٧٣
اضطهاد الذمّيّين ١٧٤
ظلم الموالي ١٧٥
الحياة الاقتصاديّة ١٧٦
ظلم الجباة والولاة ١٧٧
ضرائب إضافيّة ١٨٠
مصادرة الأموال ١٨٢
تخلّي الناس عن أملاكهم ١٨٢
الحياة العلميّة ١٨٣
مدرسة أهل البيت عليهم السلام ١٨٤
مدرسة التابعين ١٨٥
١ ـ سعيد بن المسيّب ١٨٦
وثاقته ١٨٦
وفاته ١٨٧
٢ ـ عروة بن الزبير ١٨٧
٣ ـ عبيدالله بن عبدالله ١٨٧
٤ ـ عبدالرحمن ١٨٨
٥ ـ سليمان بن يسار ١٨٨
٦ ـ خارجة بن زيد ١٨٩

٧- القاسم ١٨٩
الفِرق الدينيّة ١٨٩
المعتزلة ١٩٠
تأسيس الاعتزال ١٩٠
الاعتزال في خدمة السلطة ١٩١
الأُصول الاعتقاديّة ١٩٢
الشيعة والمعتزلة ١٩٥
مسائل متّفق عليها ١٩٧
المسائل الخلافيّة ١٩٧
١- إمامة المفضول ١٩٨
٢- الشفاعة ١٩٨
الإمام الباقر عليه السلام مع علماء الاعتزال ١٩٨
١- مع الحسن البصري ١٩٩
٢- مع عمرو بن عبيد ٢٠٠
المرجئة ٢٠١
عداوة المرجئة للشيعة ٢٠٢
من مبادئ المرجئة ٢٠٣
أبو حنيفة والارجاء ٢٠٤
الإمام الباقر عليه السلام مع عمر الماصر ٢٠٤
الخوارج ٢٠٥
الإمام الباقر عليه السلام مع نافع ٢٠٦
الشيعة ٢٠٨
الفكر السياسي الشيعي ٢٠٩

١ ـ بسط العدل ٢١٠
٢ ـ مقاومة الظلم ٢١٠
٣ ـ المساواة ٢١١
٤ ـ الحريّة ٢١٢
٥ ـ إلغاء التمايز العنصري ٢١٣
٦ ـ الاحتياط في أموال الدولة ٢١٤
اللهو والمجون ٢١٤
الخلاعة ٢١٥
انتشار الغناء ٢١٦

ثورة زيد أسبابها ومكوناتها

٢١٩ ـ ٢٤٦

دوافع الثورة ٢٢٢
١ ـ مروق الأمويّين من الدين ٢٢٢
٢ ـ معاداة أهل البيت عليهم السلام ٢٢٤
١ ـ سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٢٢٤
٢ ـ اضطهاد الشيعة ٢٢٨
٣ ـ الثأر للإمام الحسين عليه السلام ٢٣٠
٤ ـ الإباء وعزّة النفس ٢٣٠
٥ ـ حقد هشام على العلويّين ٢٣٢
صفات هشام ٢٣٢
١ ـ البخل ٢٣٢
٢ ـ القسوة ٢٣٣

٣ـ طول اللسان ٢٣٣
٤ـ الحقد ٢٣٣
مع الإمام الباقر عليه السلام ٢٣٤
مع زيد عليه السلام ٢٣٧
حديث الأوقاف ٢٣٧
مكائد السلطة لزيد عليه السلام ٢٣٩
١ـ إحداث العداوة بين زيد عليه السلام والحسنيّين ٢٣٩
٢ـ اتّهام زيد عليه السلام بأموال لخالد القسري ٢٤٠
إشخاصه عليه السلام إلى دمشق ٢٤١
وداعه عليه السلام لقبر جدّه صلى الله عليه وآله ٢٤٢
دعاؤه عليه السلام ٢٤٢
مع الطاغية هشام ٢٤٣
دعاء زيد عليه السلام ٢٤٤

إعلان الثورة

٢٤٧ ـ ٢٦٣

السفر إلى الكوفة ٢٤٩
البيعة لزيد عليه السلام ٢٥٠
١ـ العمل بالكتاب والسنّة ٢٥١
٢ـ جهاد الظالمين ٢٥١
٣ـ الدفاع عن المستضعفين ٢٥١
٤ـ قسمة الفيء بالسويّة ٢٥١
٥ـ ردّ المظالم ٢٥١

٦ـ نصرة أهل البيت عليهم السلام ٢٥١
مشفقون وناصحون ٢٥٢
١ـ عبدالله المحض ٢٥٢
٢ـ داود بن عليّ ٢٥٣
٣ـ محمّد بن عمر ٢٥٣
٤ـ جابر الجعفي ٢٥٤
٥ـ زكريّا بن أبي زائدة ٢٥٥
٦ـ سلمة بن كهيل ٢٥٥
٧ـ الأعمش ٢٥٦
مبايعة الفقهاء والعلماء لزيد عليه السلام ٢٥٧
١ـ أبو حنيفة ٢٥٧
٢ـ ابن شبرمة ٢٥٧
٣ـ مسعر بن كدام ٢٥٧
٤ـ الأعمش ٢٥٨
٥ـ الحسن بن عمارة ٢٥٨
٦ـ أبو الحصين ٢٥٨
٧ـ قيس بن الربيع ٢٥٨
٨ـ سلمة بن كهيل ٢٥٨
٩ـ هاشم بن البريد ٢٥٩
١٠ـ الحجّاج بن دينار ٢٥٩
١١ـ هارون بن سعد ٢٥٩
١٢ـ محمّد بن عبدالله ٢٥٩
١٣ـ عبدالله بن عليّ ٢٥٩

الدعاة ٢٦٠

١ـ نصر بن معاوية ٢٦٠

٢ـ أبو معمر ٢٦٠

٣ـ عبدالله بن الزبير ٢٦٠

٤ـ معاوية بن إسحاق ٢٦٠

٥ـ المنصور بن المعتمر ٢٦٠

٦ـ يزيد بن أبي زياد ٢٦١

٧ـ سالم بن أبي الحديد ٢٦١

٨ـ عبدة بن كثير الجرمي ٢٦١

٩ـ الحسن بن سعد ٢٦١

١٠ـ عثمان بن عمير ٢٦١

إحاطة البيعة بالكتمان ٢٦٢

عدد المبايعين ٢٦٢

تحديد وقت الثورة ٢٦٣

الشهادة

٢٦٥ ـ ٢٨٩

فزع السلطة في دمشق ٢٦٧

الاتّصال بوالي العراق ٢٦٨

التفتيش عن زيد عليه السلام ٢٧٠

مخطّطات زيد عليه السلام العسكريّة ٢٧١

خروج زيد عليه السلام للساحة ٢٧٢

خيانة الكوفيّين ٢٧٣

زيد عليه السلام والروافض ٢٧٤
حبس فصائل من جيش زيد عليه السلام ٢٧٤
التحام الجيشين ٢٧٥
الشهداء من قادة جيش الإمام عليه السلام ٢٧٥
استمرار القتال ٢٧٧
مصرع الحقّ ٢٧٩
مواراة الجثمان المقدّس ٢٨٠
إخراج الجسد الطاهر ٢٨١
حرق الجثمان المقدّس ٢٨٢
الرأس الشريف ٢٨٣
الرأس الشريف في المدينة ٢٨٣
الرأس الشريف في مصر ٢٨٤
لوعة الشيعة ٢٨٥
امتداد الثورة ٢٨٦
ندم الطاغية ٢٨٧
مصيره بعد دفنه ٢٨٨
١ ـ انتقام الله تعالى من شهاب ٢٨٨
٢ ـ خراش بن حوشب ٢٨٨

مصادر الكتاب ٢٨٩
محتويات الكتاب ٣٠٥